لآلئ عمانية

دراسات تاريخية وتحليلية لشخصيات عمانية رائدة

صور من عبقرية الإنسان العماني

تأليف الدكتور

شبر بن شرف الموسوي

مسقط - ٢٠١٦

الطبعة الثانية

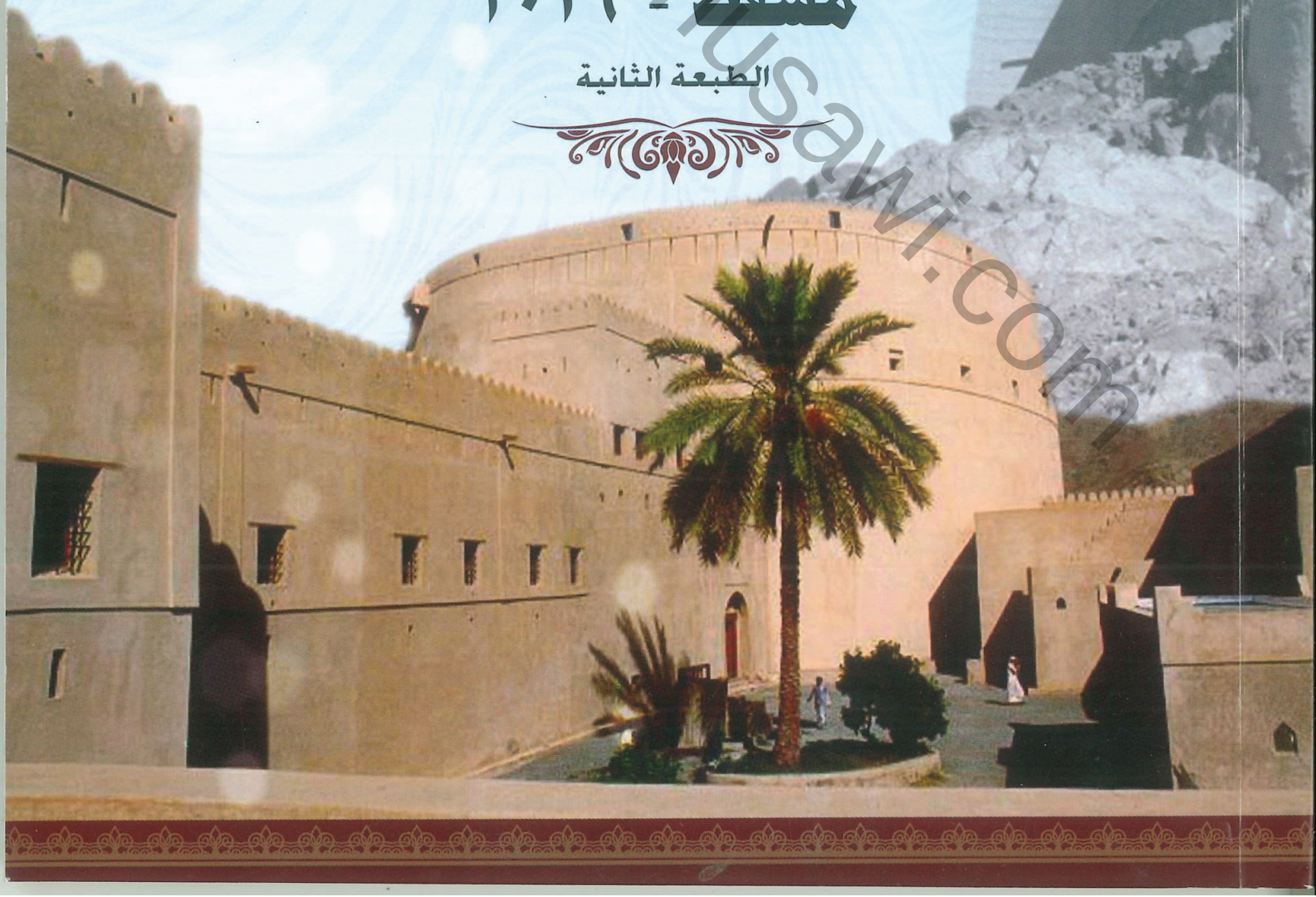

shaaber-al-musawi.com

Shobber.al-musawi.com

Shobber.al-musawi.com

لآلــئ عمانية

دراسات تاريخية وتحليلية لشخصيات عمانية رائدة

صور من عبقرية الإنسان العماني

Shobber al-musawi.com

Shobber.al-musawi.com

لآلـــئ عمانيـــة

دراسات تاريخية وتحليلية لشخصيات عمانية رائدة

صور من عبقرية الإنسان العماني

تأليف الدكتور

شبر بن شرف الموسوي

مسقط - ٢٠١٦

shobberal-musawi.com

بطاقة تعريف الكتاب

أسم الكتاب: **لآلئ عمانية**

اسم المؤلف: د. شبر شرف الموسوي

هاتف نقال: ٩٩٠٣٥٩٥٤

العنوان البريدي: ص.ب. ٣٥٤ الرمز البريدي: ١١١ – سلطنة عمان

بريد إلكتروني: dr-omani63@hotmail.com

اسم الناشر: مركز مسقط لتنمية الابداع والاستشارات الادارية والأسرية

اسم المطبعة: مطبعة المدينة

عنوان المطبعة: سلطنة عمان – ولاية السيب منطقة الخوض

رقم الإيداع المحلي: ١٤٤ / ٢٠١٦

رقم الإيداع الدولي: ٩٧٨-٩٩٩٦٩-١-٤٥٠-٨

تصمم الغلاف: الفنانة كوثر الموسوي

التصميم الداخلي: محمد نعيم مهر

حقوق الطبع محفرظة للمؤلف

shobber.al-musawi.com

الإهداء

إلى والدي السيد شرف الموسوي ووالدتي السيدة معصومة اللذان شجعاني بلا حدود.....لكي أرسم خطى الجدود.

إلى كل رجال عمان العظماء ونساء عمان العظيمات.

إلى كل من ساهم في وضع لبنة في بناء هذا الوطن الشامخ.

إلى كل من كتب تاريخا أو سجل انتصارا في تاريخ عمان الناصع.

إلى شباب عمان والنشء الجديد الذي أتمنى أن يفيد من تاريخ الأجداد العظام وأن يسير على خطاهم.

إلى أولادي أحمد وكوثر وعمار و الزهراء زهور المستقبل

أهدي ما كتبت.

shonbel-al-musawi.com

كلمات من التاريخ

- (أن الأمم العظيمة هي القادرة على احتمال المراحل المختلفة للصراع واستيعاب صدماتها)

الكاتب محمد حسنين هيكل

١- (التاريخ هو الوجود الإيجابي للأمم لا الوجود السلبي لها ، قد يكون للأمم الحاكمة تاريخ، ولكن الشعوب المحكومة ليس لها تاريخ)

٢- (أن التاريخ هو صورة لتطور الحضارة الإنسانية، فحيث تجد لأمة حضارة تجد لها تاريخ)

الدكتور عمر فروخ

- (أن التأليف سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها وهي : أما شيء مغلق يشرحه ، أو شيء طويل يختصره أو شيء ناقص يتممه أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه)

المؤرخ التركي حاجي خليفة

- (اقرءوا التاريخ منزهين عن الأغراض مجردين عن الأهواء ، اقرءوا التاريخ لتدركوا اللب فيه فتنسوا إذ ذاك فريضة وقوافيه)

أمين الريحاني

- (أن الفهم الصحيح للتاريخ لا يأتي إلا عن معاناة دراسته) المؤرخ البريطاني توبيني

shoubaral-mursawi.com

المقدمة:

يتناول هذا الكتاب عدة شخصيات عمانية بارزة ومؤثرة بالدراسة والتحليل في سجل التاريخ العماني من خلال دراسة النواحي الشخصية ومن خلال المنجز الإنساني والإبداعي أو السياسي لتلك الشخصية، وقد حاولت تحليل النتائج التي تبلورت عن عطاءات تلك الشخصيات من خلال أدوارها التاريخية والإنسانية والثقافية

وحقيقة أن تاريخ عمان يمتاز بالخصوصية التاريخية، لذلك كنت حذرا في التعامل مع المادة التاريخية الكبيرة؛ وقد حاولت تحليل واستخلاص المعلومات الواردة في مجمل الكتب التاريخية لعمان، وما مرت به عمان من أحداث ومعارك سياسية. وحقيقة أن تاريخنا كان وما يزال مصدر فخر واعتزاز لنا نحن العمانيون، كما أنه تاريخ مضيء ومشرف بكل ما في الكلمة من معنى، لكنه بحاجة إلى من يزيل عنه غبار التاريخ وعناء السفر الطويل وأن ينقحه ويقدمه بصورته الناصعة والمشرفة.

ونحن معينون في هذا الكتاب بتحليل عناصر الشخصية من خلال الجمع تحليل النتائج التي تبلورت عن عطاءات تلك الشخصيات من خلال أدوارها التاريخية والإنسانية والثقافية ، وخاصة في النواحي العمرانية ومظاهر التطور الثقافي والفكري والازدهار الاجتماعي.

يقول الدكتور عمر فروخ تاريخ العرب " أن دراسة التاريخ قائم على تحليل الحوادث أن التاريخ إنما هو تاريخ الحضارات وتاريخ الأمم الراقية لا تاريخ الجماعات الموجودة وأن التاريخ هو الوجود الإيجابي للأمم لا الوجود السلبي لها. قد يكون للأمم الحاكمة تاريخ ولكن الأمم المحكومة ليس لها تاريخ . وللتاريخ غاية كبرى هي النظر في الماضي لفهم الحاضر هي النظر في الماضي لفهم الحاضر ولتلافي العثرات في المستقبل فإذا اشتغل المؤلف في التاريخ بقصة لحوادث (بتعاقب الحكام وبسرد وقائع المعارك) كان قاصا فحسب ولم يكن مؤرخا . ويحسن أن نعلم هنا أن المؤرخ (حكم في الزمان)، وأن أحكامه على أحداث التاريخ يجب أن تقوم في الدرجة الأولى على النتائج التي تظهر بعد تلك الأحداث". وهنا تكمن أهمية كتابة التحليل التاريخي القائم على استخلاص النتائج وليس على رصد الأحداث كما هي ، أو ذكر السيرة الشخصية للإنسان ، وإنما أعمال الإنسان هي التي تخلده وليس أسمه أو نسبه، ولذلك لم يكن اختيارنا للشخصيات في هذا الكتاب اعتباطيا ولا هو اختيار شخصي وإنما هو اختيار قائم على عدة أسس منها: حقائق التاريخ والدور البناء الذي قامت به الشخصية المختارة في تاريخ عمان.

shabber.al-musawi.com

نحن نعلم أن تاريخنا العماني مليء بالشخصيات العظيمة ولكننا فضلنا اختيار الشخصيات البارزة والمؤثرة وكذلك التنوع في اختيار تلك الشخصيات التي تشمل نواح عدة منها الأئمة والفقهاء والعلماء والسلاطين والمؤرخين والأدباء، محاولة توزيع هذا الاختيار على كل فترات التاريخ العماني، وبهذا نراعي الاختيار النوعي والتدرج التاريخي، وهذا ما يكفل للبحث تغطية شاملة تشمل الزمان والتاريخ والتميز والموضوعية العلمية والسياسية والثقافية. فهذا الكتاب ليس المراد منه رصد للأحداث التاريخية ولكنه يقوم برصد للشخصيات التي قامت بصنع التاريخ ودورها في صنع التاريخ ودورها في تحريك دور عمان القيادي والريادي، وتقديم عمان كدولة صانعة للحضارة والتاريخ.

أن شخصياتنا المختارة شخصيات محورية مترابطة ولها ثقلها التاريخي و لا يستطيع أحد أن ينكر دورها الواضح في تشكيل هذا التاريخ وصنعه.وهي تشكل في حقيقتها سلسلة مترابطة من العمل الوطني؛ فمن إثبات عروبة عمان من خلال شخصية مالك بن فهم إلى إثبات أصالة الإسلام في وعي الإنسان العماني من خلال شخصية الصحابي مازن بن غضوبة ثم إلى إثبات دور عمان الأدبي والعلمي في فترة التطور الحضاري للأمة الإسلامية وذلك من خلال شخصية عبقري العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم كان دور الريادة البحرية والذي وصل أوجه من خلال شخصية الربان العماني أحمد بن ماجد. ثم جاءت فترة الاحتلال البرتغالي وكانت البلاد العمانية في انتظار مجدد وبطل يحي آمال الأمة وينهي فترة من فترات التمزق والانحطاط، فكان الإمام ناصر بن مرشد الذي أختاره القدر ليكون ذلك البطل المنقذ، ولكي يوحد البلاد تحت رايته، وهكذا تتوالى لشخصيات العمانية لتي مثلت عبقرية الإنسان العماني عبر التاريخ، وأثبتها وجودها الإنساني والفكري في مختلف المجالات والأصعدة.

وقد بلغت عدد الشخصيات المتناولة في هذا الكتاب حوالي ١٤ شخصية مختلفة التميز في مختلف مجالات الفكر والسياسية والأدب والفقه والتأليف التاريخي. وربما تكون هذه الشخصيات هي الأبرز في تاريخ فإنه لا بد من الإشارة إلى أن هناك شخصيات أخرى رائدة ومميزة لم نتناولها في هذا الكتاب ولكن دورها وتأثيرها لا يمكن إغفاله، ولكننا اخترنا الشخصيات الأبرز والأكثر تميزا وإشراقا أن كان في العلم أو الأدب أو في كتابة التاريخ.

وهنا ينبغي الإشارة إلى إننا لا نكتب تاريخ هذه الشخصيات وإنما نكتب تاريخ عمان من خلال هذه الشخصيات، فنحن نفرق هنا بين كتابة التاريخ كتاريخ، وصناعة ذلك التاريخ، ومن قام بصناعة الأحداث التاريخية، وهذا يعني إن اختيارنا لهذه الشخصيات كونها قد ساهمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة في صنع التاريخ العماني المشرق، وبالتالي صناعة الحضارة العمانية الموغلة في الزمان والمكان، وتقديمها كشكل من أشكال عبقرية الإنسان العماني.

shopper.al-musawi.com

ولقد أثبتت هذه الدراسات التاريخية ملامح الشخصية العمانية المبدعة والمنحزة وتعدد أدوار الإنسان العماني بين السياسي والعسكري والثقافي، وأثبتت هذه الدراسات أن الإنسان العماني إنسان معطاء متى ما اتيحت له الفرصة واستتبت أمور الحياة أن يعطي بلا حدود وأن تكون له مساهمات حضارية وأن يكون له دوره الرائد في الحضارة الإنسانية

كلمة أخيرة أود أن أضيفها أن أكثر هذه الدراسات قد ألقيت في ندوات وملتقيات علمية وثقافية ونشرت في مجلات محمكة في فترات سابقة.

وبالنسبة للهوامش والاقتباسات فلقد فضلت ن تكون الإشارة إلى الاقتباس ضمن الحديث ولم أفرد لها هامشا مستقلا وذلك توفيرا للجهد والوقت، ومن أراد أن يرجع إلى أي مصدر أو مرجع فعليه بتتبع سجل المصادر والمراجع المثبتة في أخر كل بحث.

أتمنى أن أكون قدمت بعضا من الجهد اليسير في سبيل خدمة عمان وتاريخها، والله من وراء القصد عليه توكلت وإليه أنيب

shobber.al-musawi.com

مالك بن فهم بن غانم الأزدي
أبو العرب في عمان

لو كان يبقى على الأيام ذو شرف
لمجد لم يمت فهم وما ولدا
حلت على مالك الأملاك جانحة
هدت بنا للعلا والمجد فانقصدا
أبا جذيمة لا تبعد ولا غلبت
به المنايا وقد أودى وقد بعدا
لو كان يفدى لبيت العز ذو كرم
فداك من حل سهل والأرض والخلدا
يا راعي الملك أضحى الملك بعدك لا
لا تدري الرعاة أجار الملك أم قصدا*

(الأيام تمضي والأحداث تتكرر لكن القادة الأوائل يبقون دائماً في ذاكرة التاريخ كقادة عظام)

* هذا الشعر أنشده هناءة بن مالك يرثي والده بعد أن قضى نحبه

shabber-al-musawi.com

مالك بن فهم الأزدي

تمهيد:

يرتبط تاريخ البشرية عموما عبر مسيرتها الطويلة، بوقوع أحداث هامة تؤثر فيه مسيرة الأمم والشعوب، ولقد كان انهيار سد مأرب أهم حدث تاريخي تعرضت له شبه الجزيرة العربية في فترات تاريخ المنطقة المتقدم، وقد أدى ذلك إلى حدوث تغيرات جذرية في الخريطة الجغرافية والإنسانية في المنطقة وأدى إلى هجرة القبائل اليمنية إلى مناطق وأماكن جديدة ومتفرقة، وشملت هجرة القبائل اليمنية من عمان جنوبا إلى العراق وفارس شمالا. ولم يتفق المؤرخون على تاريخ محدد يؤرخون به وقوع هذا الحدث، ولكن أغلبية المؤرخين تجعل من القرن التاسع قبل الميلاد تاريخ لوقع انهيار سد مأرب. وتتحدث المصادر التاريخية عن الآثار التاريخية التي ترتبت على انهيار السد حينما اجتاح سيل العرم سد مأرب الذي بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقد هلكت المنطقة المحيطة بالسد والتي كانت تزخر بالقبائل، مما أدى إلى هجرة هذه القبائل وتفرقها. وقد هاجرت هذه القبائل في كل اتجاه، فهاجر بعضها إلى مكة المكرمة والى الحجاز عموما، وهاجر بعضها إلى السراة، وأخر إلى عمان واستمرت بعض القبائل في سيرها، إلى العراق والشام شمالاً.

وكانت عمان أكثر المناطق تأثرا بما حدث في اليمن نتيجة القرب الجغرافي، والجوار المكاني. فقد تحركت جموع الأزد يقودها مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي، وقد ذكرت الروايات أسبابا كثيرة لتوجهه لعمان، مقصده إليها. وقد تحركت أبله من سبأ عن طريق البر، حتى وصلت إلى برهوت وهو واد بحضرموت، ثم إلى عمان، وأول ما نزل بعمان نزل بقلهات، وبدأ يتحرك بداخل عمان، حتى وصل إلى الجوف. وبدأ المصادمات بينه وبين الفرس، وكان الفرس زمن الإمبراطورية الساسانية، يسيطرون على الخليج العربي، وكانوا ينتهجون سياسة السيطرة على كل موانئ الخليج ودوله وجعلها فارسية التبعية، وقد أتخذ الفرس من صحار على ساحل عمان أهم مركز تجاري بحري لهم. كما أطلقوا أسم مزون على صحار والمناطق المجاورة لها من الساحل. لكن هذه السياسيات سرعان ما تبدلت مع قدوم الأزد وقائدهم مالك بن فهم، حيث قدومه إلى عمان حدثا تاريخيا هاما في التاريخ العربي، واعتبر يوم سلوت من أيام العرب مع الساسانيين في الجاهلية وفي فترة ما قبل الإسلام ولأن المواجهات العربية الفارسية استمرت في الشمال أيضا. وقد بدأت المعارك الحربية بين الطرفين بسبب أن الفرس رفضوا أن يشاركهم مالك في الماء والكلأ، وأرسل

shabeerialmusawi.com

إليهم إنذارا فرفضوه واستعد الطرفان للقتال، وغمر قلة عدد الأزد، إلا أنهم أثبتوا أنهم قوة لا يستهان بها. وكان عدد جند مالك لا يتجاوز الستة ألآلف مقاتل فيما تذكره المصادر التاريخية بينما كانت القوة الفارسية حوالي أربعون ألف مقاتل. وأتجه مالك إلى صحراء سلوت وأقتتل الطرفان وأنتصر جند مالك وقومه من الأزد على الفرس بعد أن قتل المرزبان قائد الجيوش الفارسية. ثم عرض الصلح على من بقى من جند الفرس، على أن يسمح لهم بالإقامة في عمان سنة واحدة يخرجون بعدها ديارهم. ولما علم ملك الفرس دارا بهزيمة جيشه أرسل قوة جديدة نزلت في البحرين واتجهت إلى عمان. وعلم مالك بوصول الفرس. فطلب ممن عنده منهم الرحيل عن عمان فورا، وقد رفضوا ذلك فحاربهم وانتصر عليهم.

كانت عمان قبل قدوم مالك بن فهم الأزدي عليها فارسيه الحكم واللغة، وهو الذي عربها، فأستحق أن يطلق عليه أبو العرب في عمان، والأفعال العظيمة لا تأتي إلا من رجال عظام، ولهذا فلقد سجل التاريخ العماني والعربي اسم هذا الرجل دون غيره، فلقد كان هدف مالك بن فهم عندما أراد التوجه إلى عمان هو تعريبها، وتخليصها من يد الفرس، بعد إن كانت فارسية وكان هدفه الأول إجلاء الفرس عن هذه الأرض، وكان لابد من القيام بعمل حاسم وهو مواجهة الفرس.

وكان الرجل جريئا إلى حد أنه عندما قدم إلى عمان طالب الفرس باقتسام الماء والكلاء والأرض أي اقتسام السلطة فأبوا، فكانت الحرب وكان يوم سلوت الأول، وهو يوم من أيام العرب المشهورة، نحو يوم ذي قار وغيرها من الأيام التي خاضتها الأمة العربية مع الفرس والروم، عندما كان العرب يبحثون عن موطئ قدم وموقع حضاري يتساوى مع الفرس والروم، وحتى تكون لهم قوة ودولة تكون في مستوى الإمبراطورتين العظيمتين الإمبراطورية الفارسية والرومانية، لكنهم كانوا متفرقين ومشتتين في كل ناحية ملك وفي كل ناحية قبيلة حتى لم الله شملهم بالإسلام فخاضوا الحروب ضد هاتين الإمبراطورتين وحققوا النصر وما النصر إلا من عند الله.

ولقد قدر الله لمالك بن فهم وللأزد أن يكونوا القبيلة العربية الوحيدة التي تواجه الفرس والروم أن كان في عمان أو كان في الشمال حيث المناذرة والغساسنة لأنهم يرجعون في الأصول إلى الأزد اليمنيين الذين تفرقوا بعد سيل العرم وتهدم سد مأرب. نعم لقد كان مالك بن فهم أبو العرب في عمان، فما أن انهزم الفرس في يوم سلوت الثانية حتى انهالت القبائل العربية على السكن في عمان.

وكان يوم سلوت على مرحلتين المرحلة، الأولى عندما انتصر مالك بن فهم وجيشه وحققوا النصر على الفرس فطلبوا منهم الرحيل عن عمان وأعطوهم مهلة سنه واحدة للرحيل لكنهم

shabeer.al-musawi.com

بدل أن يرحلوا أرسلوا في طلب المدد إلى عمان، فكانت المواجهة الثانية بعد سنة من يوم سلوت الأولى ولم نجد لذلك اليوم اسماً آخر.

تأثير يوم سلوت على أحداث التاريخ العماني:

دارت معركتين بين مالك والفرس، الأولى حال وصوله إلى عمان ومطالبته الفرس بالنزول في قطر عمان، وأن يفسحوا له ويمكنوه من الماء والكلاء ليقيم معهم، فرفضوا طلبه فكانت الحرب الأولى يوم سلوت. وقد تم فيها النصر لمالك وكان انتصاره على الفرس وإعطائهم العهد والأمان على أرواحهم وأموالهم وأجابهم إلى الهدنة والصلح وكف عنهم الحرب وتأجيلهم إلى سنة شريطة أن يخرجوا من عمان بغير حرب وقتال وأعطوه عهداً وجزية على الموادعة.

نتائج يوم سلوت الأولى :

١- تمكين مالك بن فهم على عمان ، وفتح البلاد له وللأزد حتى يستوطنوا البلاد.

٢- انكسار شوكة الفرس وضعفهم وبداية النهاية لحكمهم عمان

٣- أصبحت سيطرة الأزد على عمان مسألة وقت لا أكثر .

ودارت معركة سلوت الثانية بعد أن مرت السنة ولم ينفذ الفرس الاتفاق الذي تم بينهم وبين مالك بن فهم بل فعلوا العكس، فلقد كتبوا لملك فارس دارا بن دارا، وأعلموه بقدوم مالك بن فهم وقتله عامله على عمان وأسر قواده وطلبوا منه النجدة. وبعد هذه التصرفات من قبل الفرس، كان لا بد من مواجهة الفرس والاقتتال معهم وكسر شوكتهم، فكانت معركة سلوت الثاني والتي انتصر فيها مالك بن فهم وأجلى الفرس عن كافة الأراضي العمانية .

إن معركة يوم سلوت والمعركة الثانية كانت معركة إثبات وجود ومعركة سيطرة ومعركة بين (قوميتين العربية والفارسية) وحالتين؛ حالة البقاء وحالة الانتهاء، فإما أن تكون عمان عربية أو أن تكون فارسية إلى الأبد، وأما أن يكون مالكاً ملكاً لهذه الأرض ويعيش عليها هو وأولاده وأحفاده، والقبائل العربية التي كانت معه، أولا يكون ذلك أبدا. وهذا ما كان، إنه كان يسعى لإثبات وجوده والسيطرة على هذه الأرض وهذا ما كان يرمى إليه مالك.

ويشير مالك إلى ذلك بنفسه، وذلك في الخطبة التي خطبها في يوم سلوت الثاني "يا معشر الأزد أهل النجدة والحفاظ حاموا على أحسابكم وذبوا على مآثر آبائكم وقاتلوا وانصحوا ملككم وسلطانكم فإنكم إن أنكسر ثم وهزمتم اتبعتكم العجم في كافة جنودكم فاختطفوكم واصطادوكم بين كل حجر ومدر وباد عنكم ملككم وزال عنكم عزكم وسلطانكم فواطنوا أنفسكم على الحرب وعليكم بالصبر والحفاظ فإن هذا اليوم له ما بعده"

shobber.al-musawi.com

نتائج الحرب الثانية:

١. انتهاء سيطرة الفرس على عمان وزوال دولتهم إلى الأبد.
٢. استيلاء مالك بن فهم على عمان وملكها.
٣. فتح البلاد العمانية للقبائل العربية

وليس المقصود من انتهاء سيطرة الفرس هو تبديل حكم بدل حكم أو ملك بدل ملك ولكن كان المعنى كان استبدال أمة بأمة وواقع بواقع فأصبحت أرض عمان عربية بعد أن كانت فارسية، وهذا ما نرى نتائجه إلى اليوم يعني بذلك النصر الذي تم لمالك في يوم سلوت الثانية، أصبحت شبه الجزيرة العربية كلها عربية، وأصبحت بالتالي أرض عمان عربية أيضاً بعد أن كانت فارسية، واستمر نزول الأزد بأرض عمان حتى كثروا بها وقويت بهم واشتدت شوكتهم وملئوها حتى انتشروا إلى البحرين وهجر.

وهكذا هي نتائج الأحداث الكبرى فلولا لم يرسل الله على سبأ سيل العرم لما خرج الأزد إلى عمان.لو لم يفكر مالك بن فهم في التوجه إلى عمان لما أصبحت عمان دار ملكه ولو لم يخوض حربه مع الفرس في سبيل السيطرة واثبات الوجود للحكم العرب لما أصبحت عمان عربية.

ولا تنحصر نتيجة حروب مالك مع الفرس، خاصة يوم سلوت، في الانتصار العسكري فقط بل تعتبر عملية تعريب عمان هي أهم النتائج على الإطلاق فلأول مرة تصبح للقبائل العربية السيادة التامة، على عمان برا وبحرا. بل أن هناك جموعا أخرى من القبائل العربية النزارية قد بدأت في الوصول إلى من شرق الجزيرة العربية ووسطها منذ القرنين الرابع والخامس الميلاديين وامتلأت عمان بالقبائل العربية، وبذلك استطاعت القبائل العربية أن تسيطر على السواحل الغربية والجنوبية من الخليج العربي.

يقول السالمي في وصف قوة ومهابة مالك بن فهم:

"وكان مالك بن فهم ملكاً عظيماً، وكانت قبائل اليمن وغيرهم على منازلهم وعددهم يهابونه ويخافون بأسه، فيفتخرون ويتعزون بمنعته، وكانت له جرأة وإقدام ما لم يكن لغيره من الملوك". ولما لا يكون كذلك وقد نزل في أرض عمان وكان الفرس يملكونها وجاء لكي ينازعهم في أمر هذه الأرض، ويطلب منهم تقسيم الأرض بينهم وبينه، و لو لم يكن لديه القوة والشكيمة والجرأة لما فعل ذلك.

ويذكر السالمي في التحفة أن أوس بن زيد العبدي قد أمتدحه بقصيدة غراء، وكان أوس هذا عظيم القدر في معد وكانوا يسكنون في جوار مالك، يقول في القصيدة:

أن الأسد الكرام أن حل جار فمع النجم لا يخاف عربيا
عز من كان مالك له جار لست في الأزد أن حللت غريبا

shopper.al-musawi.com

وكان من حكمة مالك بن فهم توجهه لتهدئة الأمور مع جيرانه ومع من حوله من الملوك فعندما شعر مالك سيكون بينه وبين مالك بن زهير الملك المعروف والعظيم الشأن، تحاسد وتباغض وربما تقع بينهم الحرب، فإنه سعى إلى الصلح والسلام، حيث تزوج ابنة مالك هذا خوفاً من حزازات المستقبل ووشايات الأعداء وتدخلهم، وبهذا كسب ود الملك مالك بن زهير.

يقول السالمي "ثم جاءت إلى عمان قبائل كثيرة من الأزد، وكان نزول مالك في بادئ الأمر بشاطئ قلهات وانتقل منها فيما بعد إلى داخل عمان، حتى وصل إلى صحار، وسكن في ناحية أخرى من نواحي عمان ملك أخر من ملوك الأزد يقال له مالك بن زهير وكان عظيم الشأن، وكاد يكون مثل مالك في العزة والملك. وخشى مالك أن يقع بينهما تحاسد وأن يطمع إحدهما في مُلك الآخر، فتقع بينهما الحرب. فخطب مالك بن فهم الحزام – بنت مالك بن زهير – فزوجه إياها على أن يكون الملك لولدها من بعده. فأجابه مالك بن فهم إلى ذلك. ولما تزوجها فأنجبت له سليمة بن مالك وهو أصغر أولاده وأحبهم إليه.

ولقد استمر ملك مالك بن فهم لعمان وما حولها سبعين سنه لم ينازعه في ملكه عربي وهي مدة كافية لتثبيت أركان ملكه ولانتشار القبائل العربية واستقرارها في عمان في ظل حاكم عادل وسياسي حكيم سار في الحكم سيرة جميلة وحكيمة حتى بلغ ملكه عمان وما حول عمان وأطراف العراق البحرين وهجر.

وكان قد قضى له من العمر مائة وعشرون سنة، حيث جاءته المنية على يد أحب الناس إليه وأعظمهم شأنا هو ولده سليمة، وذلك في قصة غريبة تحكيها كتب التاريخ العماني.

وقد تنبأ مالك نفسه بذلك وذلك في بيت من أشعاره، حيث يقول:

إن من ترجو به دفع البلا سوف يأتيك البلا من قبله

وقد عرف عن مالك نظمه الشعر، ويذكر السالمي في التحفة قصيدة طويلة يقال أن مالك نعى نفسه فيها قبل مماته، ويقول في مطلعها:

ألا من مبلغ أنباء فهم بمالكه من الرجل العماني

إلى أن يقول:

جزاه الله من ولد جزاء سليمة أنه ساما جزاني

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

توخاني بقدح شك لبي دقيق قدرته الراحتان

فأهوى سهمه كالبرق حتى أصاب الفؤاد وما عداني

وقد رثى هناءة أبيه بعد وفاته بالأبيات السابقة، لو كان يبقى على الأيام ذو شرف.

shobber.al-musawi.com

المصادر والمراجع

المصدر	المؤلف
١- الفتح المبين في تاريخ السادة البوسعيدين	الشيخ حميد بن محمد بن رزيق إصدار وزارة التراث القومي والثقافة
٢- تحفة الأعيان في تاريخ أهل عُمان	الشيخ نور الدين السالمي
٣. عمان في فجر الإسلام الدكتورة السيدة الكاشف	إصدار وزارة التراث القومي والثقافة سلسلة من تراثنا
٤. عمان عبر التاريخ الشيخ سالم بن حمود السيابي	إصدار وزارة التراث القومي والثقافة

Shabber al-musawi.com

الخليل بن أحمد الفراهيدي

"رجل العربية الأول وأبو النحو وواضع علم العروض"

أبلغ سليمان أني عنه في سعة ... وفي غنى غير أني لست ذا مال

شحا بنفسي لأني لا أرى أحدا ... يموت هزلا ولا يبقى على حال

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال

والفقر في النفس لا في المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال*

---

* من شعر الخليل بن احمد الفراهيدي

shopberal-musawi.com

الخليل بن أحمد الفراهيدي

مقدمة:

يعد الخليل بن أحمد أحد أبرز علماء العربية، فعلومه ومعارفه واختراعاته اللغوية والفكرية تملئ الخافقين، وقد أكتسب الخليل شهرة عالمية، فاقت كل البلدان، فما أن يذكر النحو أو تذكر اللغة العربية أو يذكر الشعر ، إلا ويذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهو وكما قالت الشاعرة العربية الخنساء "كأنه علم في رأسه نار" .

ولقد وضع من المصنفات ما يقارب إحدى عشر كتاباً في مختلف العلوم ويكفيه فخراً أنه أول من وضع قاموس للغة العربية وهو "كتاب العين" وغيره من التصانيف اللغوية والفكرية والإبداعية ، ويكفيه فخراً ثانياً أنه أول من وضع علماً في عروض الشعر العربي أسماه علم العروض ، فلقد كان الشعر موجوداً قبله بسنوات عدة ، لكن هو الذي أكتشف هذا العلم ونظمه ووثقه وأبرزه،

إننا إزاء عقلية عمانية فذة، ورجل لا يقدر ببضع كلمات. ولقد قال عنه ابن المقفع "لقد رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه" . إنه رجل اجتمعت فيه صفات العلم والأدب والزهد في الحياة، ولم تجتمع هذه الصفات في رجل واحد في عصره، فلقد كان العلماء في عصره يتكالبون على أبواب الخلفاء والأمراء طلباً للعطاء والهبات، بينما كان الخليل يرفض، بل كان الخلفاء والأمراء هم الذين يركضون وراءه، لكنه كان يرفض عطاياهم وهباتهم. بل كان طلابه يسترزقون بعلمه بينما هو لا يجد قوت يومه، وكان تلميذه النضر بن شميل قال: "أكلت الدنيا بعلم الخليل وهو في خص لا يشعر به، وأقام بالبصرة لا يقدر على فلسين ". وهكذا تكون أخلاق العلماء الذين باعوا الدنيا في سبيل طلب العلم ، والخليل واحد من هؤلاء العلماء الأكفاء الذين يشهد لهم التاريخ بالتميز والنبوغ .

شيوخه ودراساته:

لا يستطيع أن يؤثر أي إنسان مثلما يؤثر الشيخ والأستاذ في تلميذه فهو الذي يحدد له معالم الطريق الذي ينبغي أن يسلكه ، وهو الذي يفتح عينيه على حقائق ونظريات وآراء كانت غائبة عن عقله وهذا الذي حصل مع الخليل بن أحمد.

shopper.al-musawi.com

فالخليل كان مثل الخميرة التي يتوفر فيها كل المميزات والعناصر التي يحتاجها الصانع الماهر لكي يشكلها حسبما يشاء ، فلقد كان الخليل يمتلك طاقات إبداعية خلاقة ؛ من نبوغ فطري وفكري وطموحات علميه لا حدود لها، ولهذا فإنه ما أن بدء في التعرف على ملامح الحياة في البصرة حتى انتظم في سلك التعليم الذي كان المسجد يمثل واجهته الأولى، بينما كان يمثل سوق المربد بشعرائه ونقاده ومحاوراته ونقاشاته البعد الثاني.

وكان أول من جلس الخليل إليه من العلماء والفقهاء، هو أيوب السختياني الذي تلقى عنه الحديث والفقه، وكان السختياني من فقهاء البصرة ومحدثاً من محدثيها، وقد قال عنه الحسن البصري أيوب: "سيد شياب البصرة"، لما كان يتصف به من ورع وصلاح ومن زهد وعبادة، وكان لأيوب حلقة في مسجد البصرة يعظ فيها ويحدث، وكان الخليل إذا ذاك حدثا، وقد راقه حديثه فاستمع إليه طويلاً، واختلف إلى مجلسه كثيراً، حتى تأثر بآرائه وأخذ عنه نسكه وزهده، وكان أيوب يقول تعلموا النحو فإنه جمال للوضيع وتركة هجته للشريف.
وقد انصرف الخليل إلى تعلم النحو فكان له آثار منه واضحة، حيث أطلق هذا العلم، ووضع أسسه وقواعده بعد ذلك. وسمع الخليل أيوب السختياني يقول "إذا أردت أن تعلم علم أستاذك فجالس غيره، فضننت أنه يعنيني فلزمته ونفعني الله به".

وكان الخليل حريصاً على التزود بالعلم من ينابيعه المختلفة، لا يفرق بين شيخ وآخر ، أو بين مدرسة وأخرى، ولا يأنف أن يستفيد ولو ممن هو أقل منه علماً وتجربة، وكان لا يعرف معنى للتكبر من العلم، وهو القائل "تربع الجهل بين الحياء والكبر من العلم" ، وكان يقول: "من استغنى بما عنده جهل ومن ضم إلى علمه علم غيره كان من الموصوفين بنعت الربانيين".
وقد كان لأيوب السختياني تأثير واضح وملموس عليه، فلقد تمثل تعاليم أستاذه وكانت هذه التعاليم هادية له في حياته الناشئة، كما أنه تأثر بما يتصف به من ورع وصلاح ومن زهد وعباده ، وتمثل هذه الصفات في نفسه حتى حملها على النسك والزهد والتواضع والعفة والانصراف عن الحياة المادية، حتى قال فيه سفيان الثوري "من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب فلينظر إلى الخليل بن أحمد".

إن إنسانا مثل الخليل في رهافة الحس وحدة الذكاء، لم يكن يغفل عما يدور من حوله، ولم يكن ليدع شاردة ولا واردة تفوته، ولا بد أنه جلس إلى شيوخ كثيرين، وأفاد منهم، مهتدياً بقول أستاذه إذا أردت أن تعلم علم أستاذك فجالس غيره، ولابد أنه كان يستقصي ويوازن بين مختلف الآراء ،ولا بد

shopper.al-musawir.com

أنه وقف على جهات الاختلاف، وعلى وجهات النظر المتفاوتة ليتيح لعقله أن يتدبر، فيوازن ويقارن ويفحص وينقد ليصل إلى الحقيقة التي يهفو إليها عقله وقلبه من خلال التدبر وأعمال الفكر.

ومن الشيوخ الذين استفاد منهم الخليل بن أحمد شيخه عيسى بن عمر الثقفي ثالث ثلاثة كانوا نحاة حقيقيين وكانوا معاصرين له ؛ وهم عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر وأبو عمر ابن العلاء، إلا أن أبا عمر مقدماً على صاحبيه في القراءة والرواية، وأن صاحبيه كانا متقدمان عليه في النحو، وقد أشاد الخليل بعلم عيسى بن عمر، وقد أخذ عنه صنعة القياس في النحو كأصلاً من أصول النحو، لأن عيسى بن عمر وكما كان معروف عنه أنه كان يصطنع القياس في النحو، وهناك مسائل أوردها سيبويه في الكتاب كأمثلة على اصطناع بن عمر للقياس في النحو.

ولا بد أن يكون الخليل قد أفاد من الثلاثة جميعاً، وأن لم يذكر ابن أبي إسحاق في عداد شيوخه، إلا أن الغالب أنه كان قد تتلمذ على يد أبن أبي إسحاق، لأن ذكره قد تردد في الكتاب في أكثر من موضع. ولا ريب أن الخليل قد أفاد كثيراً إلى ما أخذ عن أبن عمر وعن أبن أبي إسحاق، ولكنه قد أضاف إلى ما أخذه الشيء الكثير وفاقهما استيعاباً وتجاوزهما علماً وتجربة وخبرة.

أما بالنسبة إلى أبو عمر بن العلاء، فإن الخليل أيضاً قد جلس إليه واستمع إلى دروسه، وكان أبو عمر في ذلك الوقت شيخ من شيوخ البصرة وعلم من أعلام القراءة والعربية، وكانت له حلقة في جامع البصرة يجتمع إليه فيها رجال القراءة والأدب واللغة والنحو ويتزاحمون للأخذ عنه . ولكن الخليل بذكائه وفطنته لمس بعض الخلل في دروس أبو عمرو، وعزم ذات يوم على مناظرته، وكان مع الخليل أحد أصحابه، ولعله النظر بن شميل، فلما ذهب إلى حلقة أبو عمرو، وأصغى الخليل إلى الشيخ وهو يتحدث في موضوعات شتى ولاح له ولصاحبه مواطن الضعف في حديث الشيخ، وتوقع صاحبه أن يقاطع الخليل الشيخ عمرو ويشير إلى أخطائه ويفحمه، ولكن الخليل بقى مطرقاً مفكراً، ومضى الشيخ في حديثه والخليل صامت، وانتهى الدرس وتفرق الناس من حول الشيخ، ونهض الخليل وصاحبه وهو متعجب من سكوت الخليل، ومن عدم مقاطعته للشيخ، فسأله: بحنق (ما حملك على السكوت عن مناظرته؟ قال : نظرت إليه فإذا هو رئيس من خمسين سنة، وخفت أن ينقطع فيفتضح في البلد فلم أكلمه). وهذا هو خلق العلماء، وهو خلق المتعلمين الربانيين أنهم لا يستغلون أخطاء أساتذتهم وشيوخهم لكي يبنوا عليها أمجادهم.

وهذا التصرف الكريم هو جزء من أخلاق الخليل، ومن مميزاته الشخصية، وهو الطابع المميز لسلوك وشخصية الخليل طول حياته، وهو فيما نرى ثمرة جناها من تعليمات أستاذه أيوب السخيتاني.

ويتميز الخليل أيضاً بأنه من نوعية العلماء الذين لا يكتفون بلون واحد من ألوان المعرفة، فهو كان يحاول أن يقف على مختلف التيارات الثقافية السائدة في عصره وأن يستفيد منها، وكانت

snobber.al-musawi.com

البصرة آنذاك معهداً علمياً يحتوي على مختلف الثقافات والعلوم، فلقد أخذت الثقافات تتوافد عليها من كل حدب وصوب وكانت الحركات العلمية والفكرية والدينية تجد في هذا الجو المفتوح فرصة لكي تعرض فيه أفكارها وفلسفاتها ونظرياتها وحججها .

وفي هذا الجو الذي نشأ فيه الخليل كان لابد له من الإطلاع على هذه الحركات والتعرف على أفكارها واختيار الأفضل والأصح وما يتناسب مع أفكاره واهتماماته.

ولهذا قد أطلع الخليل على الثقافات القديمة وأخذ منها حاجته كما أطلع على القراءات العربية، وكان تلميذاً لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة، وأفاد من هذه الدراسة في وضع بعض الأعمال القرآنية من كتابه المصحف وابتداعه حركات الإعراب الجديدة ووضع علامات أخرى للتشديد والإدغام.

كما أنه أطلع على الفقه وتتبع تطوراته الجديدة، ووقف على مذهب المجردين من أصحاب الرأي والقياس، وكان معاصراً لأبي حنيفة النعمان ، وأطلع على علم اللغة وأخذ دروس اللغة على يد أبو الخطاب الأخفش الكبير، وهو أحد كبار اللغويين الرواة، كما أخذ اللغة عن فصحاء العرب مثل أبي خيره وأبي الدقيش، وأخذ عن الأعراب من بوادي نجد والحجاز وتهامه. وأطلع على النحو وأختلف إلى الحلقات المشهورة في مسجد البصرة. ومع أن الخليل أخذ من كل هؤلاء واختلف إلى حلقاتهم، إلا أنه لم يكن يؤمن بأن العلم الذي وصلوا إليه هو نهاية هذه العلوم، أو يجب الاقتصار عليها، حتى ولو احتل هؤلاء العلماء مكانة علميه متقدمة ؛ لا وإنما واصل طريقه في الاستفادة بالعلوم من أي جهة أو أي مصدر آخر.

كما أن طريقته في الاستيعاب والتحصيل كان تختلف عن ما هو موجود ومتعارف عليه في عصره من شأن الرواية والحفظ، فطريقة الخليل في دراسة واستيعاب ما كان يأخذه عن شيوخه، لم تكن شأن الرواة والحفاظ، بل كان يتمثل كل ما يأخذه من علوم في نفسه ويدرسه ويختار ما يفيده. ويتضح ذلك من مقولته: (كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ كتبك) أي أنه ينبغي على الطالب ليس فقط حفظ دروسه، وإنما عليه الفهم من خلال دراسة وتحليل العلوم التي يتلقاها.

وبما أن البصرة كانت تعج بالمدارس، والحركات، والمذاهب اللغوية، والفكرية والدينية، فإن الخليل لم يغلق فكره أبداً ولم يسد عقله دون رأي يخالف رأيه، أو يتعصب لفكرة على فكرة أخرى ، ولذلك فإنه أخذ يلتمس الثقافات الجديدة، فاطلع على آراء أصحاب الكلام، وحججهم، وأساليبهم، وكانت مدارسهم قدر ترعرعت وكثرت في البصرة، وأخذت كل حركة ومدرسه توظف مجموعة من المتكلمين للدفاع عن مواقفها وكشف أفكارها وقناعتها للناس الأخرى وللمجتمع البصري، وكان الخليل واحداً من أصحاب الكلام المتواجدين على الساحة، لأننا نلمح في أقواله ودراساته ظلالاً

shobber.al-mosawi.com

لمناهج المتكلمين وأساليبهم، واعتداده بالعلل يؤيد شهادة الجاحظ، وحمزة بن الحسن الأصفهاني؛ بأنه كان من أصحاب الكلام وألف كتاباً في الكلام أيضاً .

والذي نرجحه أن الخليل بتجاربه وبما فطر عليه من ذكاء وبما وهب من مزاج علمي، قد نشأ نفسه هذه التنشئة وأفاد من هذه التيارات الفكرية التي كانت دائرة في المجتمع البصري، ومن هذه النهضة العلمية القوية التي غزت حلقات العلم في الزمن الذي عاش فيه، وكانت ملقحة بثقافات وأفكار أجنبية تبادلها الدارسون العرب والأجانب في اتصالاتهم ببعضهم البعض وفي تلمذة بعضهم على يد البعض الآخر.

ولم يقف الخليل عند هذا الحد، وإنما أطلع على علم الموسيقى، وكان له معرفة بها، كما أنه ألف كتاباً في الموسيقى أسماه تراكيب الأصوات، وهو الذي لم يعالج وتراً ولا مس بيده قضيباً قط، ولا كثرت مشاهدته للمغنين، وأكبر الظن أن معرفة الخليل بالموسيقى هي التي أهدته إلى اختراع علم العروض، لأن علم العروض هو علم موسيقى الشعر، وقد أصاب كل من ياقوت واليافعي حين لمحا إلى علاقة العروض بالنغم والإيقاع؛ ففسرا بذلك إحداث الخليل لعلم العروض، قال ياقوت (وكانت معرفته بالإيقاع هو الذي أحدث له علم العروض)، وقال اليافعي "وله معرفة بالإيقاع والنغم وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض"، فإنهما متقاربان في المأخذ.

ابتكارات الخليل واختراعاته:

لقد ابتكر الخليل واخترع في العلم علوما لم يسبقه إليها أحد وتبعه فيها كل من تأخر عنه حتى اليوم وهذه الأمور هي:

١. العروض،
٢. الموسيقى،
٣. ضبط لغة العرب كلها في كتاب،
٤. الشكل

وهذه العلوم قد وفق فيها وقد حاول أن يضع علماً خامساً، وهو اختراع قاعدة في الحساب لكي يسهل على الجارية التعامل مع البقال دون أن يبخسها في الحساب ولكنه مات أثناء ذلك رحمه الله.

أما العروض فهو من مبتكرات الخليل ولو لم يكن له من الإبداعات إلا هذا العلم لكفاه أية منقبة أخرى، فلقد إبداع الخليل في تنسيق قواعده وضبط أبوابه، كما بهر الألباب باختراعه فقد حصر أقسامه في خمس دوائر استخرج منها خمسة عشر بحراً على كيفية أدهشت الفطن وحيرت الأفئدة، وربما تصاب بعض الاختراعات والابتكارات في بداية وضعها ببعض الاضطرابات، ولكن ابتكارات

shobberat-musawi.com

الخليل، ولدت وهي كاملة وتامة بدون نقصان، فلم يستدرك عليه من جاء بعده أي نقصيه أو باباً أهمله أو قاعدة أخل بها.

ويبقى علم العروض إحدى أعماله الرائعة التي كان الخليل مبدعاً فيها، وكان فيها خلاقاً، فلقد استقراء الخليل أشعار العرب وتوصل إلى معرفة بحورها، وقام بدراسة هذه البحور، ووصل إلى ما تتألف منه من تفعيلات، وإلى ما تتألف هذه التفعيلات من أسباب وأوتار، وقد اهتدى إلى البحور الستة عشر كلها ، ثم وضع دوائر العروض الست.

ويعتبر د. مهدي المخزومي أن الأخفش سعيد بن مسعدة.

وبالنسبة لعلم الموسيقى، فعلى الرغم من أن الخليل لم يكن ميالا إلى اللهو والمتعة، -وأن ذلك ينافي زهده وورعه وعبادته وجهاده ومرتبة العلمية-، لكن ذلك لم يمنعه من التأليف في هذا الفن، وقد جعل التأليف في هذا الفن خطوة متقدمة لتنظير هذا الفن، وإبعاده عن الميوعة والسوقية، فلقد ألف كتاباً أسماه النغم واللحون وجمع فيه أصناف النغم وأنواع اللحون، وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده، فصار الكتاب المصدر الأول لتعلم الموسيقى العربية، كما أنه أصبح مصدراً للموسيقيين اللاحقين في وضع الألحان ودراسة الموسيقى.

وقد طوع الخليل خبرته الموسيقية هذه في مصنع علم العروض، الذي كان الخليل أول من فكر فيه وأول من وضع أسسه وأوزانه العربية بهذا الشكل وعلى هذا المنوال.

ضبط لغة العرب

وكان الخليل أول دارس للأصوات اللغوية في اللغة العربية في تاريخها على الإطلاق، وكان أول من تناولها بالدراسة والبحث، وبالرغم أن اليونان والهنود قد سبقوه في هذا المجال، إلا إننا نستطيع أن نؤكد أن الخليل، لم يكن مقلداً ولم يكتفي بما توصل إليه سابقوه من الأمم الأخرى، وإنما أضاف إلى هذه الدراسة مجالات جديدة لتكون دراسات مثمرة، وكانت جهوده واضحة فيما توصل إليه من نتائج. فلقد قام ببحث العلاقات بين الحروف في تآلفها وانسجامها ومراقبة استعمالاتها والنص على ما يتألف منها مع بعضها البعض، حتى انتهى إلى نتائج جديدة، فتحت آفاقاً جديدة للدراسة اللغوية أيضاً، ولا يسع الدارس إلا أن ينحني إجلالاً لهذه العبقرية التي أضافت إلى العلوم الإنسانية أعمالاً جليلة وابتكارات مميزة.

وكان من هذه الأعمال الجليلة ظهور أول كتاب جامع لمفردات اللغة العربية، وهو كتاب العين؛ الذي كان أساساً لكل ما ألف في اللغة العربية من بعده من معاجم وقواميس، وكان قد بناه على دراسة

shopper.al-musawi.com

الحروف وترتيبها ترتيباً أبجدياً جديداً، ولما كانت العين أول الحروف عنه سمى كتابه العظيم باسمها لأن الفصل الأول منه يتناول المفردات التي تبدأ بالعين أو تتضمنها.

الشكل:

كان الخط في صدر الإسلام خالياً من التشكيل والإعجام، فوضع أبو الأسود الدؤلي علامات للحركات الثلاث، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف والكسرة تحته والضمه بين الحرف وجعل التنوين نقطتين ، كان ذلك بمداد يخالف مداد الحرف، فلما وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر من الحجاج نقط الإعجام اضطرب الأمر وأشتبه الإعجام بالتشكيل، فتصدى الخليل لإزالة هذا اللبس فوضع الشكل على الطريقة المعروفة اليوم، وبقى ذلك على مقاييس مضبوطة وعلل دقيقة، بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته، وللضمة واوا صغيرة فوقه، ووضع للتشديد رأس شين بغير نقط (ّ) شدة، ووضع للسكون دائرة صغيرة وهي الصفر من الأرقام العربية القديمة، وذلك لأن الحرف الساكن خالي من الحركة، ووضع للهمزة رأس عين (ء) لقرب الهمزة من العين في المخرج، ووضع للمد الواجب حركة أخرى، فكان مجموع ما وضعه ثمان علامات الفتحة، والكسرة، والضمة، والسكون، والشدة، والهمزة، والصلة، والمد، وكلها صغيره أو أبعاض حروف بينها وبين ما دلت عليه. فكانت مناسبة للموضع الذي تكون عليه، بخلاف علامات أبو الأسود الدؤلي، فأنها كانت مجرد نقاط ولم تكن تدل على تناسب بين الدال والمدلول . وألف الخليل هذا الموضوع كتاباً مهماً ولم يزد أحد على طريقته تلك ولا أصوب منها رأياً، فكأنه هو من ابتدئ هذا العلم وبه ختم أيضاً في ابتكاراته العلمية وفي تأليفه لهذا العلم من علوم اللغة.

منهجه العلمي في الاستقراء والاستنباط وإبداعاته العلمية

عندما كان الخليل يتلقى علومه لم تكن طريقته في دراسته لاستيعاب ما كان يأخذه عن شيوخه شأنه شأن الرواة الحفاظ وهو الأسلوب المتبع في ذلك الوقت، حيث كان التلميذ يحفظ ما يقوله أستاذه عن ظهر غيب دون التفكر في ما قاله هذا الأستاذ. لقد كان أسلوب الخليل مخالفاً لذلك المتعارف عليه، فلقد كان الخليل يتمثل كل ما يتلقاه في نفسه، ويدرس ما يقوله أساتذته في سبيل التدبر والوصول إلى حقيقة هذه العلوم وصحتها وكذلك للمساعدة على تطوير هذه العلوم مستقبلاً .

فلقد كان الخيل من طراز خاص من الدارسين، وكان لا يكتفي بالجمع والحفظ والاستيعاب السلبي، وكان تلقي العلم عنده ليس استيعاباً للمسموعات ولا استظهاراً للمحفوظات، ولكن العلم عنده هو الحفظ والفحص والنقد والتمثل. وذلك هو غاية التعلم والدراسة، وكان الخليل يرى أن العلم ليس في شيء إذا لم يطيل الإنسان التدبر فيما يستوعب وفيما يحفظ، وكان يقول "تكثر من العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ وكان يقول "كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ كتبك".

shobber.al-musawi.com

وكان طول التدبر والتفكر فيما يحمل داخل نفسه من علوم، وفيما حوله هو الذي وسع عقله، وشحذ فطنته، وأرهف حسه، وفجر عبقريته. وكان التأمل شغله الشاغل، وكان إذا اشتغل بالتأمل نسى نفسه وغفل عما يجري حوله، حتى أن هذا التأمل والتفكر كان سبباً في وفاته، لأن فكره كان مشغولاً بالتفكير في طريقة تمنع البقال من بخس الجارية في الحساب، عندما تذهب إليه لشراء الحاجيات، فدخل المسجد وهو يفكر فصدمته سارية من سواري المسجد وهو غافل عنها بفكره.

ولا شك أنه كان يخضع كل شيء لطول التدبر وأعمال الفكر، ولا بد أنه أفاد بتدبره فيما حوله من مظاهر حضارية انعكست على المجتمع البصري الجديد، واطلع على الثقافات الجديدة والأهواء والمذاهب التي كانت تتصارع في تلك البيئة، فكان على مقربة مما كان يجري في حلقات الدرس من جدال ومناقشات فكرية، وفيما كان يطرح فيها من مسائل تتعلق بالعقيدة وأصول الدين كالذي جرى بين واصل بن عطاء والحسن البصري أو بين المحكمة وعامة المسلمين.

وكانت التجربة منهجه في الحياة وسبيله إلى الحقيقة وإلى الإيمان بعلمه ودينه، ولا تتأتي الخبرة بالتقليد، ولا الحقيقة بالتعصب، ولا العلم بالإملاء والتلقين، وليس التكثر من العلم هو ما كان يطلبه ويجهد من أجله، بل هو التدبر فيما كان يتكثر منه وكانت رغبته في الإحاطة مما حوله تدفعه إلى تقصي مجالس الدرس المختلفة ويطرح بينه وبين شيوخه سبيل الوصول إلى الحقيقة وكان يتأثر بأستاذه أيوب السختياني الذي كان يقول لا يعرف الرجل خطاء معلمه حتى يسمع الاختلاف من غيره.

وقد اتخذ الخليل هذا المبدأ أسلوباً ومنهجاً في حياته، لأن من استغنى بما عنده جهل ومن ضم إلى علمه علم غيره، كان الموصوفين بنعت الربانيين، ولأن من أظهر حياء في إلتماس العلم وقعد عنه لبس الجهل وتقنع قناع السفه".

إننا أمام طراز جديد من الدارسين والعلماء، فالخليل عندما ألم بما عرف من حوله من ثقافات، فإنه لم يكتفي بالإنصات إلى هذه الثقافات الجديدة دون أن يدرسها ويستفيد منها وعندما ألم بالموسيقى لم يلم بها للمتعة والتلذذ بها، كما يفعل عامة الناس، وإنما وضع كتابا في تراكيب الأصوات، واستخدمها في فهم دقائق اللغة وتراكيب الأصوات ووضع علم العروض، وعندما ألم بعلم الكلام فإنه أفاد من منهج المتكلمين وكان أميناً على تطبيقه وتعميمه في الدراسة اللغوية وتوصل عن طريق ذلك إلى نتائج عظيمة جداً .

وكانت مدرسة الخليل تستقري وتجرب وتربط بين المسائل المتفرقة بمفاهيم عامة مستخلصة منها ويقيس بعضها على بعض، وقد توصل بأتباعه هذا المنهج إلى عدة نتائج منها:

Shopper.al-musawi.com

أولاً مجال اللغة : لم تعد اللغة والنحو في مدرسة الخليل مجموعة من الروايات التي يتناقلها الخلف عن السلف، أو أشتاتاً من المسائل لا ينتظمها رابط، بل وضعت لها مجموعة الأصول العامة وكل أصل منها يضم إليه جملة من المسائل والجزيئات التي تشترك في الخصائص والصفات.

ففي مجال اللغة أجرى الخليل مفهوم التجربة اللغوية في دراسته على الحروف وأجراها على البناء العام للكلمة العربية، وأجراها أيضا في دراسته للإعراب، وكان الخليل يتذوق الكلمات ومواقعها في العبارات ليدرك ما تدل عليه من معان إعرابية، وكان يتذوق الكلمات ليفقه ما في هذه الكلمات من أسرار، وكان يقلب الجمل ليقف على المعاني المختلفة لتلك الجمل.

دراسته في البادية وعلى الأعراب

ولا ريب أن لمشافهته الإعراب في البوادي تأثيراً خاصاً في الخليل وتخصصه في المباحث اللغوية والنحوية وإدراكه أسرار البناء والتأليف، أدى إلى كشفه كثيراً من الغوامض وتفسيره كثيراً من الظواهر وقد سأله الكسائي يوماً وكان يلازم مجلسه ويأخذ عنه ، من أين علمك هذا ؟ قال له الخليل (من بوادي الحجاز ونجد وتهامة).

فالخليل مع وهب من عقل مستوعب وذهن ناقد كانت قد رفدته بيئة البصرة بكل ما لديها وتعهدته البوادي بكل ما فيها فالتقت في ذهنه كل تلك الثقافات وحفظها وتمثلها وأعاد صوغها وأحكم بنائها وتصنيفها وأضاف إليها من تجاربه وأمدها بإبداعه، فإذا هي عطاء إنساني ضخم، فطفر بالعلوم اللغوية والفكرية من طور السذاجة والفطرية إلى طور النضج والاكتمال، فإذا بالدرس اللغوي عالم مختلف وإذا بالنحو علم جديد، وكان لابد للدارسين من التقاطر على مجلسه منكل جانب ومن كل أفق ليعبوا من نحو الخليل، ومن علومه اللغوية. كما أن الدارسين على طول فترات التاريخ القديمة والحديثة كانوا ولا زالوا ينهالون على علوم الخليل إن كان في النحو أو في اللغة أو في العروض.

لقد ظل الخليل يتتبع كلام العرب حتى استطاع أن يحصر أوزان الشعر ، وذكر سيبويه نقلا عن الخليل أن للأسماء فقط نحو ثلاثمائة وزن وبضعة أوزان . واستطاع أن يلم بجميع أوزان الكلمات التي ألفها الطبع العربي، فجرت على لسانه ، وأصبح من اليسير مقارنة الصيغ العربية بالدخيلة منها، وأن يحكم على أي صيغة معينة ، بأنها عربية أو غير عربية.

وأشار إلى أن كثيرا من الظواهر اللغوية عند العرب يمكن إرجاعها إلى اهتمام العرب بموسيقى اللفظ كالإتباع والإدغام والإبدال ، فلا يحرك حرف من اجل حركة حرف أخر ، ولم يبدل حرف إلى حرف أخر إلا لتحقيق الانسجام الموسيقي في الكلام.

فدراسة الخيل إذن لم تكن نظرية خالصة ، وإنما كانت تعنى بدراسة ظواهر اللغة ، واستخراج الأصول ، ولكن كان فيها جانبا فنيا لا يخضع لاعتبارات فنية مآلها الحس والذوق، ولذلك كانت دراسته للغة أبعد أثرا وأكثر جدوى، لأن فيها ملاحظة للحس اللغوي عند العرب في أساليبهم

shobber.al-musawi.com

وتعبيراتهم ، ونبه الخليل فقهاء اللغة إلى ضرورة هذه الدراسة في فهم اللغة وفهم بنائها العام ، فاحتذى علماء اللغة خطواته في تأليفهم للمعاجم اللغوية فيما بعد.

وهكذا كان الخليل عمليا تجريبيا في استقراء كلام العرب، وأخذ يتذوق أساليبهم ، ويتدبر تعبيراتهم، ثم أخذ يجري عليها تجاربه، ليصل إلى نتائج لا يمكن الوصول إليها بغير التجربة والاستقراء ، فقد توصل إلى حصر الأوزان التي بني عليها الشعر العربي ، ووضع لكل وزن أسما خاصا ، وفصل الكلام في تفعيلاته وأجزاء تفعيلاته ، واخترع علما جديدا سماه علم العروض . وتوصل أيضا إلى حصر أوزان الكلمات وتصنيفها ،إلى طوائف كل طائفة لها وزن خاص سواء في ذلك الأسماء والأفعال ليسهل عليه أن يتدبر الأحكام الخاصة بكل طائفة، وأن يدرك الصفات الخاصة بها. ثم شرع بعد انتهائه من ترتيب الحروف في وضع معجم مرتبة فصوله على أساس هذا الترتيب الجديد، وهو كتاب العين الذي سمي بهذا الاسم لان فصوله يتضمن الألفاظ التي تبدأ بالعين أو تتضمنها .

ولهذا فقد وجد الدارسون لطريقة الخليل في الدرس اللغوي أثراً واضحاً للتجربة في دراسة الخليل للحروف والكلمات والجمل وكيف كان يخضع الحروف لتجارب ومحاكمات، واستطاع أن يتذوق دلالتها على معانيها وأن يشعر بالصلة بين الألفاظ والمعاني وأن يقف على كثير من أسرارها ويفقه كثيراً من ظواهرها.

وأبعد في استقرائها حتى استطاع أن يحصر القوالب التي صيغت فيها أو الأوزان التي بنيت عليها وكان ينهج في دراسته هذه نهجاً قويما، بنيت قواعده على تفقه في اللغة وإدراكه للطبيعة اللغوية العامة .

لقد استقراء الخليل العربية استقراء أقرب إلى ما يدعى بالمنهج الإحصائي في عصرنا الحاضر، فقيض له أن ينتهي إلى كتاب العين فكان أول معجم في العربية وهو عمل جد كبير إذا عرفنا أنه من المعاجم الأولى في تاريخ اللغات الإنسانية.

ومن غير شك أن أصحاب المصنفات الموجزة في اللغة، ومن ألف من بعده من المعاجم والقواميس اللغوية، قد أفادوا من كتاب العين، ولقد استقروه استقراء وافياً، فأخذوا عنه مصنفاتهم، واتبعوا خطوات الخليل في وضع معاجمهم، ولكن وللحقيقة فأن وضع أول معجم في إي لغة من اللغات على نحو ترتيب جديدين لا سابق لهما لهو من أعمال الصفوة العباقرة الخالدين، وهذا ما يسجل للخليل وحده دون سواه من العلماء المتقدمين.

إن الخليل قد أحصى الكلمات العربية في كتاب العين إحصاء تاماً ودقيقا، وبذلك هيأ مادة مصنعة معروفة لمن جاء بعده من اللغويين . ولقد اهتدى الخليل إلى طريقة التقليب التي استطاع أن يعرف المستعمل من العربية والمهمل منها، فقعد الكتاب على المستعمل وأهمل ما عداه.

shabber.almusawi.com

ومع ذلك لم يستطيع معاصروه أن يضيفوا شيئاً أو يقوموا بما قام به، كما لم يستطيع من خلفه أن يأتي بما أتى به الخليل، وكان جهد كل الذين خلفوا الخليل أن يفيدوا من التنظيم الذي ورد في كتاب العين، واتخذوا منه أساساً لها كما فعل ابن دريد في الجمهرة والأزهري في التهذيب.

إن عملية إحصاء العربية وحدها تعد العملية الكبرى التي هيأت لجميع أصحاب المعاجم المطولة المادة التي عقدوا عليها أبوابهم وفصولهم.

ويؤكد محقق كتاب العين أن ما أضافه هؤلاء وإلى ما جاء به الخليل لا تتناول المواد الأساسية، بل هي إضافات ثانوية كزيادة في الشواهد؛ من شعر وقرآن وحديث أو نسبة أبيات لم تنسب إلى أصحابها في كتاب العين.

ولقد أستطاع الخليل أيضاً باستقرائه الطويل الدائب إلى أن يحصر الأمثلة والأوزان التي بنيت عليها الكلمات العربية، وأن يطمئن إلى أن ما يخالف هذه الأمثلة ليس من الأبنية التي يألفها العرب، وإنما هو مولد ، ولذلك جاء في الكتاب أنه ليس في الكلام فاعيل ولا فاعول ولا فاعلاء .. إلخ

وجاء في الجمهرة عن الخليل أنه ليس في كلامهم فعيل إلا مصنوعاً، وكان لمعرفة الدخيل من الأصيل عند الخليل، ثلاثة موازين، توصل إليها بدراسة الحروف وخصائصها واستقرائها في ثنايا الكلمات، وتتبع الأمثلة التي بنيت عليها الكلمات العربية، كأن يجتمع في الكلمة حرفان لم يألف العرب اجتماعهما، أو أن تكون الكلمة رباعية أو خماسية وليس فيها حرف أو أكثر من أحرف الذلاقة أو أن تكون الكلمة على مثال خاص لم يبني العرب كلامهم على مثله.

وقد تعاقب الدارسون على دراسة أرائه وأقواله ومملياته مما تضمنه الكتاب، ومما رواه عنه دارسون آخرون، أخذوا عنه وكان الكتاب مطلب العلماء وغايتهم، وكان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ الكتاب: "هل ركبت البحر"، تعظيماً واستصعاباً لما فيه وكانوا يسمونه قرآن النحو إكباراً له وكان الاحتجاج به إقناعاً وتسابق العلماء إلى الانتساب إليه فكثرت شروحه والتعليقات عليه.

****

دور الخليل في نشأة علم النحو العربي

لقد أبرز الخليل بن أحمد علم النحو العربي بكل تفاصيله وكل تقسيماته وهو الذي منحه النضج والاكتمال، فتاريخ النحو العربي لم يشهد اهتماماً ودراسة، مثل ما قدمه الخليل بن أحمد الفراهيدي لهذا العلم، وتاريخ علم النحو العربي ابتدئ في الظهور والتشكل بداية من تلك الدراسات والتقسيمات التي وضعها الخليل بن أحمد ، لأن أقوال وأراء الخليل وتعديلاته وقياساته التي وضعها في الكتاب -الذي دونه سيبويه بكل أمانه وصدق- هي التي نظمت مسائل وأصول علم النحو، وأن هذا المؤلف إذا قيس بأعمال من سبق الخليل كان هو المبدع لهذا العلم.

ونستطيع أن نؤكد أن الخليل هو أول نحوي عني بدراسة النحو دراسة علمية منظمة، وأول من نهج الطريق لعلماء النحو أن يدرسوا النحو على أنه مجموعة من القواعد والأصول العامة ، وقبله كان

shobber.al-mubaw.com

النحو خطرات لغوية توحي بها السليقة ، ومجموعة من المسائل يتناولها الدارسون على أنها جزئيات مستقل بعضها عن بعض دون أن يلتفوا إلى الرباط العام الذي تنتظم به هذه المسائل النحوية ، اللهم إلا بعض المحاولات الأولية التي قام نحاة قبل الخليل؛ كعبد الله با أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، ويمكن أن نؤكد في هذا المجال أن الخليل هو واضع علم النحو ، بمعنى أنه واضع المنهج لدراسته دراسة علمية منظمة أو على هو زعيم المدرسة النحوية القياسية التقعيدية.

ونستطيع أن نؤكد أن عمل الخليل في النحو كان مثله في العروض فقد وفق على كلام العرب وأساليبهم وأستخرج الأصول والقواعد، وقلما تهيأ للنحاة من بعده أن يزيدوا فيها شيئاً يذكر ومن الصعوبة أن نجد واحداً من الباحثين التابعين للمدرسة البصرية من أضاف إلى محتويات الكتاب شيئاً.

وأن الكتاب الذي ألفه سيبويه هو في الحقيقة كتاب الخليل ، وأن النحو نحوه ، وأسلوب التفكير فيه أسلوب الخليل وطريقة العرض طريقة عرضه، وكان الدارسون مأخوذين بقوة منطقه ، ودقة ملاحظته واستيعابه واستيفائه موضوعات النحو ، فقد قال أحدهم: "كان الخليل أعلم الناس بالنحو والغريب وأكثرهم دقة في ذلك ، وهو أستاذ الناس وواحد عصره"، وقد أتبع سيبويه منهج واضح في الإشارة إلى أن الكتاب من تأليف أستاذ الخليل بن أحمد فهو أما أن يقرن الحديث باسم الخليل أو يشير إليه ، وكلما قال "وسألته أو قال " من غير أن يذكر قائله، فهو كان يقصد الخليل ابن أحمد.

الخليل وعلم العروض

وكذلك بالنسبة لعلم العروض فإن الخليل قدم علماً جديداً، وهو العلم الذي انفرد به الخليل بن أحمد، ولم يسبقه أحد قبله، فلم ينسب إلى غيره، ولم يشاركه أحد في وضعه وهو علم أوزان الشعر العربي منذ الجاهلية إلى عصر الخليل وما بعده.

وقد استطاع الخليل أن يحصر هذه الأوزان المتعلمة حصراً، ولم يفلت منه وزن وليست هذه الأوزان هي كل ما أمكنه استنباطه من الدوائر الخمس، فمن هذه الدوائر من الأوزان أكثر من هذا العدد إلا أنها لم تستعمل أو لم تصح عنده ولم يرد فيها شعر يوثق به.

أخذ الخليل يدرس الشعر دراسة فاحصة شأنه مع كل موضوع يتناول بالدرس، ومكنه من هذه الدراسة معرفته بالنغم واللحون، وقد تناول الخليل من الشعر جانبه اللفظي الموسيقي، فرأى أن الشعر العربي كله لا يخرج عن كونه قائماً على وزن ستة عشر وزناً سماها بحوراً، ووضع لكل بحر اسماً خاصاً يميزه عن غيره وقسم كل بحر منها إلى وحدات وعبر عنها بـ (ف ع ل) ومشتقاتها من فاعلن ومتفاعلن ومستفعلن وغيرها، حتى أكتمل له من ذلك دراسة تامة الأجزاء سماها عروضاً ، ورأى إن وحدة الوزن هو البيت وأن البيت شطران صدر وعجز وأن كل بيت يتألف من أجزاء هي التفعيلات أو الأفاعيل فإذا استوفى البيت تفعيلاته كلها سمي تاماً وإذا نقص منه جزء سمي مجزوء.

shobber.al-musawi.com

ويعتقد بعض الدارسون أن معرفة الخليل بالموسيقى هي التي هدته إلى اختراع علم العروض، وهو علم موسيقى الشعر، وقد قال ياقوت: "إن معرفته بالإيقاع هو الذي أحدث له علم العروض".

لقد استفاد الخليل من معرفته النظرية بالموسيقى والإيقاع والنغم، وإن إدراك موسيقى اللغة يتوقف على توفر حس موسيقي وملكه موسيقية وهو ما توفر للخليل، فقد عرض للإيقاع والنغم ووقف على أصولها المعروفة ولقد عرف عنه أنه ألف كتابا في الموسيقى.

وتمكن عقله الرياضي الكبير من دقة فحص ما يتناوله الدرس العروضي، وإحاطة بكل جوانب هذا الموضوع وتقصي الحقيقة العلمية، ولهذا فقد اهتدى إلى هذا العلم الذي حصر فيه جميع أوزان الشعر المحتملة ما استعمل وما أهمل كما فعل في اختراعاته الأخرى؛ نحو كتاب العين، ومن الثابت أن الخليل بن أحمد هو صاحب العمل الأول في هذا العلم، وإليه ينسب العروض العربي، وإليه ينسب استخراج أوزان الشعر العربي وتلقيبها بألقابها الخاصة، ووضع المصطلحات التي تتصل بالعلل والزحافات. وقد تحدث الجاحظ عن هذا الموضوع بقوله: "وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً لم تكن تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب، وتلك الأوزان بتلك الأسماء وذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل وأشباه ذلك". وهذا يدلل على أن المصطلحات التي تضمنتها دراسة العروض كلها من وضع الخليل وتلقيبها بألقابها، فهو الذي سمي الأوزان بأسمائها ووضع التفعيلات وأجزائها وعللها وزحافاتها ألقاباً كالقبض والكف والحزم والثلم والجزء والخبن وغيرها.

ويؤيد ذلك ما رواه المرزباني فلقد "روى أن الأخفش سأل الخليل: لم سميت الطويل طويلاً، قال: لأنه تمت أجزاؤه . قال: فالبسيط؟ قال: لأنه انبسط عن مدى الطويل، قال: فالمديد؟ قال: لتمدد سباعيه حول خماسية ، قال : فالوافر؟ قال : لوفارة الأجزاء وتدا بوتد، فالكامل؟ قال:لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره، قال: فالرجز؟ قال : لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة الرجزاء ، قال: فالرمل، قال: لأنه يشبه رمل الحصير بضم بعضه إلى بعض، قال: فالهزج؟ قال: لأنه يضطرب شبه هزج الصوت، قال فالسريع؟ قال: لأنه يسرع على اللسان ، قال: فالمنسرح ، قال: لإنسراحه وسهولته، قال : فالخفيف؟ قال: لأنه أخف السباعيات، قال والمقتضب ؟ قال : لأنه اقتضب من الشعر لقلته ، قال فالمضارع؟ قال: لأنه ضارع المقتضب ، قال: فالمجتث؟ قال: لأنه اجتث، أي قطع من طول دائرته ، قال: فالمتقارب؟ قال: لتقارب أجزائه، وأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً".

ونستطيع أن نلاحظ مدى تأثير البيئة العربية في أسماء البحور التي وضعها الخليل، حيث أنه طوع عناصر البيئة البدوية في خدمة أوزان الشعر العربي، وهذا ما يشير إليه الخليل في قوله: "رتبت البيت من الشعر ترتيب البيت من بيوت العرب الشَّعر – يعني الخباء – قال: فسميت الأقواء ما جاء من المرفوع من الشعر والمخفوض على قافيه واحدة، أما أجزاء التفعيلة؛ من سبب ووتد وفاصلة،

shobber.almuaawi.com

فهي من جنس تسمية بيت الشعر بالبيت، لأن الأسباب والأوتاد من لوازم الخباء، وهي كذلك من أجزاء التفعيلات التي يقوم عليها بيت الشعر.

كتبه ومصنفاته :

في الحقيقة إنه لم يصلنا من علم الخليل وكتبه وأفكاره إلا من خلال تلاميذه ، أي إن الخليل لم يؤلف كتبه بنفسه، وإنما كان يملئ كتبه على تلاميذه، ولم يصلنا بالخليل إلا تلاميذه الذين كتبوا ما سمعوا عنه، وما أملاه عليهم، وما نقلوه الباحثين من مصادر أخرى، لأن الخليل لم يترك لنا من الكتب ما نستطيع أن نتعرف به على أسلوب الخاص في الكتابة، فنحوه وصل إلينا عن طريق سيبويه في الكتاب، وكتابة أقواله في اللغة والأصوات وصل إلينا عن طريق تلميذه الليث بن الظفر، وعروضه وصل إلينا عن طريق الأخفشي.

وربما يكون كتابه الوحيد الذي يذكر المؤرخون أنه ألفه بنفسه، هو كتاب اللحون والأنغام وهو أيضاً لم يصل إلينا ولم نطلع عليه. عموماً أن مؤلفاته وكتبه وتطبيقاته التي رويت عنه، بلغت رغم ذلك عشرة مؤلفات وكتب وهي زبدة العروض – كتاب العين – فائت العين – كتاب الإمامة – كتاب الإيقاع – النغم – الجمل في النحو– الشواهد – النفط والشكل– كتاب في معاني أسماء الحروف ، وإذا أضفنا إليها أهم مؤلفاته الذي نقله عنه سيبويه وهو الكتاب فإنها تبلغ إحدى عشر مؤلفاً. وهو المؤلف الذي سنبدأ به حديثنا عن كتب ومؤلفات الخليل .

أولا الكتاب وهو الكتاب الذي عرف بأنه قرآن النحو، والذي ابتعه النحويون ويقول د. عبده الراجحي "دروس في المذاهب النحوية": "ومن الواضح أن سيبويه لم يكن له الفضل الأكبر في تأليف الكتاب بل أخذ معظمه عن أستاذه الخليل بن أحمد، وعامة الحكاية في سيبويه عن الخليل، فكلما قال سيبويه سألته أو قال من غير أن يذكر قائله، فهو يعني الخليل بن أحمد" .

لقد وضع سيبويه في هذا الكتاب كل أقوال الخليل وآراءه وتعليلاته وقياساته مما سمعه من أستاذه، وقد قام بتدوين ذلك كله، بأمانة وصدق، وفي هذا الكتاب انتظمت مسائل النحو وأصوله، وكان الخليل بحق أول من وضع الدرس النحوي على طريق النضج والاكتمال . هذا الدرس الذي وضع الخليل أصوله وموضوعاته وهو ما قدمه الخليل للدرس جملة وتفصيلاً، وهو ما تضمنه الكتاب الذي أملاه الخليل، وحفظه سيبويه، ولم يضف النحاة المتأخرون إلى ما جاء في الكتاب شيئاً مهماً وجديداً، فقد اقتصرت أعمال النحاة المتأخرين على تفصيل مجمله ، وشرح مفصله واختصار شروحه وشروح مختصراته.

وتعاقب الدارسون على دراسة آرائه وأقواله ومملياته مما تضمنه (الكتاب) ومما رواه عنه دارسون آخرون أخذوا عنه ن وكان (الكتاب) مطلب العلماء وغايتهم، وكان المبرد يقول لمن أراد

shobberal-musawi.com

أن يقرأ الكتاب: "هل ركبت البحر تعظيماً له واستصعاباً لما فيه"، وكانوا يسمونه قرآن النحو إكباراً له وكان الاحتجاج به إقناعاً وتسابق العلماء إلى الانتساب إليه، فكثرت شروحه والتعليقات عليه.

ثانياً كتاب العين :

يعتبر العين أول معجم لغوي في العربية ، يقول محقق كتاب العين: "والعين هذا يعد أول معجم في العربية ولعله معجم مستوعب، وقد أنجز في زمن لم تكن أذهان الدارسين ممهدة لتقبل مثله ، مثله مثل أي عمل يبتكر كان الخليل قد أنفرد في إنجازه، ولذلك بقى بعيداً عن متناول رواة اللغة السلفيين، ولم يخطر على بال أحدهم إذ ذاك أن يصنف كتاباً يكون مدار كلام العرب وألفاظهم ولا يخرج منها عنه شيء، كما جاء في مقدمة نسخة كتاب العين الأصلية، ولم يكن ليكون مما اتجهت أذهانهم إليه وانصبت عنايتهم عليه".

وقد قال ابن دريد عنه: "وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي رضوان الله عليه كتاب العين، فاتعب من تصدى لغايته وعن من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من جاء بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد ولكنه رحمه الله ألف كتاباً مشكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته".

إن الخليل عندما وضع أول معجم للعربية فإنه استقرى العربية استقراء اقرب إلى ما يدعى بالإحصاء في عصرنا الحاضر، فقيض له أن ينتهي إلى كتاب العين، فكان أول معجم في العربية، وهو عمل جداً كبير، وكذلك غير مسبوق من قبل أي شخص، وهذا ما وضحته قصة تأليفه، لهذا الكتاب وذلك عند التقاء الخليل بتلميذه الليث بن النظر، الذي نقل عنه الكتاب، وأوصله إلينا، ويبدو لنا من حديث الخليل مع ابن النظر أن الفكرة مستقرة في عقله، فقط كانت في حاجة إلى ترجمة فعلية على الورق، فقد قال الليث بن النظر: "كنت أصير إلى الخليل بن أحمد فقال : لي يوماً لو أن إنساناً قصد وألف حروف أ ب ت ث على ما أمثله ما استوعب في ذلك جميع كلام العرب، وتهيأ له أصل لا يخرج منه شيء البتة، فقلت وكيف يكون ذلك؟ قال يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فإنه ليس في كلام العرب أكثر منه ، قال الليث فجعلت استفهم ويصف لي ولا أقف على ما يصف، فاختلف إليه في هذا المعنى أياما، ثم اعتل أي - مرض الخليل- وحججت، فما زلت مشفقاً عليه وخشيت أن يموت بعلته، فيبطل ما كان يشرحه لي، فرجعت من الحج، وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما هي في هذا الكتاب، وكان يملي على ما يحفظ، وما شك فيه يقول لي: سل عنه فإذا صح فأثبته إلى أن عملت الكتاب".

ويدل هذا الكلام دلالة واضحة، على تمثل الخليل فكرة تأليف الأبنية؛ أبنية الكلمات وهي التي تتألف منها مادة اللغة.

وبقى الخليل يفكر في ترجمة هذه الفكرة بعد استقصاء وتدبر، رأى أن أصول الكلمات العربية تسعة وعشرون حرفاً، هي حروف الهجاء، وأن الكلمة العربية لا تخرج أبداً عن كونها مؤلفة من بعض

shobber.almusawi.com

هذه الحروف، وبدا عمله بتذوق الحروف، فهداه تذوقه إلى ترتيب الحروف ترتيباً جديداً، كان أول الحروف فيه هو العين، وكان هذا الترتيب الجديد مبني على مخارج هذه الحروف من جوف الفم إلى الشفتين، ولذلك كان أول باب في المعجم هو الباب الذي تنطوي تحته الكلمات التي تحتوي على حرف العين؛ سواء كان العين مبتدأ بها أم غير مبتدأ. والسبب الذي حمله على تغيير ترتيبها وعلى وضعها على قدر مخرجها من الحلق هو أن الترتيب الموروث لم يبنى على أساس علمي، وهو حاول أن يعيد تنظيمها ولكن على أساس علمي واضح.

وهكذا كان قد تأتى للخليل بما أتيح بعقله من أسباب التنظيم أفكار طبيعة اللغة، ونشوئها وعن طبيعة الأصوات (الحروف) التي تتألف مفرداتها منها وقد استخدم كل ما كان لعقله المنظم من إمكانات للدراسة اللغة وفهم طبيعتها.

فالخليل لم يتناول اللغة بالدرس من قمة الهرم كما فعل من سبقه، وكما فعل من عاصره ، ولكنه تناولها من القاعدة، فبدأ بالدرس اللغوي بما يجب أن يبدأ به بدأه بدراسة الأصوات (الحروف)، التي تتألف منها مفردات اللغة ليعرف مواقع تلك الأصوات من جهاز النطق، ويقف على خصائصها وما يترتب على تألفها وتجاورها، واستطاع بذلك أن يفسر ظواهر لغوية لم تكن لتفهم بدون معرفة سابقه بطبيعة الحروف وتفاعلها وتجاورها وتمازجها. وكتاب العين مثل أي عمل أنجزه الخليل كان مثار اهتمام الدارسين ونقاشهم، وكان كأي اثر له موضع إعجاب وإكبار علماء البصرة، ورغم أن الكتاب لم يؤلف في البصرة، ولم يعرفه أصحاب الخليل ولا تلاميذه الآخرين لأن الخليل كان حين تأليفه في ضيافة تلميذه الليث بن المظفر وكان وقتذاك في خرا سان.

الفوائد التي جناها مؤلفو المعاجم من كتاب العين:

هذا وقد أفاد أصحاب المعاجم المتأخر من الخليل في كتاب العين أمورا كثيرة؛ منها أولا: فكرة جمع اللغة في كتاب، وعمل الخليل في هذا الشأن أول عمل من نوعه.

ثانيا: أتبع أصحاب المعاجم طريقة وأسلوب الخليل، في طريقته في الكشف عن أصل الكلمة، فهم قد بنو فصول معاجمهم على الأصول، فإذا أرادوا أن يعرضوا الكلمة أرجعوها إلي أصلها الثلاثي ولم يأخذوا الزوائد بنظر الاعتبار كما فعل الخليل تماما.

ثالثا: أنهم استعانوا بالكثير من الشواهد، وذلك بإيرادهم العديد من الشواهد الشعرية، والأمثال، ومن النثر وآيات من القرآن الكريم، كما كان بفعل الخليل على توضيح المعنى. وهكذا فان كتاب العين بالرغم عما قيل عنه، وبالرغم من تحامل البعض عليه وعلى مؤلفه، وبالرغم أيضا مما فعله به تقادم الزمن وعبث النساخ وانزوائه في إيران لمدة أكثر من ثمانين عاما؛ كان من أكثر المعاجم العربية تأثيرا بين كتب اللغة، وكان نقلة عظيمة نقلت التأليف في اللغة من طور السذاجة إلى طور النضج والاكتمال، وإذا كان أحمد بن فارس اللغوي والجوهري قد اختطا لمعجميهما رسما خطا جديدا، ووضعا لهما أسسا جديدة، فقد كان ذلك كله من تأثير كتاب العين أيضا، لأنه وجه الدارسين

shopper.almusawi.com

إلى مثل هذا التأليف الناضج المكتمل، ومنحهم النظرة المعجمية الواسعة التي لم تقتصر على جمع مفردات محدودة، بل هدفت إلى حصر كلام العرب وأشعارهم وأمثالهم في موسوعات لغوية وهو إحدى الأهداف التي رمى إليها الخليل في تأليفه كتاب العين ثم ألف بعد ذلك هو أو من تبعه من تلاميذه كتابا أسماه فائت العين .

ثالثاً كتاب الجمل في النحو:

يقول محقق كتاب الجمل في النحو عن أن هذا الكتاب، "الجمل في النحو"، "هو من الكتب المنسوبة إلى الخليل ابن أحمد الفراهيدي، وفيه منابع لا تنضب من العقبات والمعضلات والتحديات تواجه علماء النحو ودارسيه، ومؤرخيه، وتهز ما رسموه في أذهانهم أو سطروه في كتبهم، وتفتح أبواباً جديدة في ميادين المصطلحات والمذاهب والتوجيهات والأحكام النحوية، وفي الهياكل الكبرى التي سيطرت على تاريخ النحو والنحاة.

إنه كتاب صغير الحجم رشيق المظهر خفيف الظل، ولكنه على الرغم من ذلك، فهو سفر عظيم القدر عنيف المس ثقيلاً في الميزان، وهو يحمل بين دفتيه ألواناً من العلم متميزة ولمحات من الفكر قديمة مستجدة ونماذج من النظرات النحوية واللغوية والبيانية تقتضي الاهتمام والتدقيق والتحرير.

وأخيراً يوضح محقق الكتاب بعض النقاط المهمة التي ربما تزيل الشك أو ربما تزيده، فيقول:

أولها: أن الكتاب على الرغم من نسبته إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ووجوده عدة نسخ منه بين أيدي الناس، إلا أن أحداً من العلماء أو المؤرخين لم ينقل عنه أنه أستسقى منه شيئاً، إلا ما كان من ابن مسعدة حين زعم مصنفه يقول "أن وجوه النصب على أربعين وجهاً"، بيد أن النسخ الموجودة من الكتاب تختلف مع ما قاله ابن مسعدة، حيث أنها تذكر في أحدها وجوه النصب أحد وخمسون وجهاً، وفي الثانية ثمانية وأربعون وجهاً، وهذا راجع إلى التشكيك الحاصل في الكتاب والزيادات والإضافات التي أضيفت عليه.

الثانية: أن عنوان كتاب "الجمل في النحو" عرف عنواناً لأربعة كتب حتى نهاية القرن الرابع، وأقدمها الكتاب الذي نتحدث عنه، والثاني هو لابن سراج محمد بن السري المتوفى عام ٣١٦ ، والثالث لزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق المتوفى عام ٣٣٧ ، والرابع لأبن خالوية المتوقي عام ٣٧٠.

رابعاً كتابي الإيقاع والنغم:

رغم أن الخليل بن أحمد لم يكن يميل إلى اللهو والمتعة لأن ذلك ينافي ورعه وعبادته إلا أنه ألف كتابين في الموسيقى، أو ربما يكون الكتابين هما كتاب واحد، جمع فيه أصناف النغم، وحصر أنواع اللحون، وحدد ذلك كله ولخصه، وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده.

shobber-al-musawi.com

وكتب التراجم تذكر أن له كتاباً في النغم وكتاباً في الإيقاع إلا أن مترجمين آخرين يذكرونه ككتاب واحد، ويتحدث أبن المعتز عن كتاب الخليل في اللحون، ويذكر بأنه كتاب معروف ويبدوا أن معرفته بالموسيقى مما لا يحتمل الجدل.

ويقول القفطي: "وله علم بالأنغام وله كتاب فيه ومعرفته بالنغم ومواقعها أحدثت له علم العروض"، أما حمزة بن الحسن الأصفهاني فيقول: "وأما علم الغناء والإيقاع فإنه صنع فيه كتاباً سماه تراكيب الأصوات، وهو لم يعالج وتراً، ولا مس قضيباً، ولا كثرت مشاهدته للمغنيين"، بينما ربط ياقوت الحموي واليافعي؛ علاقته بالنغم والإيقاع، واختراعه علم العروض، فقال ياقوت: "وكانت معرفته بالإيقاع هو الذي أحدث له علم العروض"، أما اليافعي فقال: "وله معرفة بالإيقاع والنغم وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض فأنهما متقاربان في المأخذ"، ولا نعرف الكثير عن هذا الكتاب، ولكنه كان معروفاً عند الدارسين المعنيين بالموسيقى والنغم، ويبدو أنه وضع في هذا الكتاب أجزاء الموسيقى العربية المعروفة، وكذلك مصطلحات لأصول الألحان. ويذكر القدماء أن أصول الألحان في الموسيقى العربية القديمة ثلاثة : السبب والوتر والفاصلة، وهذه الأصول؛ هي الأصول العروضية أسماء ومقداراً ،ومن هذه الأصول تركيب الألحان، وتشير كتب اللحون التي صنعت بعد الخليل، والدراسات التي دونت في كتب القدماء؛ إلى أن الخليل كان قد أستخدم هذه المصطلحات لأصول الألحان في كتاب، لأن أسماء الأصول هي الأسماء نفسها، التي كان الخليل قد وضعها لأجزاء التفعيلات.

شذرات من أقواله وأخلاقه :

لقد كان الخليل (من أهل الدين) مع ما أوتي من علم ونبوغ وفطنة رجل متدين ورع زاهد، فقد أقام في خص بالبصرة، لا يقدر على فلس، وعلمه قد أنتشر وكسب به أصحابه الأموال، وكان تلميذه النظر بن شميل يقول: "أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه وهو في خص، لا يشبع به"، وبلغ من زهده ما حكاه النظر قال: "كان الخليل أشعث الرأس شاحب اللون شعث الهيئة منخرق الثياب، منقطع القدمين، مغموراً في الناس، لا يعرف، وما ضره ذلك، وقد بقي ذكره أبد الدهر زاهياً زاهداً أضوع من المسك وأنور من النيرين .

وكان الخليل زاهداً متواضعاً ورعا حقاً، لم يساوره الزهو بما وصل إليه، ولا أضعفت خلقه تلك المنزلة التي أرتفع بها، وكان مرموقاً من أجلها ورضى من العيش الكفاف، وبقى ملازماً خصه لا يجاوزه همه كما كان يقول.

وقال النظر: "ما رأيت أحداً يطلب إليه ما عنده أشد تواضعاً منه"، وكان من الزهاد المنقطعين إلى العلم، وكان من زهده في دنيا المال أن ابتعد عن تملق رجال الحكم فلم يقف على أبوابهم، ولم يرجو نوالهم وعطاياهم، وكثيراً ما رد بإباء شديد ما كانوا يعرضونه عليه من عروض مغرية، فقد طلب

shobber al-musawir.com

إليه سليمان بن علي-والي البصرة- أن يتولى تعليم ولده، وبعث إليه بهدايا محاولاً إغراءه بها، فأخرج الخليل لرسول سليمان كسرات من الخبز اليابس، وقال له: ما دام هذا عندي فلا حاجة لي إلى سليمان، فسأله الرسول ماذا أبلغه عنك، فقال أبياته المعروفة :

ابلغ سلميان إني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي أني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا في المال

وكان سليمان هذا يجري راتب شهري للخليل، فقطعه عن الخليل بعد موقفه هذا، فأنشد الخليل بيتين في ذلك :

إن الذي شق فمي كافل لرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالاً قليلاً فما زادك في مالك حرماني

وبلغت هذه الأبيات سليمان فكتب إليه معتذراً وأضعف له الراتب فقال الخليل:

وزلة يكثر الشيطان أن ذكرت منها التعجب جاءت من سليمان
لا تعجبن لخير زل عن يده فالكوكب يسقى الأرض أحيانا

وضاقت المعيشة على خليل بالبصرة، فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة ثلاثة ألف رجل، ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو أخباري، فلما صار إلى المربد، قال لهم: يا أهل البصرة يعز علي فراقكم، والله لو وجدت كل يوم كليجة من البقلاء ما فارقتكم، فلم يكن فيهم من يتكلف له ذلك، فسار إلى خراسان، فأفاد بها أموالاً ، وبها أيضاً وضع كتاب العين.

وكان ذات يوم يقطع بيتاً من الشعر، فدخل عليه ولده عبد الرحمن، فظن أن أبوه قد جن، أو فقد عقله فأنشد الأبيات التالية :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أعرف ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت إنك جاهل فعذرتكا

ومن شدة تواضعه لأهل العلم، روى أبي المبارك، أنه كان يمشي مع الخليل في إحدى طرقات البصرة، فانقطع شسع نعله، فخلعها، وطفق يمشي حافياً، فخلع الخليل نعليه أيضاً، فسأله أبن المبارك عن سبب ذلك فقال له لأساعدك على الحفاء.

وهبط ذات يوم إلى البصرة وهو يعتزم مناظرة أبو عمرو أبي العلاء، وكان إذ ذاك شيخاً من شيوخ العربية، وكانت له حلقة في مسجد البصرة، وكان الخليل مسكوناً باندفاع الشباب والاعتزاز بما كان يحي فيه من ذكاء وقدرة، لكنه ظل يستمع إليه، وهو ساكت ولم يناقشه أو يقطع حديثه، فسأله رفيقه عن سبب سكوته عن الرد على أبو عمرو، فقال هو رئيس منذ خمسين سنه فخفت أن ينقطع فيفتضح في البلد، وهذا الخلق الكريم هو الطابع البادي على سلوك الخليل في حياته. وأختلف إليه (

shobber.al-mubawi.com

يونس بن حبيب النحوي) لكي يعلمه علم العروض وتقطيع الشعر، فاستصعب العلم، ولم يستطيع أن يستوعب، هذا العلم، أو أن يفهم، فأراد الخليل أن يصرفه بكل أدب واتزان دون أن يشعره بما يريد أو يسبب له إي إحراج، فطلب منه أن يقطع البيت التالي :

إن لم تستطيع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

فشرع الرجل في تقطيع البيت على مبلغ علمه، ثم ذهب ولم يرجع للدرس مرة ثانية، يقول الخليل: "فعجبت من فطنته لما قصدته في البيت مع بعد فهمه".

ومن أقواله المأثورة :

- قال عن العلم: "أن العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، ثم أنت في إعطائه إياك بعضه مع أعطاك إياه كلك على خطر".
- وقال: "لا تماشي من لا يساويك، ولا تجالس من لا يشتهيك، ولا تتكلم فيما لا يعنيك، ولا تغضب على من لا يرضيك، ولا تشتك الفقر لمن لا يغنيك".
- ومن كلامه، "لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه إلا بعد معرفة ما لا يحتاج إليه".
- وقال عن الأمام عليه السلام: "إستغناوه عن الكل واحتياج الكل إليه دليل على أنه أمام الكل".
- ومن كلامه أيضاً، "لا يعلم الإنسان خطأه من علمه حتى يجالس غيره".
- وسئل الخليل: أمؤمن أنت، قال: لا أقوله أخاف أن يكون تزكية وهذا غاية الورع"
- وقال: "إذا رأيت من هو أعلى مني فذاك يوم استفادتي، وإذا رأيت من هو دوني في العلم فذاك يوم إفادتي، وإذا رأيت من هو مثلي في العلم فذاك يوم مذاكرتي، وإذا لم أرى أحداً من هؤلاء فذاك يوم مصيبتي".
- وقال: "الدنيا مختلفات تأتلف ومؤتلفات تختلف قيل أن هذا والله حدها الجامع المانع".

شهادات وأراء العلماء وأقوال المفكرين فيه

أجتمع الخليل بن أحمد وعبد الله ابن المقفع ليلة يتحدثان إلى الفجر، فسأل الخليل كيف رأيت ابن المقفع؟ فقال: رأيت رجلاً علمه أكبر من عقله، وسئل ابن المقفع كيف رأيت الخليل؟ فقال: رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه، وقد صدقا في ذلك؛ فعقل الخليل أدى به إلى الزهد في الدنيا، وعقل ابن المقفع أدى به إلى طلب الدنيا حتى قتل في سبيلها.

وقيل للأصمعي أيما كان أعظم ذكا وفطنه الخليل أم ابن المقفع؟ فقال: كان ابن المقفع أفصح وأحكم، والخليل أأدب وأعقل، ثم قال: شتان ما بين فطنة أدت صاحبها إلى القتل وفطنة أدت صاحبها إلى النسك والزهد في الدنيا.

shobber.al-musawi.com

أما سفيان الثوري، فإنه قال: "من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فينظر إلى الخليل بن أحمد".

وكان النظر بن شميل تلميذ الخليل وصاحبه يقول" "كنا نمثل بين ابن عون، والخليل بن أحمد أيهما نقدم في الزهد والعبادة، فلا ندري أيهما نقدم، وكان عبد الله بن عون هذا هو شيخ البصرة وعالمها وإمامها ، وكان يقول أيضاً: "ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة بعد أبن عوف من الخليل ابن أحمد".

وحدث ابو محمد التوجي قال: "اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق فتذاكرنا أمر العلماء، فجعل أهل كل بلد يرفعون علمائهم ويصفونهم ويقدمونهم، حتى جرى ذكر الخليل فلم يبقى أحد إلا قال: الخليل أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها" .

وكان إسحاق الموصلي واحداً من أولئك الذين كانوا يحفظون في أنفسهم للخليل تقديراً وبه إعجاباً ولعلمه ومنجزاته إكباراً وإسحاق هذا هو الذي قال لإبراهيم بن المهدي حين استحسن كتابة في اللحون "بل أحسن للخليل لأنه جعل السبيل إلى الإحسان".

أما المبرد، فكان يقول لمن أراد أن يدرس النحو (هل ركبت البحر) وهو يعني الكتاب الذي وضعه الخليل بن أحمد، وألفه سيبويه تعظيماً له واستصعاباً لما فيه، وكانوا يسمونه قرآن النحو إكبارا له، وكان الاحتجاج به إقناعا وتسابق العلماء إلى الانتساب إليه فكثرت شروحه.

وكان الدارسون يعجبون بسعة إطلاعه وطول تتبعه ودقة ملاحظته وثقوب فطنته وحذقه في الاستدلال، والاستنباط، حتى كان يونس بن حبيب يقول: "كان الخليل بن أحمد (يستدل بالعربية على سائر اللغات ذكاء منه وفطنه) حتى اجمع الدارسون المعاصرون على أنه (كان أفرس الناس ببين شعر وأصدقهم وكانوا لا يبالون إذا أخذوا عنه خبراً أو أنشدهم شعراً ألا يسمعوه من صاحبه) ثقة به".

وقد جاء في بعض المجلات المصرية كان الخليل آية من الآيات في الذكاء ودقة التصور وتوقد الفطنة وصدق الحدس وسعة الحافظة وقوة الذاكرة ورجاحة العقل من كانوا يقولون لا يجوز على الصراط أحد بعد الأنبياء أدق ذهناً من الخليل ولا حاجة بنا إلى برهان أنصع من هذه المبتكرات التي أخرجها للناس من العروض والموسيقى وكتاب العين والشكل.

shobber.al-musawi.com

المراجع والمصادر

* اعتمد في هذا البحث على كتابين أساسين، وربما يجد القارئ فقرات طويلة منقولة نقلاً حرفياً أو جزئيا من هذين الكتابين لأن هذين الكتابين قد غطيا تقريباً حياة الخليل من كل النـــواحي والأبعـــاد، والكتابين هما :

المصدر	المؤلف
كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي ، عبقري من البصرة	د. مهدي المخزومي
العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ،	د. مهدي المخزومي بتحقيق الدّكتور مهدي المخزوميّ، والدّكتور إبراهيم السّامرائي، مؤسّسة الأعلميّ بيـــروت ١٤٠٨هـــ
أعيان الشيعة ، ترجمة الخليل الفراهيدي	محمد بحر العلوم طبعة بيروت
كتاب الجمل في النحو	الخليل بن أحمد ، تحقيق د. فخر الدين قباذة
دروس في المذاهب النحوية	د. عبده الراجحي
شقائق النعمان على سموط الجمان في شعراء عمان	الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي ، الجزء الأول، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة
البحث اللّغويّ عند العرب مع دراسة لقضيّة التّأثر والتّأثير،	للدّكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨١م
دراسات في المعاجم العربيّة،	للدّكتور أمين محمّد فاخر، مطبعة حسّان، القاهرة ١٤٠٤هـــ.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان،	لابن خلّكان، بتحقيق الدّكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٣٩٨هـــ.

shopper.al-musawi.com

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد*

مقدمة

لا شك في أن العالم بن دريد عالم موسوعي وكانت له أثاره الفكرية إن كان في علوم اللغة أو في الأدب أو في فنون الحياة الأخرى ولا شك بأن الرجل له منهجه الخاص وله رؤاه الفكرية والأدبية. ولقد كان لكتبه ومصنفاته أعمق الأثر في الدرس اللغوي والأدبي وفي الثقافة العربية عموما، ولقد أثارت تلك الكتب والمصنفات اختلافات كثيرة حول منهجه الفكري وحول رؤيته للغة ولصناعة المعجم ، ولقد أختلف على منهجه في "الجمهرة" عدة علماء ولغويون معاصرون له وممن جاء بعده. وحتى هذه الاختلافات أوضحت وجهة نظر العلماء في عمل ابن دريد وأبانت في الوقت نفسه عن قيمة هذا العمل من خلال تسليط الضوء على "الجمهرة" والخلل الذي وجد في أصول الكتاب وفي منهج ابن دريد العلمي الذي أتبعه في هذا الكتاب.

ويبدو أن لابن دريد نظرة مختلفة في مؤلفاته وفي أفكاره وفي منهجه اللغوي؛ نظرة مخالفة لعلماء عصره وأقرانه من العلماء، ولذا فهو يخالفهم في كثير من التصورات والأفكار والمنهج اللغوي وكذلك في نتاجه الفكري والأدبي؛ إن كان في جهوده اللغوية أو في وضع المعجم أو في نظم الشعر، وقد أثارت هذه الرؤى والأفكار والتصورات الكثير من الآراء والأفكار وأصبحت مادة للاختلاف بين العلماء. وهنا نحاول أن نلم بكل عالم بن دريد الفكري ونحاول أن نضع تصورا جديد لفكر ونتاجه

* قدمت هذه الدراسة خلال المؤتمر العلمي عن ابن دريد الذي أقامته وحدة الدراسات العمانية بجامعة أهل البيت في مايو ٢٠٠٨ وود نشر في الإصدار الخاص بهذا المؤتمر

shobbet-al-mosawi.com

الفكري وربما نتفق مع بعض دارسيه ويمكن أن نختلف معهم وينبغي علينا النظر لجهود ابن دريد في سياق شخصيته وملامح عصره دون ابتسار أو اجتزاء جزء من شخصيته ومن علومه ومن مصنفاته والحكم عليه من خلال تلك المصنفات أو الحكم عليه من خلال أراء معاصريه أو من تبعه دون مراجعة والنظر في مصنفاته وأرائه هو ومن خلال شخصيته وسياقه التاريخي واللغوي والفكري.

وسنتناول فكر ابن دريد من خلال عدة مباحث سوف تركز في أولها على دور الانتقال في حياة بن دريد والآثار الفكرية والإنسانية التي أفرزتها تجاربه الإنسانية والتنقل في حياته على فكره، وننتقل بعد ذلك للآثار الفكرية لمؤلفاته وانعكاسها على الفكر اللغوي ونناقش النتائج الإيجابية والسلبية على آثاره ومصنفاته ثم نرجع على تجربته الشعرية والأدبية ودور مقصورته في الشعر العربي القديم والمعاصر:

نبذة من حياة ابن دريد:

ابن دريد [1] اسم لامع في مجال التراث اللغوي عند العرب ، فهو مصنف كتاب الاشتقاق وكتاب الجمهرة وحسبك بهما شهرة وعلوّ مكانة .

ابن دريد هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، وُلد بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين للهجرة . وكان والده من ذوي اليسار . وفي البصرة تلقى علومه ، وقرأ على علمائها وأخذ عن مشايخها ، وتتلمذ لأساتيذها .. فقد قرأ على عمّه ، كما أخذ عن عددٍ من العلماء وروى عنهم ، وقد ذكرت المصادر قصصاً طريفة عن سرعة حفظ ابن دريد وقوّة ذاكرته .

لم تقدّم لنا المصادر تاريخاً محدداً دقيقاً لكل مرحلة من مراحل حياة ابن دريد ، وإنما قدّمت كلاماً عاماً موجزاً مختصراً حياةً امتدت نحواً من تسعين عاماً ، قال صاحب الفهرست ٦٧ : وأقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ، ثم صار إلى جزيرة ابن عُمارة – كذا – فسكنها مدة ، ثم صار إلى فارس فقطنها ثم صار إلى بغداد فنزلها " وقال ياقوت في إرشاد الأريب ٨ : ١٢٧ : " ومولده بالبصرة في سكة صالح في خلافة المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وبالبصرة تأدب وعلّم اللغة وأشعار العرب ، وقرأ على علماء البصرة ، ثم صار إلى عُمان فأقام بها مدّة ، ثم صار إلى جزيرة ابن عمر ، ثم صار إلى فارس فسكنها مدة ، ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات ".

وقد انقسمت حياته إلى مراحل متعددة:

1- المرحلة البصرية الأولى: بدأت في البصرة : سنة مولده عام ٢٢٣ هـ إلى سنة ٢٥٦ هـ تاريخ هجرته إلى عمان قبيل استيلاء الزنج على البصرة وتخريبها وحرقها.

shoober-al-musawi.com

وقد نشأ ابن دريد خلال هذه الفترة وتعلم ، وتمرن على الشعر بشتى فنونه.

٢- المرحلة العمانية : من سنة ٢٥٦ - ٢٧٠ هـ وهناك أثرى حصيلته من لغة أهل الجنوب ولهجاتها ، كما تمكن من ربط الصلة ببلاد أجداده وبرؤساء قومه وبني عمومته من الأزد ، وقد عاشرهم عشرة طويلة أثرت في شعره وطبعته بطابع العصبية القبلية التي عرفت لشعراء البداوة من قبله.

٣- المرحلة البصرية الثانية: عاد إلى البصرة : سنة270 -٢٩٥ هـ بعد القضاء على ثورة الزنج ، كان يدرس بالبصرة ، وبدأ نجم ابن دريد يعلو ، وأخذت شهرته تطبق أنحاء العراق.

4- المرحلة الفارسية : من سنة ٢٩٥ - ٣٠١ هـ حيث استدعاه الشاه ابن ميكال إلى الأهواز ، وقد اعتنى في هذه المرحلة بتأديب أبي العباس الميكالي ابن الشاه وتفقيهه في اللغة حيث أملى عليه الجمهرة ، ونظم فيه وفي والده المقصورة (مقصورة ابن دريد الشهيرة) كما تولى في نفس الوقت رئاسة ديوان الشاه ، وتعتبر هذه الفترة أخصب فترة مادية في حياة ابن دريد ، فقد أفاد من ممدوحيه أموالا طائلة ومكانة ما كان يحلم بمثلها في البصرة.

٥- المرحلة البصرية الأخيرة: من سنة ٣٠١ - ٣٠٨ حيث عاد للتدريس بجامع البصرة، وأعاد إملاء الجمهرة وكتبه الأخرى على الطلبة الذين توافدوا عليه من أنحاء العراق. وقد تمت له في تلك الفترة زعامة مدرسة البصرة اللغوية، واعتبره المؤرخون خير مدافع عن مجد هذه المدينة العلمي.

6 - المرحلة البغدادية : من سنة ٣٠٨ - ٣٢١ هـ تاريخ وفاته) رحمه الله) حيث قدم إلى بغداد واستقر بها ، وكانت تلك الفترة الأخيرة في حياته هي أخصب مراحل الإنتاج في حياته فقد توافد عليه الطلبة والمتأدبون ورجال العلم من أنحاء العالم العربي ، وتتلمذوا عليه .

ولا شك في أن فترة وجوده في فارس قد ساهمت في شهرته وفي اتساع معرفة الناس يه ولا ننسى ما كان يتمتع به من سعة في رخاء العيش والمكانة السياسية والأدبية التي كان يتمتع بها، والتي أتاحت له أن يكون بارزا بين السياسيين والمقربين في ديوان بن ميكال والتي ساهمت في رضاء البعض عليه كما ساهمت في وإظهار المخالفين وإيغار صدور والمنافسين له وتحريض البعض الآخر عليه؛ كابن نفطويه الذي هجاءه بعد صدور كتاب الجمهرة، " ثم خرج إلى نواحي فارس وصحب ابني ميكال، وكانا يومئذ على عمالة فارس، وعمل لهما كتاب الجمهرة وقلداه ديوان فارس، وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه، ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه، فأفاد معهما أموالا عظيمة، وكان

shabber.al-musawi.com

مفيدا مبيدا لا يمسك درهما سخاء وكرما، ومدحهما بقصيدته المقصورة فوصلاه بعشرة آلاف درهم، ثم انتقل من فارس إلى بغداد، ودخلها سنة ثمان وثلاثمائة بعد عزل ابني ميكال وانتقالهما إلى خراسان.ولما وصل إلى بغداد أنزله علي بن محمد الحواري في جواره وأفضل عليه، وعرف الإمام المقتدر خبره ومكانه من العلم، فأمر أن يجرى عليه خمسون دينارا في كل شهر، ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته".

نظرة على كتبه ومصنفاته

يبدو لابن دريد نظرة مختلفة في مؤلفاته وفي أفكاره نظرة مخالفة لعلماء عصره وأقرانه من العلماء في وضع التصورات والأفكار والنتاج الفكري والأدبي إن كان في جهوده اللغوية أو في وضع المعجم في نظم الشعر، وهنا نحاول أن نلم بكل عالم بن دريد الفكري ونحاول أن نضع تصورا جديد لفكر ونتاجه الفكري وربما نتفق مع بعض دارسيه ويمكن أن نختلف معهم

ومن خلال مطالعتنا لما كتب عن ابن دريد نلاحظ اتفاق دارسيه على نمط واحد واتجاه فكري واحد في دراستهم وربما تكون تلك الأفكار قد جاءت مسايرة لأفكار معاصريه ، أو متابعة لأفكار ورؤى معاصريه دون أن يكون لهؤلاء الدارسين أي وجهة نظر محايدة أو مستقلة عن تلك الأفكار والأراء المسبقة التي طرحها بعض معاصريه. أي أن الدارسين الذين جاؤوا بعد ابن دريد اتبعوا أفكار معاصريه دون تعمق أو دراسة موضوعية وفنية لنتاجه الفكري وهنا نحن نحاول أن نقدم رؤية جديدة لنتاج ابن دريد الفكري

ولا بن دريد من التصانيف المشهورة ، منها كتاب الجمهرة وهو من الكتب المعتبرة في اللغة، وله وقد كتب قاموسه "الجمهرة في علم اللغة" وأهداه إلى أبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال، وكتب غيره من المصنفات اللغوية مثل كتاب "السرج واللجام" ، وقد كتب قاموسه "الجمهرة في علم اللغة" وأهداه إلى أبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال، وكتب غيره من المصنفات اللغوية مثل كتاب "السرج واللجام" ، كما ألف كتاب "الاشتقاق" ضد الشعوبية وفيه يفسر اشتقاق الأسماء العربية، وكذلك كتب "المقصور والممدود"

كما له كتاب الاشتقاق و كما ألف كتاب "الاشتقاق" ضد الشعوبية وفيه يفسر اشتقاق الأسماء العربية، وكذلك كتب "المقصور والممدود" وكتاب غريب القرآن لم يكمله، وكتاب المجتنى وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة،وكذلك الوشاح صغير مفيد.

shobber al-musawi.com

وهنا نقدم عرضا لبعض هذه الكتب وأسماء محققيها ودور النشر التي قامت بطبعها ، زيادة للفائدة:

- الاشتقاق : نشره فردناند وستنفلد : غوتا ١٨٥٣ أو ١٨٥٤ ثم نشرته مؤسسة الخانجي بتحقيق المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون ١٩٥٨ .

- جمهرة اللغة : عني به المستشرق كرنكو والشيخ محمد السورتي ونشر في حيدر اباد بالهند ١٣٥٣ هـ . ثم صدر في لبنان بتحقيق الدكتور رمزي بعلبكي.

- ديوان ابن دريد : نشره السيد محمد بدر الدين العلوي بالقاهرة ١٩٤٦ . قال سوزكين : ثم أخرجه عمر بن سالم في طبعة جديدة مستنداً إلى قصائد وردت في الكتب المخطوطة . تونس ١٩٧٣ .

- السرج واللجام : طبع في ليدن ضمن مجموعة جرزة الحاطب ١٨٥٩ ثم نشر بتحقيق د . إبراهيم السامرائي في العدد ١٣ من مجلة كلية الآداب ببغداد ثم نشر في القاهرة بتحقيق د . مناف مهدي محمد بعنوان صفة السرج واللجام . معهد المخطوطات العربية .
- المجتنى : نشره المستشرق كرتكو في حيدر آباد ١٣٤٢ هـ وطبع ف يحلب . ونشرته دار الفكر بدمشق ١٩٧٩ .

- مقصورة ابن دريد : لها طبعات عديدة وشروح عديدة .

- وصف المطر والسحاب : نشره المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق عز الدين التنوخي ١٩٦٣ .

- المفجع البصري ت ٣٢٧ هـ قال بروكلمان ٢ : ٢٣٧ ط دار المعارف في ترجمة المفجع : وله كتاب المنقذ في الأيمان وضعه على مثال الملاحن لابن دريد. وأخذ عنه ياقوت في معجم البلدان ٣ : ١٣٣ بعض أخبار ملوك اليمن وفيه ص٤١٤ ترجمة الصين .

shopper.almusawi.com

(١٠) ابن فارس ت ٣٩٥ هـ : كتاب المعاريض نشر في مجلة المورد – العدد ٣ – المجلد ١٣ بغداد ١٩٨٤ بتحقيق الدكتور أحمد خان أما كتاب فتيا فقيه العرب فقد حققه الدكتور حسين محفوظ ونشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٣٣ ص ٤٤٣ وما بعدها .

(١١) الصاهل والشاحج لأبي العلاء نشرته الدكتورة بنت الشاطئ في دار المعارف ١٩٧٥ .

(١٢) الكَلاعي أبو القاسم محمد بن عبد الغفور لم يصل إلينا من كتبه إلا إحكام صنعة الكلام الذي حققه الدكتور محمد رضوان الداية ونشره في بيروت ١٩٦٦ ولكن في أسماء مؤلفاته ما يشير إلى مشاركته في هذا الأسلوب ككتابه الساجعة والغريب وكتابه السجع السلطاني وكتابه خطبة الإصلاح وهذه الكتب الثلاثة ألفها الكلاعي لمعارضة أبي العلاء المعري كما ذكر الدكتور الداية .

ونلاحظ اختلاف عدد الكتب التي وضعها ابن دريد واختلاف أسمائها وعناوينها ، حيث

ثانيا: جهوده اللغوية والأدبية ومصنفاته العلمية:

فإذا ما حاولنا بعد ذلك التعرف على جهوده في ميدان اللغة فإننا سنجدها مبثوثة في مصنفاته الأدبية أو في جهرة اللغة بوجه خاص أو في سائر مصنفاته. وقد برزت له معها جهود لغوية أخرى يمكن أن نجمعها في شكل قضايا لغوية متفرقة، سنعرض لها- إن شاء الله- بعد أن نقف على ما حوت مصنفاته أولاً من هذه الجهود. أما في مصنفاته الأدبية فقد عني باللغة عناية خاصة تمثلت في تجميع مفرداتها المتلاقية المعاني المختلفة الأشكال في أسر لغوية، تجد ذلك في الأفعال وفي الأسماء وفي التراكيب التي يقترب بعضها من بعض في الدلالة وتختلف عنها في الصياغة.

وسبب تأليفه لهذه المصنفات أولا هو متابعة من سبقه وخصوصا في الجمهرة هو إكمال ما بدأه الخليلي في معجم العين، وكان هدفه من وراء تأليف كتاب الملاحن هو المحافظة على اللسان العربي والوقوف في وجه الشعوبية والأقوام الأعجمية التي دخلت الإسلام وهو الأزدي وريث هذه الأمة العربية واللسان العربي وكان لا بد من التصدي لتلك الهجمة فكان لا بد من وضع التصنيفات التي تحفظ تراث الأمة، ويمكننا أن نقسم كتبه أو ما وصلنا منها إلى ثلاثة فروع رئيسية:

الأول: **كتب في اللغة**، وقد كتب عدة كتب في علوم اللغة ومنها:

جمهرة اللغة وقد كتب قاموسه "الجمهرة في علم اللغة" وأهداه إلى أبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال، وكتب غيره من المصنفات اللغوية مثل كتاب "السرج واللجام" **وكتاب الملاحن**

shoober.al-musawi.com

والثاني في العلوم المختلفة:

والثالث مصنفاته الشعرية ديوان شعره الذي يتضمن المقصورة وقصائد المدح والرثاء.

أهمية معجم الجمهرة بين المعاجم اللغوية

وينبغي أن ننظر لجهود ابن دريد في الجمهرة في اللغة في ضوء الدرس والمعجم اللغوي القديم ونظرة اللغويون العرب القدماء لصناعة المعاجم في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ الثقافة العربية التي كانت في مرحلة التأسيس الفكري للنهضة الثقافية والفكرية التي قامت فيما بعد. فلم تكن صناعة المعاجم معروفة لديهم ويمكن أن نشير في هذا الشأن إلى أن معجم ابن دريد هو ثاني معجم بعد معجم العين للخليل ابن احمد الفراهيدي . وكما وجه الكثير من النقد لكتاب العين كذلك فعل بالجمهرة. ولهذا فإننا لا نستعبد وقوع بعض الخلل في بعض أوجه التأليف الفكري واللغوي، وهذا ما قد حصل لكتابي العين والجمهرة وما جاء بعدهما من المعاجم القديمة

[قال التّوحيديّ]: قلنا له: فلو فَصَّلْتَ بالبيان عن هذا الخلل، وفتحتَ لنا باباً من العلم. فقال: نحن إلى سَتْر زلاّت العلماء أحوجُ منّا إلى كشفها... فلمّا نهضنا من مجلسه قال بعض أصحابنا: قد كان ينبغي أن نقول له: حراسةُ العلم أَولى من حراسة العالِم، وفي السّكوت عن أبي بكر إجلال، ولكن خيانة للعلم)).

وقال ابن جنّيّ: ((وأمّا كتاب الجمهرة ففيه -أيضاً- من اضطراب التّصنيف وفساد التّصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ...)).

وسف نعرض في هذا المبحث للآراء المعارضة والمتفقة مع ما جاء فيه، ونَتَبَيَّنَ ما جاء في هذا المعجم من خَلل في الأصول واضطراب فيها، ونقف عن كَثَبٍ على أنواع ذلك الخلل، وأكشف عن أسبابه، من واقع النّصوص الواردة في أبواب الجمهرة، بعيداً عن العواطف، أو التأثر بأقوال العلماء مدحاً أو قدحاً.

ويبدو من مواضع الخلل التي أتهم بها كتاب الجمهرة أنها لا تدل على قصر في فهم ابن دريد للعربية ولا في منهجه العلمي، ولا تقصر من فهمه في اللغة ولكنها تدل على قدرة وسعة علمه وهذا واضح من منهجه ومن قدرته على اختراع منهج علمي جديد ورؤية ثاقبة في البحث اللغوي والبحثي وفي طرح رؤية جديدة لم يسبق إليه أي عالم من علماء العربية.

أهمية كتاب الجمهرة:

shobber-al-musaw.com

والثاني في العلوم المختلفة:

والثالث مصنفاته الشعرية ديوان شعره الذي يتضمن المقصورة وقصائد المدح والرثاء.

أهمية معجم الجمهرة بين المعاجم اللغوية

وينبغي أن ننظر لجهود ابن دريد في الجمهرة في اللغة في ضوء الدرس والمعجم اللغوي القديم ونظرة اللغويون العرب القدماء لصناعة المعاجم في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ الثقافة العربية التي كانت في مرحلة التأسيس الفكري للنهضة الثقافية والفكرية التي قامت فيما بعد. فلم تكن صناعة المعاجم معروفة لديهم ويمكن أن نشير في هذا الشأن إلى أن معجم ابن دريد هو ثاني معجم بعد معجم العين للخليل ابن احمد الفراهيدي . وكما وجه الكثير من النقد لكتاب العين كذلك فعل بالجمهرة. ولهذا فإننا لا نستعبد وقوع بعض الخلل في بعض أوجه التأليف الفكري واللغوي، وهذا ما قد حصل لكتابي العين والجمهرة وما جاء بعدهما من المعاجم القديمة

[قال التّوحيديّ]: قلنا له: فلو فَصَّلْتَ بالبيان عن هذا الخلل، وفتحتَ لنا باباً من العلم. فقال: نحن إلى سَتْر زلاّت العلماء أحوجُ منّا إلى كشفها... فلمّا نهضنا من مجلسه قال بعض أصحابنا: قد كان ينبغي أن نقول له: حراسةُ العلم أولى من حراسة العالِم، وفي السّكوت عن أبي بكر إجلال، ولكن خيانة للعلم)).

وقال ابن جنّيّ: ((وأمّا كتاب الجمهرة ففيه -أيضاً- من اضطراب التّصنيف وفساد التّصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ...)).

وسف نعرض في هذا المبحث للآراء المعارضة والمتفقة مع ما جاء فيه، ونَتَبَيَّنَ ما جاء في هذا المعجم من خلل في الأصول واضطراب فيها، ونقف عن كَثَبٍ على أنواع ذلك الخلل، وأكشف عن أسبابه، من واقع النّصوص الواردة في أبواب الجمهرة، بعيداً عن العواطف، أو التأثر بأقوال العلماء مدحاً أو قدحاً.

ويبدو من مواضع الخلل التي أتهم بها كتاب الجمهرة أنها لا تدل على قصر في فهم ابن دريد للعربية ولا في منهجه العلمي، ولا تقصر من فهمه في اللغة ولكنها تدل على قدرة وسعة علمه وهذا واضح من منهجه ومن قدرته على اختراع منهج علمي جديد ورؤية ثاقبة في البحث اللغوي والبحثي وفي طرح رؤية جديدة لم يسبق إليه أي عالم من علماء العربية.

أهمية كتاب الجمهرة:

shopberalmusawi.com

١ – ثاني معجم بعد معجم العين:

أدّى ظهور معجم ((الجمهرة)) في مرحلة مبكّرة من تاريخ الصّنعة المعجميّة في اللّغة العربيّة إلى أن تلقّاه العلماء في بادئ الأمر بالتّرحيب، لأسباب منها:

٢ ــ شهرة مؤلّفة ابن دريد في اللّغة، وغزارة محفوظة فيها.

٣ ــ حاجة العصر إلى معجم جديد يعضّد معجم العين، ويسدّ ما فيه من نقص، ويتلافى ما فيه من عيوب.

٤ ــ تخلّصه من المنهج الصّوتيّ الّذي اتّبعه معجم ((العين)) واستبداله المنهج الأبتثيّ به، على الرّغم من أنّ ابن دريد ساير صاحب ((العين)) في نظام التّقليبات.

وبعد ذيوع هذا المعجم الجديد وانتشاره في المشرق العربيّ، واستقراره بأيدي طلبة العلم ومحبّي العربية، رأى فيه بعض العلماء ما يكدّر الصّفو، فأعادوا النّظر فيه، ونشأت طائفة تقدح فيه، وفي مؤلّفه،

شهادة علماء عصره فيه : وثناء العلماء على كتاب الجمهرة:

نعم، ولم تكن هذه الملحوظات وغيرها قادحة في علم ابن دريد، أو في معجمه الجمهرة)) عند كثير من العلماء، الّذين أقرّوا له بالحذق والاستيعاب في العربية، والتقدّم في صناعة المعاجم، فأثنوا عليه. ومن حقّ ابن دريد علينا أن نذكر بعضهم إنصافاً له وللعلم:

فمن هؤلاء أبو عليّ القاليّ الّذي تتلمذ على ابن دريد، وتعلّم على يديه صناعة المعاجم، فأخرج معجمه ((البارع)) وكان كثير الثّناء على شيخه، ويصفه بأنّه: ((إمام هذه العلم في عصره، ومنقطع القرين فيه في دهره)).

ولم يزل القالي يشهد لشيخه ابن دريد بثبات الذّهن، وكمال العقل، على الرّغم من علوّ سنّه، ومناهزته التّسعين، وتعرّضه للأمراض، كالفالج وغيره، فيقول: ((وكنت أسأله عن شكوكي في اللّغة، وهو بهذه الحال، فيردّ بأسرع من النّفَس، بالصّواب. وقال لي مرّةً – وقد سألته عن بيت شعر: لئن طُفِئَتْ شحمتا عينيّ لم تجد من يشفيك من العلم)).

ومنهم أبو الطّيّب اللّغويّ، ومما قاله عنه: ((... فهو الذي انتهى إليه علم لغة البصريين، وكان أحفظ النّاس، وأوسعَهم علماً، وأقدَرَهم على شعر، وما ازدحمَ العلم والشّعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد)).

ومنهم أبو الحسن المسعوديّ، إذ قال ممتدحاً ابن دريد: ((انتهى في اللّغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها)).

ومنهم أبو بكر الزّبيديّ، وهو القائل في ترجمته: ((... وكان أعلم النّاس في زمانه باللّغة والشّعر وأيّام العرب وأنسابها وله أوضاع جمّة)).

وكان أبو البركات الأنباريّ يقول عنه: إنّه ((من أكابر علماء العربيّة)).

shobber.al-mubawi.com

أمّا القفطيّ فجعله ((رأس أهل العلم، والمتقدّم في حفظ اللّغة وأشعار العرب)).
وفي المقابل أثنى كثير من العلماء على ابن دريد ، قال أبو الطيب اللغوي في " مراتب النحـــويين " ٨٤ : فهو – أي ابن دريد – الذي انتهى إليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحدٍ ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد . . .

كان ممن أخذ عنه: أبو الفرج الأصفهاني وأبو عبيد الله المرزباني وأبو علي القالي. وقد أخذ هو عن أبي حاتم السجستاني.

ويتّفق الفريقان –منتقدو ابن دريد وممتدحوه– على أنّه كان ذا حافظة قويّة، أفاد منها في تأليف معجمه، فأملاه من ذاكرته إملاء، من غير نظر في شيء من الكتب، إلاّ في بابي الهمزة واللّفيف، فإنّه طالع لهما بعض الكتب.

ولذا ينبغي أنْ تحفظ لابن دريد مكانته العلميّة الّتي تليق بعالم لغويّ متقدّم خَطَا بالصّـنعة المعجميّة خطوة موفّقة إلى الأمام، وبرع في اشتقاق الألفاظ، ولم يقصّر في التّصريف، ولا يضيره ألاّ نضعه في منزلة أبي عليّ الفارسيّ أو تلميذه ابن جنّي، فهـذان مـن أعـلام التّصريف في العربية، ومن رواده المشهود لهم بالتفوّق.
وحَسْبُ ابن دريد أنّ يقال: إنّه كان على قدر كافٍ من الإلمام بالتّصريف، إلى الحدّ الـذي يُؤهّله لوضع معجم لغويّ يقوم أساساً على معرفة أصول الألفاظ، وما يعتريها من زوائد، ولولا الأسباب السّتة التي ذكرتُها في هذا البحث لجاء معجم ((الجمهرة)) في وضع أفضل.

أثر الجمهرة في الدرس اللغوي القديم

والجمهرة أحد المعاجم العربية الكبيرة، وسمّاه بهذا الاسم لأنه اختار الجمهور (المشهور) من كلام العرب ، وترك الوحشي والمستنكر، ونهج فيه منهج الخليل، مع أنه أراد أن يتخلص منـه، ولكنـه اتبعه في كثير ، وشذ عنه في الترتيب إذ رتب كتابه على حروف المعجم، وفي ذلك يقول:"وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة، إذ كانت بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة". وعنى كثيراً بترتيب الحروف جاعلاً أساسه الأبنية، وسار على طريقة الخليل، مدخلاً فيها بعض الزيادات، وبدأ بالثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي، ثم ملحق الرباعي ثم الخماسي والسداسي وما يلحق بهما ، وأفرد للنوادر باباً خاصاً بخلاف الخليل الذي وضعها مع المواد كلا في بابها.

أهمية كتاب الجمهرة في الدرس اللغوي الحديث:

shobber-almusawi.com

وقد نقل وأشاد بعمل ابن دريد العديد من علمائنا الأفاضل المعاصرين والسابقين ، ومنهم السيوطي في كتابه بغية الوعاظ، ود. حسين نصار المعجم العربي نشأته وتطوره، ود. عبد السميع السيد في كتابه المعاجم العربية دراسة تحليلية، ود. عدنان الخطيب المعجم العربي بين الماضي والحاضر

كما نقل عن معجم الجمهرة العديد من الدارسين المعاصرين وتأثر بآرائه معظم علماء اللغة المعاصرين وظهر ذلك واضحا في الكتب العربية المعاصرة، ومنهم: د. علي عبد الواحد كافي في كتابيه فقه اللغة وعلم اللغة، ود. إبراهيم أنيس عن اللهجات العربية، ود. رمضان عبد التواب في كتابيه "لحن العامة والتطور اللغوي وكتابه التطور اللغوي"، ود. محمود فهمي حجازي في كتاب علم اللغة العربية، د. عبده الراجحي في كتابه والدكتور رجب عبد الرحمن في كتابه دراسات في الدلالة والمعجم، وغيرهم.

ويكفى ابن دريد شرفاً وفخراً أن معظم الكتب التي تهتم باللغة العربية والمعاجم التي ألفت بعده سارت على نهجه. وحتى يومنا هذا لا تجد كتابا يتحدث في علم اللغة أو الدلالة أو المعجم إلا ويتطرق لفكر بن دريد ورؤيته في تفسير والتحليل اللغوي أو منهجه في وضع المعجم أو في الاشتقاق أو في الترادف اللفظي وهو جهد وسبق يسجل لابن دريد في هذه العلوم اللغوية .

والجمهرة أحد المعاجم العربية الكبيرة، وسمَّاه بهذا الاسم لأنه اختار الجمهور (المشهور) من كلام العرب ، وترك الوحشي والمستنكر، ونهج فيه منهج الخليل، مع أنه أراد أن يتخلص منه، ولكنه اتبعه في كثير ، وشذ عنه في الترتيب إذ رتب كتابه على حروف المعجم، وفي ذلك يقول:"وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة، إذ كانت بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة". وعنى كثيراً بترتيب الحروف جاعلاً أساسه الأبنية، وسار على طريقة الخليل، مدخلاً فيها بعض الزيادات، وبدأ بالثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي، ثم ملحق الرباعي ثم الخماسي والسداسي وما يلحق بهما ، وأفرد للنوادر باباً خاصاً بخلاف الخليل الذي وضعها مع المواد كلا في بابها.

وينبغي أن ننظر لجهود ابن دريد في الجمهرة في اللغة في ضوء الدرس والمعجم اللغوي القديم ونظرة اللغويون العرب القدماء لصناعة المعاجم في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ الثقافة العربية التي كانت في مرحلة التأسيس الفكري للنهضة الثقافية والفكرية التي قامت فيما بعد. فلم تكن صناعة المعاجم معروفة لديهم ويمكن أن نشير في هذا الشأن إلى أن معجم ابن دريد هو ثاني معجم بعد معجم العين للخليل ابن احمد الفراهيدي . وكما وجه الكثير من النقد لكتاب العين كذلك فعل بالجمهرة. ولهذا فإننا لا نستعبد وقوع بعض الخلل في بعض أوجه التأليف الفكري واللغوي، وهذا ما قد حصل لكتابي العين والجمهرة وما جاء بعدهما من المعاجم القديمة

Shoubet.al-musaw.com

والفكرية والأدبية.

ثانيا: نظرة على كتاب الملاحن ودوره في الاشتقاق اللغوي، والترادف اللفظي:

يعتمد مفهوم مصطلح (اللحن – الملاحن) عند ابن دريد في كتابه هذا على الانزياح في استعمال لفظ معيّن عن الدلالة العامة الشائعة المعروفة عند الناس المتداولة فيما بينهم ، إلى دلالة معجمية أخرى لهذا اللفظ نفسه ، لا يعرفها السامع ولا يدرك معناها إلا بعد مراجعة المعجمات أو بعد أن تُفسَّر له ، فكأنها لغز من الألغاز ، وذلك لأن اللفظ ضمن التركيب المستعمل يحتمل معنيين أو أكثر ، أحدهما قريب وهو غير مقصود ، وإنما المقصود هو المعنى البعيد ، أي إن ابن دريد استخدم ظاهرة المشترك اللفظي واستفاد منها وأقام عليها كتابه . ويعد ابن دريد أول لغوي ينحى هذا المحنى في التأليف اللغوي ويؤلف كتابا في المشترك اللفظي

وقيمة ما قام به ابن دريد أنه سبق إلى الاتّساع والتصنيف في هذا الفن ، وسار على خطاه مَنْ تبعه ، فقد صنّف من معاصريه على منواله المفجّع البصري (ت ٣٢٧ هـ) كتاب " المنقذ من الأَيْمان " وصنف ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) كتاب " المعاريض " وكتاب فيتا فقيه العرب "وسلك هذا المسلك من بعدُ أبو العلاء المعرّي / في بعض نصوص رسالته " الصاهل والشاحج " والكَلاعي محمد بن عبد الغفور في بعض كتاباته .

مصادر البحث:

المراجـــــع والمصادر

المصدر	المؤلف
جمهرة اللّغة، لابن دريد	بتحقيق الدّكتور رمزي

Shobber almusawi.com

منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م (وإحالاتي في هذا البحث هي على هذه الطّبعة).

الاشتقاق : ابن دريد . بتحقيق عبد السّلام هارون، الخانجي، القاهرة ١٣٧٨هـ

كتاب الملاحن، نشرة توربكه ١٨٨٤ - بتحقيق د . عبد الإله أحمد نبهان ، قسم اللغة العربية – جامعة البعث بحمص، بحث مقدّم إلى مؤتمر المخطوطات الألفية بمكتب

تهذيب اللّغة، للأزهريّ، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف، القاهرة ١٣٨٤هـ.

العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، - بتحقيق الدّكتور مهدي المخزوميّ، والدّكتور إبراهيم السّامرائي، مؤسّسة الأعلميّ بيروت ١٤٠٨هـ.

shobber.al-musawi.com

منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م (وإحالاتي في هذا البحث هي على هذه الطّبعة).

الاشتقاق : ابن دريد . بتحقيق عبد السّلام هارون، الخانجي، القاهرة ١٣٧٨هـ

كتاب الملاحن، نشرة توربكه ١٨٨٤ - بتحقيق د. عبد الإله أحمد نبهان ، قسم اللغة العربية – جامعة البعث بحمص، بحث مقدّم إلى مؤتمر المخطوطات الألفية بمكتب

تهذيب اللّغة، للأزهريّ، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف، القاهرة ١٣٨٤هـ.

العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ، - بتحقيق الدّكتور مهدي المخزوميّ، والدّكتور إبراهيم السّامرائي، مؤسّسة الأعلميّ بيروت ١٤٠٨هـ.

Shobber.al-musawi.com

أحمد بن ماجد

أسد البحار ورئيس علم البحر

وألقوا سلاح الجهل لما تحققوا مقالي في عرب وعجم وديلم
بقولي إني رابع لثلاثة فحق لحسادي تموت وتغتم
بوادر علم البحر عني تفرعت وخير صفات البحر تخرج من فمي*

---

* من شعر أحمد بن ماجد

shopper.al-musawi.com

أحمد بن ماجد النجدي

مقدمة:

إننا لسنا بصدد الحديث عن أمير من الأمراء، ولا إمام من الأئمة، وليس عالما من علماء الدين واللغة، لكنه في نفس الوقت هو أمير وهو إمام من الأئمة، وهو أيضاً عالم من العلماء في مكانته ومنزلته العلمية. فهو أمير البحر وهو (إمام) في مرتبة الأئمة في عمله وورعه وتقواه، وهو أيضاً عالم من علماء البحر وعلومه، وعلوم الفلك وقياساته.

لقد جاءت شهرة أحمد بن ماجد من خلال عمله في البحر، وعلى ظهر السفن، وفي مواجهة العواصف والرياح والأمواج، لا على ظهر اليابسة، ولم يتحصل على علومه ومعارفه في أوقات الرخاء والراحة ؛ لا وإنما كان يتحصل على علومه معارفه بالتجربة والقياس، وفي أوضاع المخاطرة ، وفي مواجهة عواصف وشدائد البحار، ولذلك أطلق عليه أسد البحار.

لكنه رغم ذلك اكتسب شهرة واسعة وكبيرة؛ شهرة قلما توفرت لملاح أو ربان من الربابنة العرب، وهذه الشهرة لم تكن فقط لأنه ملاح وربان مشهور على ظهر البحر، ولكنه كان أيضاً عالما ومؤلفا معروفا في علوم البحار وله عدة مصنفات في هذا العلم، أشهرها على الإطلاق كتاب الفوائد في علم البحر والقواعد.

أنا البحر في أحشائه الرد كامن فهل سألوا الغواص عن صدافتي

ومما يذكر في هذا المجال أن الذين استفادوا من علم أبن ماجد هم الفرنجة والبرتغاليين، ليس بدعوى أنه أوصلهم إلى ساحل الهند الشرقي عبر رأس الرجاء الصالح، لا ؛ وإنما استفادوا من مصنفاته بعد ترجمتها إلى لغاتهم ودراسة هذه المصنفات.

أما العمانيون والعرب، فلقد استفادوا من الناحية العلمية، وذلك من خلال تواجد الأسطول العماني وسيطرته على المحيط الهندي في القرن السادس عشر، وتواجد السفن العمانية وظهور عدد من ربابنة البحر العمانيين، وهذا التواجد وهذه السيطرة، ما هي إلا نتيجة وثمرة من ثمرات هذا الملاح وهذا الربان الذي بسط علوم البحر، ونشرها عن طريق الأراجيز التي كانت الطريقة التعليمية الأولى في أجواء البحر، وذلك لانعدام وسائل التعليم البسيطة نحو القلم والكتاب في تلك الأجواء.

Shobber al-musawi.com

نبذة موجزة عن حياته :

يعتبر أحمد بن ماجد من أشهر ملاحي العرب، وقد وصفه من جاء من بعده، بأنه شيخ علم البحر، ويشير إلى سبب هذه التسمية الأميرال التركي سيدي علي بن حسين في كتابه "الجامع"، حيث يقول: "أن أحمد بن ماجد باحث عن الحقيقة من بين الرحالة العرب وأكثر المرشدين والبحارة في غرب الهند مدعاة للثقة في القرنين الماضي والحاضر".

وأشتهر أحمد بن ماجد بعلمه في شؤون البحار، وفي كل ما يتصل بعلم الملاحة والفلك، واضطلاعه بشؤون الأدب والشعر، وأحوال الشعوب، وخبرته الطويلة التي قضاها في البحر، وقد أدى تأمله في النجوم ومتابعته لحركاتها، أن يبتدع قياسات جديدة لم يسبقه إليها أحد من قبل من معالمة البحر الذين سبقوه، وقد أوجد قياسات جديدة وصحح بعض القياسات النظرية السابقة. إضافة إلى استفادته من تجاربه وخبراته الملاحية، وما توصل إلى معرفة علم النجوم والرياح والأمواج. وقد ترك أحمد بن ماجد الكثير من المؤلفات والقياسات في مختلف العلوم الملاحية والفلكية، وذكر في مؤلفاته أسماء الجزر والبلدان والسواحل والقياسات البحرية، ومطالع النجوم، وطريقة استخراج القبلة، وشرح المسالك البحرية بين ساحل وآخر، وهذه القياسات لا يزال يعتمد عليها ربابنة السفن في أسفارهم الحالية.

ولا يتميز ابن ماجد بأنه ملامح ماهر فقط، ولا بأنه جمع بين الناحيتين العلمية والنظرية، فوضع المؤلفات بناء على خبرته البحرية، بل تتميز شخصيته بالإضافة إلى هذا وذاك بمعرفته العامة الواسعة جداً وبمطالعاته المختلفة، فقد كان ذا معرفة واطلاع شاملين تدلنا على ذلك أسماء المؤلفات التي كان يذكرها في كتاباته. كما تدل مؤلفاته على أنه قراء أغلب ما كان متاحاً في عصره من كتب في الأدب والفلك والجغرافيا مثل؛ كتاب "تقويم البلدان" لأبي الفداء و"معجم البلدان" لياقوت الحموي، وقد اعتمد في مصادره على كبار علماء الجغرافيا العرب نحو؛ الأصطخري، وابن حوقل، والإدريسي، وعلماء الفلك مثل؛ البيروني والبتاني، ويقول ابن ماجد عن مطالعاته :

قد راح عمري في المطالعات وكثرة التساؤلات في الجهات
وكم رأيت في خطوط الطول ونظمه ونثر في الفصول
وكم نظرت في الحساب العربي وحسبة الهند مذ كنت صبي

و سنحاول من خلال السطور القادمة التطرق إليها بتفصيل موجز.

أولاً : مؤلفات أحمد بن ماجد في علوم الملاحة :

shoberat-musawi.com

لقد تمت صياغة معظم مؤلفات ابن ماجد إن لم يكن جميعها شعراً، وذلك تمشياً مع المنهج التعليمي الذي اتبعه ابن ماجد، ماعدا مؤلفاً وحداً تقريباً، قد كتب نثراً، وهو كتاب "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" ويعد هذا الكتاب من أكبر كتبه التي ألفها، وهو من أهم الكتب التي كتبت في علوم الملاحة والفلك، وقد اعتمد ابن ماجد في تأليف لهذا الكتاب على الجانبين النظري والعملي للمسائل الملاحية، كما أنه كان يرجع للذين سبقوه، إضافة إلى تجاربه الطويلة والشخصية بصورة خاصة، ويشمل الكتاب عدة مواضيع في الملاحة وعلم الفلك، وقد قسم ابن ماجد هذا الكتاب إلى أثنى عشر قسماً، وأطلق على كل قسم فائدة، كأنما يشير إلى كل فائدة من الفوائد التي تحصل عليها خلال أسفاره، ورحلاته البحرية، وتجاربه الشخصية. وقد اعترف الكثير من العلماء والباحثين بقيمة هذا الكتاب العلمية، والتنوع الكبير في فنون الملاحة الفلكية، وهو ما يلمسه القارئ لأقسام الكتاب الأثنى عشر، التي يطلق على كل منها فائدة، والفوائد التي وردت في الكتاب ، كالتالي:

الفائدة الأولى: يتناول ابن ماجد أصل اختراع الإبرة المغناطيسية (الوصلة).

الفائدة الثانية: يعدد المعارف النظرية والعملية، التي يجب أن يكتسبها الربان الناجح لركوب البحر، ويعتبر ابن ماجد معرفة منازل القمر الثماني والعشرين من أول متطلبات النظرية لعلم الملاحة.

وتشمل الفائدة الثلاثة: على منازل القمر الفلكية، والنجوم الملاحية التي يعتمد عليها الربان في الملاحة.

الفائدة الرابعة:

الفائدة الخامسة: ويتكلم فيها عن الجغرافيا الوصفية، والرياضيات ويذكر أسماء الكتب والمراجع الغنية التي يجب على الربان اقتنائها ودراستها.

الفائدة السادسة:

وحول هذا الكتاب، يقول المستشرق الفرنسي فيران : "إننا يجب أن نعتبر هذا الكتاب لوناً من التأليف يتناول علم الملاحة بالصورة التي كان عليها في أواخر العصور الوسطى . ولقد كان ابن ماجد في طليعة الكتاب العصريين في الإرشاد البحري، وكتابه يحوز على الإعجاب، وأن وصفه للبحر الأحمر على سبيل المثال لم يتفوق عليه أحد أو حتى يساويه، أما المعلومات التي قدمها المؤلف عن الرياح الموسمية والمحلية وطرق وخطوط العرض لعبور المحيط الهندي في أنحائه كلها، فهي دقيقة متصلة في الحدود التي يمكن أن نتوقعها من تلك الحقبة من الزمن".

ثانيا أراجيزه الشعرية:

shopper.al-musawi.com

أما المركز الثاني لمؤلفات ابن ماجد فتحتله المنظومة الشعرية وهي أرجوزة (حاوية الاختصار في أصول علم البحار)، وهي واقعة في ألف بيت، وتعد هذه الأرجوزة من أكبر مؤلفاته الشعرية التي وصلتنا، ويمكن أن نعتبرها منظومة شعرية مختصر لعلم الملاحة البحرية، وتبتدئ بسلسلة مزخرفة من الأراجيز والقصائد تختلف في أحجامها وموضوعاتها الرئيسية ومن أهمها :

١. أرجوزة رقم ٤:- أرجوزة تحفة القضاء ، وتصف طريقة إيجاد القبلة بواسطة خطوط الطول والعرض أو بالبوصلة.
٢. أرجوزة رقم ٥ :- أرجوزة بر العرب في خليج فارس، وفيها وصف لجزيرة البحرين، وخرج، وداس، وقيس، وطنب، وهنجام
٣. أرجوزة رقم ١٣ :- أرجوزة فلكية عن أسد الله المظفر أمير المؤمنين على ابن أبي طالب (عليه السلام)
٤. أرجوزة رقم ١٤:- أرجوزة وصف الطريق بين مكة وجده إلى راس الفرتك إلى كلكتا وكنكن وجوزرات بالهند وهراميز.

ويعتبر هذان المصنفان المنثور والمنظوم؛ إي كتاب الفوائد وحاوية الاختصار، من أهم ما كتبه ابن ماجد، من حيث الحجم أو المضمون. وهناك ثلاث مؤلفات أخرى لأبن ماجد، موجودة بالمكتبة القومية بباريس، وهي عبارة عن أراجيز شعرية، تصف الطرق البحرية الصغيرة ، مشروحة بالشعر ويقواف على مختلف الحروف العربية.

ويأتي في المركز الثالث ، كتابه "ثلاثة أزهار في معرفة البحار"، ويحتوي هذا المؤلف على ثلاثة أراجيز ملاحية، وقد اكتشفها وكتب عنها المستشرق تيودور شوموفسكي، وكانت هذه الأراجيز موجودة في معهد الدراسات الشرقية بموسكو، وقد كتبت هذه الأراجيز لتخدم غرضاً علمياً، وهو تسهيل استذكار المعلومات المتنوعة اللازمة عن الطرق البحرية. وقد جاءت على النحو الآتي :

١- الأرجوزة الأولى، تصف الطريق من ملبار إلى سفالة الزنج، على الساحل الشرقي لأفريقيا وتسمى بالسفالية .
٢- الأرجوزة الثانية، تسمى المعقلية، وتتناول الطريق بين الهند وسيلان وجاوة وملعقة وسومطرة.
٣- الأرجوزة الثالثة: وهي التائية-أي أرجوزة قافيتها التاء- وتصف الطريق من جدة إلى عدن، وهي عبارة عن وصف المجاري والقياسات لذلك الطريق المائي القصير عبر البحر الأحمر، وهو ما يمكن أن يكون الدليل البحري لأحمد بن ماجد نفسه

shopper.almubawi.com

المشهور في عصره بملاح طريق الحج، وبذلك تقدم الأراجيز الثلاث في مجموعها صورة متكاملة لحوض المحيط الهندي، والجوانب الأساسية المختلفة للملاحة فيه. وإلى جانب ذلك فإن هذه المؤلفات تمكننا من الحكم على مستوى الذي وصل إليه علم الملاحة في القرن الخامس عشر الميلادي، ويزيد في أهمية هذه المؤلفات أن المائة الأخيرة لتلك الفترة شهدت ذروة ما بلغه هذا العلم من تطور ورقي. وهناك موضوعان يمتزجان بشكل ملحوظ في كل صفحة تقريباً من هذه الأراجيز، بل وأحياناً في البيت الواحد، وهما موضوع الفلك؛ أي شرح موضوع النجوم بالنسبة لأي مكان على شواطئ البحر الهندي، أما الموضوع الثاني، فهو الجغرافيا الطبيعية، التي تتضح في شرح هذه الأماكن نفسها، وبيان أي عمق معين مع تحديد أو تثبيت الجزر على نفس الطريق، وكذلك بيان المياه الضحلة، والشعب المرجانية وطبيعة المجرى والدوامات الهوائية الموجودة في تلك المناطق، واتجاه الريح في مختلف أوقات السنة .

ويمكن القول بأن تلك الأراجيز الثلاثة ترسم لنا صورة حية للنشاط الملاحي في تلك المناطق التي نشط فيه بشكل خاص الملاح ابن ماجد.

ويتوج ابن ماجد معرفته النظرية، وتجاربه العملية في كتابه الفوائد، ويمثل الأوج الذي بلغته خبرته في علم الملاحة، وتطبيقه العملي لنظرياتها، ويصف المستشرق الفرنسي فيران كتاب الفوائد، "بأنه ذروة التأليف الفلكي الملاحي لعصره"، واعتبر ابن ماجد أول مؤلف للمرشدات البحرية الحديثة. لقد أغنى ابن ماجد الملاحة البحرية بمصطلحات ملاحية، كان قسم منها يعتمد إلى حد ما على تلك المرشدات البحرية التي وصفها أبوه وجده من قبل، وأن الجهد الذي بذله ابن ماجد هو أنه صحح وأضاف إلى من سبقوه، ولقد أغنى ابن ماجد ملاحو القرن الخامس عشر بثروة ملاحية كبيرة، وخاصة الملاحين العرب والهنود الغربيين، ولهذا اعتبرت جهود ابن ماجد في هذا المضمار؛ أهم مصادر لتاريخ الملاحة والتجارة في البحار الجنوبية في الفترة التي سبقت الغزو البرتغالي للمنطقة.

Shobbar-al-musawi.com

ثانياً : إسهامات أحمد بن ماجد في تطوير علم الملاحة :

كان ابن ماجد رائداً من رواد علم الملاحة، وكانت له إسهامات العديدة في هذا المجال نذكر منها :

١. استخدامه للبوصلة :

يعتبر أحمد بن ماجد أول من طور البوصلة الملاحية بالمفهوم الحديث وكانت تسمة الحقة، وعن العرب نقلها الأوروبيون . ويقول ابن ماجد في كتابه "حاوية الاختصار"عن آلات القياس التي كان يستعملها:

وجدد الآلة قبل السفر كحقة أو قياس أو حجر

والبلد والفانوس والراهمانج وإن تكن سافرت كمن حجج

ويوصى الربان العربي تلاميذه، بفحص وتجهيز الآلات الملاحية قبل السفر مثل؛ بيت الإبرة أو الحقة، وآلة القياس وهي الخشبات، وآلة سبر الأعماق، والمصباح (الفانوس) والمرشد الملاحي الراهمانج (الراه نامه). ويصحح الدكتور أنور عبد العليم ما يشاع عند الغربيين من أن الربان الإيطالي فلافيو جيولا هو أول من ابتكر تعليق الإبرة الممغنطة على محور لتتحرك حركة حرة، فابن ماجد قد سبقه في ذلك بسنوات، إذ يقول في كتاب الفوائد الذي يرجع تاريخ المسودة الأولى منه إلى عام ١٤٧٥م، ومن اختراعنا في علم البحر تركيب المغناطيس على الحقة بنفسه ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع في كتاب) وهذا نص واضح على أن ابن ماجد كان يستخدم البوصلة قبل الايطالي جيولا، ويتكلم ابن ماجد في موضع آخر عن "تجليس المغناطيس على الحقة بنفسه" . من كل ذلك يتضح أن ابتكار الملاح الإيطالي، ما هو إلا نقل لاختراع ابن ماجد، وهي الحقة العربية التي كانت مستعملة في المحيط الهندي في النصف الثاني للقرن الخامس عشر.

٢. القياس بالأصابع وتحديد القبلة :

أوجد ابن ماجد صلة بين تقسيم دائرة الأفق إلى ٣٢ جزءاً تماثل خانة (وهو قسم من أقسام البوصلة الملاحية)، وبين استخدام قبضة اليد والذراع مبسوطة في اتجاه البصر أمام الراصد، فقبضة اليد تمثل ٣٢/١ جزءاً من محيط الدائرة مركزها نقطة اتصال الذراع بالكتف، وربما كان هذا هو الأساس الذي بموجبه تم تقسم الحقة العربية (البوصلة) إلى ٣٢ قسماً، وفي ذلك يقول ابن ماجد في وصف الطريقة لتحديد القبلة في كتاب الفوائد:

(وكذلك دورة السماء ٣٢ جزءاً (يقصد دائرة الأفق) وكل جزء قبضته من الخنصر إلى الإبهام وأنت مستقبلها ماداً بها ذراعك، فحط بيت الإبرة أمامك وصل على أي خن (خانه)،

shobbar.al-musawi.com

وجاء في النظم على أي بلد أنت بها، واقبض ببعض الأدلة المشار إليها عند عدم وجود الحقة).

٣.آلة الكمال: ادخل أحمد بن ماجد تحسينات كبيرة على طريقة القياس القديمة، باستخدام ما يسمى بالخشبات، أو الألواح وأطلق عليها اسم آلة الكمال، وهي عبارة عن خشبة مربعة على شكل متوازي مستطيلات يربط في وسطها خيط معقود على مسافات بنسب متفاوتة يتفق تدريجها، مع ظل تمام منتصف الزاوية بين الأفق وعين الراصد والنجم المرصود، والحكمة في استخدام العقد هي تمكين الملاح من معرفة العدد الدال عليها الذي يوضح مباشرة ارتفاع النجم بالأصابع بطريقة اللمس دون الحاجة إلى قراءة التدريج أثناء الظلام ليلاً .

٤.تعريفه للمياه الإقليمية :

يعرف أحمد بن ماجد المياه الإقليمية بأنها المسافة الممتدة من الشاطئ إلى الحد الذي يغيب فيه الساحل عن بصر الملاح من فوق مركب شراعي، وهو يبتعد عن البر، وهذه المسافة تقدر بنحو أربعة أميال بحرية في الظروف المعتادة، ولم يذكر ابن ماجد ذلك بالتحديد، ولكنه يقول في كتاب الفوائد كلام بما معناه (ولكن البحر ليس هو بحر أحد من هؤلاء الطوائف أي لا يتبع أهل الصين أو الهند والزنج والفرس وغيرهم، إنك إذا غيبت البرور (أي البر) عن نظرك ما عندك إلا معرفتك بالنجوم والهداية بها أي أنك تصبح في البحر الطليق ولا يحكم مسارك سوى الملاحة الفلكية).

ثالثاً : تطبيق أحمد بن ماجد للمنهاج النظري والتجريبي :

لقد أستمد أحمد بن ماجد معظم معارفه النظرية من مطالعاته المتعمقة لأعظم الآثار المكتوبة التي خلفها بناة الصرح الهائل للحضارة العربية في مجال العلوم الجغرافية؛ بفروعها الفلكية، والعلمية، والوصفية، وما يتصل بها من علوم الفلك والرياضيات والأنواء مع الجداول الفلكية، وبيانات الطول والعرض لجميع الأماكن المأهولة، والتي سافر إليها الربابنة اوالجغرافيين العرب، والتي لا تتم صنعة الربابنة إلا بها. وقد أفاد ابن ماجد من هذه الآثار الفلكية والجغرافية ، وقد أضاف إليها من خبرته في علم الملاحة، وتطبيقه العملي لنظرياتها. لقد أغنى ابن ماجد الملاحة البحرية بمصطلحات ملاحية، وأن الجهد الذي بذله ابن ماجد هو أنه صحح وأضاف إلى من سبقوه، وقد أدرجها ابن ماجد تحت ما هو مفيد يدخل في هذه الصنعة ويحتاج إليه أهلها. وقد أوجد ابن ماجد قياسات جديدة وصحح بعض القياسات النظرية السابقة. إضافة إلى استفادته من تجاربه وخبراته الملاحية، وما توصل إلى معرفة علم النجوم والرياح والأمواج. وكان ابن ماجد ينظر وينصت إلى كل شيء،

Shoober.al-mubawi.com

ويزن ، ويقدر ، وينتقي ما هو ضروري ، وبمراجعته لتجاربه، وخبراته كان يحسن معلوماته العلمية ، وقد استفاد أحمد بن ماجد من ذلك كله في معرفة أسماء الجزر والبلدان والسواحل والقياسات البحرية، ومطالع النجوم، وطريقة استخراج القبلة، وشرح المسالك البحرية بين ساحل وآخر، وهذه القياسات لا يزال يعتمد عليها ربابنة السفن في أسفارهم الحالية. وسافر عبر جميع المسالك والطرق البحرية، وكانت تتطلب هذه الرحلات خبرة مهنية.

ويرى أن ابن ماجد في شرحه لمتطلبات علم الملاحة الفلكية؛ أنه علم عقلي تجريبي فهو يميز بين المتطلبات التي تقوم على العقل والنظر وبين المتطلبات التي تعتمد على الخبرة والتجريب، وأحياناً يجمع بين النظر والتجريب كشرط للوفاء ببعض متطلبات وعناصر الملاحة الصحية .

ومن أهم مصادره ومراجعه الكتب التالية :

ويبدو أن أحمد بن ماجد كان مطلعا وقارئا جيدا لكثير من الكتب والمصنفات العربية في علوم الفلك والجغرافيا، ومن هذه الكتب ، "كتاب التصاوير لأبي الحسن الصوفي – تقويم البلدان لأبي الفداء – القانون للبيروني – المسالك والممالك للإدريسي – ومعجم البلدان لياقوت الحموي– ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وغيرها من الكتب.

المنهاج لتجريب عند أحمد بن ماجد:

وإلى جانب الدراسة النظرية فإن أحمد بن ماجد أهتم كثيراً بالنواحي العملية في علم الملاحة، وأكد على أن التجربة لها دور كبير في عملية صنع الربان وخبراته، ففي معرض حديثه عن تحقيق قياس النجوم، تحدث عن كيفية أنه تفوق في علمه وتجربته على علم أبيه وجده، فيقول:" وكان جدي عليه الرحمة محققاً ومدققاً، وزاد عليه الوالد بالتجريب والتكرار، وفاق علمه علم أبيه، فلما جاء زماننا هذا وكررنا تقريباً أربعين سنة، انكشف لنا عن أشياء وحكم".

ويهتم ابن ماجد كثيراً بالتجربة وإعادة تحقيق إرصاده للنجوم على فترات في دقة علمية فيقول: "فو الله ما صنفت هذه القياسات المنتخبات، إلا بعد أن كررت عليهم عشرين سنة، وأني لم أترك في السماء نجماً، إلا وقد درجته وعرفت نقصانه وزيادته).

والجانب التجريبي عند أحمد بن ماجد يدخل في كل علوم الملاحة، فهو يشمل الدير البحرية؛ أي الطرق، والخطوط البحرية، ويشمل الرياح، ومواسم السفر، وعلامات البرور، وإشاراتها، وأساليب الملاحة في الظروف الصعبة، فضلاً عن إرشاداته ونصائحه وتحذيراته وغيرها من أسس علم الملاحة.

shobber-al-musawi.com

ومن النواحي التجريبية التي يذكرها أحمد بن ماجد في كتابه الفوائد، معرفة الاتجاهات وتحديدها، فالشمال عند أبن ماجد يدل عليه النجم القطبي أو (الجاه) أما الجنوب؛ فيدل عليه نجم سهيل، بينما يدل مطلع الطائر على الشرق، ويدل مغيبه على الغرب، والطائر نجم منير أبيض خفاق، وهو يطلع عن القطب الجنوبي في اثنين وعشرين من النيروز، ويغيب عنه في أربعين النيروز، وذكر ابن ماجد عن الطائر؛ أنه يسمى الصقر الطليق، وخنة في الحقة، ويسمى الهيران . وبما أن الربان يعرف بواسطة القياس موقع وبعد المكان الذي يقصده، ويحدد ما قطعه المركب من المسافة عرض المكان عرضا، فقد جعله ابن ماجد أهم أصول الملاحة الشراعية، فبالقياس يعرف مقدار ارتفاع النجم من الأصابع عن الأفق، إذا كان المركب يجري اتجاه النجم، أو مقدار هبوطه إلى الأفق، إذا كان يجري في الاتجاه المعاكس للنجم .

أراجيزه الشعرية:

وقد بلغت أراجيزه حوالي ٢٤ أرجوزة ملاحية، في حين يقول كراتشكوفسكي، "بأنها بلغت الأربعين، وأكثر هذه الأراجيز تصف القياسات والجزر، والبلدان والسواحل، ومطالع النجوم، وعدة الأشهر الميلادية، وأشهر هذه الأراجيز هي السبعية؛ التي تقع في ٣٠٧ أبيات، وتشرح سبعة من علوم البحر، وأرجوزة "حاوية الاختصار في أصول علم البحار"، وتقع في ١٠٨٢ بيت، وأرجوزة السفالية والمعقلية، وأرجوزة التائية؛ لأن قافيتها التاء. كما أن أحمد بن ماجد قد كتب أرجوزة واحدة شخصية فلكية عن أسد الله المظفر "أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب" (عليه السلام).

وقد اختلفت بحور هذه الأراجيز، فهي ليست دائماً منظومة على بحر الرجز، وكذلك اختلفت قافيتها، وتراوحت أحجامها؛ أما الأراجيز التي كتبت على وزن بحر الرجز، فقد كتبت لتخدم غرضاً عملياً هو تسهيل استذكار المعلومات المتنوعة اللازمة عن الطرق البحرية، وتختص بالمعلومات الملاحية المهمة لمعالمة البحر والربابنة وللمبتدئين في تلقي هذه العلوم.

وينتشر هذا النوع من الشعر أو النظم في الأوساط التي يصعب فيها حفظ النثر؛ لأن حفظ الشعر أو الرجز المزدوج أهون على النفس، وإذا حُفظ كان أعلق وأثبت، وقد ظهر هذا اللون في العصر العباسي، بسبب فساد الألسنة، وابتعاد الناس عن تعلم قواعد اللغة ويغلب على هذا النوع من الشعر المادة العلمية، أو التعليمية، ولا يلتقي مع الشعر الفني، إلا في صفة النظم فقط، وأغلبه يأتي من الرجز المزدوج أو المزاوج، وهو ما

Shoober.al-mosawi.com

يستقل فيه شطر كل بيت بقافية واحدة، والقليل منه في غير الرجز من بحور الشعر ويلتزم قافية واحدة من مطلع القصيدة إلى ختامها.

"والشعر التعليمي يراد به الأراجيز والقصائد التاريخية، أو العلمية التي جاءت في حكم الأراجيز والقصائد، وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون المنظومة؛ كألفية ابن مالك في نحو العربية، وتجتمع في الأرجوزة التعليمية أمور كثيرة لا تجتمع في الشعر العادي، أما أول هذه الأمور فإن حفظ الشعر أو الرجز المزدوج أهون على النفس وإذا حفظ كان أعلق وأثبت.

وقد استخدم الرجز المزدوج في صياغة عدة أنواع من العلوم والمعارف، فتجد في القرن الرابع محمد بن ابراهيم الفزاري ينظم شعراً تعليماً في الفلك، وكذلك نظم أبوه في علم النجوم ، ولهذا نجد أن الربان أحمد بن ماجد يتجه إلى هذا النوع من الشعر أو الأراجيز، وذلك لسهولة حفظه وسهولة تدريسه، وخصوصاً في تلك الأجواء، التي كان ابن ماجد يمارس فيها عمله؛ نحو العيش فوق ظهر السفن أو العيش في البحر، والذي يكثر فيه الأميين، وغير المتعلمين، فإن نظم هذا النوع من الشعر هو طريقة مثالية للتعليم عموماً ولتعلم فنون البحر وعلوم الملاحة خصوصاً.

وقد قدم ابن ماجد معظم أعماله في شكل أراجيز، وهذا ما سهل على الملاحين والمشتغلين في البحر حفظ تلك العلوم، دون الحاجة إلى اقتناء جميع مؤلفاته، أو الاحتفاظ بها على ظهر السفن، وبهذه الأراجيز قدم أحمد بن ماجد خدمة جليلة لعلوم الملاحة البحرية، وكان سباقاً في هذا المجال، حيث أنه كان من أوائل الذين استخدموا

عندما نعود لأراجيز أحمد بن ماجد حول تلك الفترة، تظهر لنا بعض الحقائق، حول علاقة أحمد بن ماجد مع البرتغاليين، ويبدو أن كلام النهروالي قد أعتمد على ما جاء في هذه الأراجيز التي كتبها أحمد بن ماجد بنفسه. ورغم أقوال المعارضين لهذا الموضوع إلا أن هناك عدد من الإشارات في أراجيز بن ماجد، وخصوصا أرجوزته السفالية، التي يوجد فيها الكثير من الإشارات التي تشير إلى أن أحمد بن ماجد هو الذي أرشد البرتغاليين عبر رأس الرجاء الصالح إلى طريق الهند ومن هذه الإشارات هي :

١. سعة علوم ابن ماجد الملاحية واعتماد الملوك عليه وتكليفه في المهمات البحرية الصعبة، يقول :

Shobbar-almusawi.com

أنفقت عمري على علم عرفت به فازددت بالعلم توقيراً على كبري

لو لـم أكـن أهلاً لما عـنيت بي الملوك وهذا غايـة الوطـر

ثم يعزز ابن ماجد قوله هذا ، حيث يؤكد استعانة وإلى البلاد به، وتخصصيه بالسـفر دون غيره في إحدى المهام، ولكنه لا يذكر هل هذا السفر كان مع البرتغاليين أو لشأن آخر:

وخصني والي البلاد بالسفر من دون غيري بالهدى والظفر

لا شك أن من يرى بالعين تركـن إليـه النـاس باليقيـن

فهو يؤكد على أن علمه ليس بالرؤية فقط، وإنما بالتجربة والخبرة، وهذا ما استدعى والي البلاد في الاعتماد عليه في مهمات لم يذكرها، وربما يكون إرشاده للبرتغاليين، وإيصـالهم عبر رأس الرجاء الصالح إحدى هذه المهام.

٢. الأشارات التي وردت في السالفية، عن لقائة بأحد الربابنة البرتغاليين ، وأهم إشـارتين ترد في السفالية، عن لقائه بالربان الفرنجي، قوله :

دقق وحقق أن أخذت منها خـلاص يا ربان ثم صنفها

ثم تأمله بـذي السفاليـة تهديك في الجنوب خذ فعالية

لا غيرها في هذه الطريق نعم ، منهـا علـم بالتحقيق

وسوف تزداد بهذي الطرق من الفرنـج معرفة وصدق

عـرفتها بقـدر بأنهـا يسألني عنها وعن شعبانها

فهو يؤكد لقائه بالربان الفرنجي دون أن يذكر اسم هذا الربان، لكنه يؤكد حصول اللقاء، ثم يؤكد في ناحية أخرى أن الأفرنج بعد الحصول على المعلومات، أكدوا لـه صـحتها، فهـو يقول :

وقالت الأفرنج بالتحقيق إنا كشفنا على الطريق

shopper.al-musawi.com

كما أن ابن ماجد يؤكد أن البرتغاليين ظلوا يعانون من عدم معرفتهم بمواعيد الهبوب الموسمية في المحيط الهندي وشرق أفريقيا، مما أدى إلى إلحاق الكوارث بسفنهم،

المراجع والمصادر :

المصدر	المؤلف
١ – سندباد في عمان ،	يوسف الشاروني
٢– بن ماجد الملاح الفلكي ،	د.محمد حسن العيدروس – مجلة دراسات أدبية إصدار اتحاد كتاب الإمارات
٣– أحمد بن ماجد رائد الملاحة الفلكية،	د. أحمد طربين – ندوة أحمد بن ماجد مركز رأس الخيمة للدراسات
٤. ابن ماجد الرائد الأول في تطوير الملاحة،	١. د. سالم المبدر– ندوة احمد بن ماجد مركز رأس الخيمة للدراسات
٥. عمان وتاريخها البحري ،	إصدار وزارة الإعلام العمانية
٦ – علوم البحر عند العرب	الدكتو أنور عبد العليم إصدار سلسة

shobber.al-musawi.com

الإمام ناصر بن مرشد
موحد عمان ضد الغزو البرتغالي

"كان ناصر بن مرشد هو أول الحكام اليعاربة ، وهو قريب لزعيم الرستاق الذي كان يعارض النبهانية، وبمجرد انتخابه لتولى الإمامة في سنة ١٦٢٥ أحال هذا المنصب من مجرد ظل باهت كما كان إلى حقيقة مائلة بالقوة، وخلال مدة حكمه الذي استمر عشرين عاما أخضع الأقاليم الداخلية بما فيها الشرقية"•

مقدمة:

• كلمات لـ ج. ج. لوريمر مؤلف دليل الخليج

shobber al-musawi.com

إننا أمام ألمع وأشهر الأئمة الذين تولوا هذه منصب الإمامة على الإطلاق، لأن هذا الإمام عندما تسلم الإمامة، كانت الأمة متفرقة والملوك والسلاطين والولاة في كل شبر من إنحاء عمان، أي أنه استلم الإمامة في زمن الحرب، فوحد الأمة، وحولها إلى أمة واحدة، وأعادها إلى حالة من الوحدة والتآلف. وقد واجه ناصر بن مرشد نوعين من الأعداء، فبالإضافة؛ إلى أعدائه الداخليين من أهل عمان، كانت البلاد تعيش تحت وطأة الاحتلال البرتغالي لبعض المدن والولايات العمانية، وكان الإمام ناصر يحارب أعدائه الداخليين، وهدفه النهائي كان تحرير البلاد من الأعداء الخارجين من البرتغاليين والفرس، الذين كانوا يسيطرون على أهم منافذ عمان البحرية، مثل قلهات، وصور وصحار ومسقط، لكنه انتهج سياسة نافذة، فلقد بذل جهوداً كبيرة في سبيل توحيد ولايات السلطنة تحت سلطة مركزية قوية، وقدم العفو عن المعارضين، وكان يعطيهم الفرصة تلو الفرصة لإظهار التوبة، ولكن عندما كان هؤلاء المعارضون يخونون العهود، فإنه كان يواجههم بالقوة، أي انه كان يستعمل الحكمة في موضع الحكمة، ويستعمل الشدة في موضع الشدة.

لقد كان هذا الإمام الرجل المناسب في الوقت المناسب، حيث كانت البلاد تمر بفترة حرجة مليئة بالأهواء وبالفتن وبالحروب الداخلية، وكان لا بد لها من منقذ، وكان لابد لها من رجل تتوفر فيه صفات فريدة؛ من القوة والإقدام والشجاعة والصبر على عظائم الأمور، وكان هذا الرجل هو الإمام ناصر بن مرشد.

إن الرجال العظماء، والأئمة الأقوياء لا يظهرون، إلا عندما تكون الأمة متفرقة، ولا يظهرون إلا وقت الشدائد والمحن، وفي الأوقات التي تكثر فيها الفتن؛ وكأنهم رسل السماء لإنقاذ أهل هذه البلاد، وفي هذه الأوقات تظهر الشخصيات العظيمة، وتختبر عزائم الرجال، ولقد ظهر هؤلاء الأئمة الذين قادوا البلاد إلى التخلص من الفتن ومن بقية المنافسين على الحكم، ثم الانطلاق إلى تحرير البلاد.

الفتن والمشاكل التي واجهت الإمام ناصر بن مرشد :

١. كانت الولايات والأمصار العمانية مفرقة بين الولاة والحكام فكان ملك الرستاق بيد ..... وحصن صحار

٢. استيلاء العجم على بعض الحصون العمانية.

shoobet.al-musawi.com

٣. استيلاء البرتغاليين على الموانئ البحرية مسقط وصحار وقريات وصور وهي كلها موانئ بحرية.

٤. انتشار الجهل والتخلف وامتهان الأعراض وسفك الدماء

تحصينه الجبهة الداخلية:

لقد تنبأ الإمام ناصر بن مرشد، أنه لا سبيل إلى محاربة البرتغاليين، إلا بعد ينهي العمانيين جميعاً صراعاتهم الداخلية، فبدأ في توحيد البلاد ، واستطاع في فترة وجيزة فتح الولايات العمانية ولاية ولاية، وقام بتحصين الجبهة الداخلية.

وكان الإمام ناصر بن مرشد عندما يفتتح ولاية، يعيد بناء الحصون القديمة التي كانت تعد وسيلة الدفاع الأولى عن البلد ، وعن نظام الحكم، وكان يقيم العدل بين الرعية، ويجعل فيها والياً نائباً عنه، ثم يعود إلى عاصمة ملكه نزوى.

ولم يغفل الإمام ناصر بن مرشد رغم انشغاله بحروبه الداخلية من مواجهة البرتغاليين،فكان الوجود البرتغالي يقض مضجعه، ويشغل تفكيره، فكان يرسل لهم الحملة تلو الحملة.

ولقد صالح البرتغاليين، قبل أن يوحد البلاد، وذلك أثناء اشتغاله بالحروب الداخلية. وقد فتح الإمام جميع المدن والولايات العمانية ما عدا صحار ومسقط التي ظلت تحت أيدي البرتغاليين لحين وفاته ، فلقد كان الصلح بينه وبين البرتغاليين قائما، ولم يكن يستطيع أن يلغي ذلك الصلح مادام البرتغاليون ملتزمون بشروطه..

وقد كتب الله الانتصار لإمام ناصر بن مرشد في حملته الداخلية، وقد نجح بتوحيد البلاد خلف رايته ، وذلك للأسباب عدة . ومن أسباب انتصار الإمام في حملته الداخلية :

١. التفات بعض القبائل العمانية حوله .

٢. التفات بعض الرجال المعروفين بالحكمة والشجاعة والأعيان.

٣. التفات الفقهاء ورجال الدين حوله.

٤. توفر عدد من القادة الذين استبسلوا في حربهم ضد المعادين والمخالفين، نحو قائده الأكبر عبد الله بن محمد وسيف بن مالك.

shabbir.al-musawi.com

٥. إقدام وشجاعة وراجحة عقل الإمام ناصر بن مرشد وورعه وتقواه واتصافه بصفات وأخلاق عالية، ثم عدله بين رعيته.

ومن العوامل الأخرى:

١. معاونة رجال اليحمد للإمام،/ وإمداده بالذخائر والأموال في سبيل الله، وإقامة الدولة العمانية المتحدة، في وجه الغزاة والمستعمرين، ومقاتلة أهل الكفر

٢. معاونة رجال القبائل والولايات العمانية للإمام ناصر بن مرشد في القضاء على حكام الجور والظلم.

٣. توفر عدد من الأبطال والقادة الذين فتح الله بهم الولايات الأمصار.

٤. إشرافه شخصيا على الجيوش والعساكر، وقيادته للمعارك الكبيرة والحاسمة.

أعماله السياسية والحضارية:

١. توحيد البلاد العمانية الداخلية تحت راية واحدة وحكم واحد.

٢. أقامة حكم العدل والإنصاف على كل المدن التي استولى عليها.

أعماله الحضارية:

١. أمر ببناء الحصن المنهدم الذي بناه الصلت بن مالك .

٢. أمر ببناء حصن وادي فدى

٣. توقير العلماء وجعلهم في وضعهم الديني المناسب، وتقليدهم أمور الولاية والقضاء.

shopper.al-musawi.com

الإمام سلطان بن سيف
محرر عمان من البرتغاليين

(ما جئنا إلا لإحدى الحسنين ،جئنا للموت لا للحياة إلا إذا يسرها الله لنا)*

"مات الإمام سلطان بن سيف وخلف ذلك الملك المترامي الأطراف وترك أساطيله تمخر عباب البحر حاملة ألوية الإمامة العظمى، رغم أعدائها، فأعظم بهذا الإمام العظيم، وأكرم بهذا السيد الكريم الذي رفع علم الناطقين بالضاد في الشرق كله ، وأكبر من شأنه وقدره ملأ قلب العالم بطولة حرة وإمامة صادقة ، وعظمة تاريخية"*.

---

* الإمام سلطان بن سيف اليعربي

* من كتاب العنوان للمؤلف الشيخ سالم بن حمود السيابي.

shobhanal-musawi.com

الإمام سلطان بن سيف

كما كان الإمام ناصر بن مرشد جسوراً في طلب الحق، وفي الدفاع عن بلاد المسلمين كان الإمام سلطان بن سيف، ولم يتوانى في لحظة واحدة عن إكمال ما بدءه ابن عمه، بل أدى المهمة الموكلة إليه على أحسن وجه.

إننا أمام شخصيات عمانية فريدة، وثابتة على مواقفها، وعلى مبدأ الحق، شخصيات لا يهمها من تواجه، ومن يحاربها، حتى لو كانت أعظم قوة في تلك الفترة، وخاصة إذا كانت هي على الحق، ولا يسكنها التردد في القيام بالأعمال الخالدة، ولا يشغلها حب الدنيا عن طلب الجهاد والموت في سبيل نصرة الحق وتحرير الوطن.

وهكذا كان الإمام سلطان بن سيف ثابتاً على مبادئه ، لا تغيره الظروف الطارئة، ولا تحد من عزيمته الأحداث الصغيرة، فعندما كان في حربه الأخيرة على البرتغاليين في مسقط، لدغت سيف بن سلطان؛ حية في سيح الحرمل بالقرب من مسقط، فقيل له أن في ذلك فأل شؤم، ونصحه قومه بالتراجع، لكنه لم يتردد، ولم يتخوف، وإنما قال قولته المشهورة: "ما جئنا إلا لإحدى الحسنين ، جئنا للموت لا للحياة إلا إذا يسرها الله لنا، وما أحب اسمع مثل هذا الحديث أو كلاماً هذا معناه".

وعندما زحف الجيش على مسقط لحرب البرتغاليين، كاد يطير إليها شوقاً، كيف لا وهاهي ساعة الحسم التي كان ينتظرها بفارغ الصبر قد حانت، ولم يبقى إلا المواجهة وتحقيق النصر. لقد جعل هذا الإمام نصب عينه تطهير البلاد من كل أجنبي، ولقد حدد وجهته، وعرف هدفه، وقام بتنفيذ ذلك، بطريقة حاسمة، وسريعة، فما أن أستلم الحكم والقيادة، حتى بدأ في تجهيز الجيوش، لمحاربة البرتغاليين ، وإجلائهم عن مسقط، وهي المدينة التي بقيت في أيديهم، وحاربهم حتى تحقق له النصر، وبذلك استكمل ما بدأه ابن عمه الإمام ناصر بن مرشد، وهو تخليص البلاد من الاحتلال الأجنبي، ولقد مكنه الله من عمل ذلك ونجح في ذلك العمل بدرجة كبيرة.

لقد كان أمام سلطان بن سيف مهمة واحدة فقط، كان يعرفها بدقة، وكان لا يزال يجهز نفسه وجيشه وقواده لتلك المهمة، وهي تخليص البلاد من الاحتلال البرتغالي، فلقد خلف الإمام ناصر بن مرشد له دولة عظيمة، مستقرة الأوضاع والأحوال والمناطق، إلا

shopper.ar-musawi.com

منطقة واحدة كانت تحت الاحتلال البرتغالي، هي منطقة مسقط، وكان يعرف بأن هذه هي مهمته الوحيدة، التي ينبغي أن ينهيها بنجاح، لأن هذه المهمة هي المهمة الأصعب، والتي لا تحتمل الفشل ولا تحتمل التأخير. لقد كان الإمام سلطان يعرف بأن التاريخ والعمانيين جمعيا، والفقهاء الذين حملوه مسؤولية الإمامة، لن يعفوه من إتمام هذه المسؤولية المهمة، وان الفشل غير وارد في هذه المسألة.

ولذلك كانت مسؤوليته الأولى وواجبه الأول منذ أن استلم الإمامة أن يحرر البلاد من المحتلين البرتغاليين. لقد قام سلطان بن سيف بهذه المهمة بنفسه، ونجح فيها، واستطاع أن يسجل اسمه في سجل تاريخ عمان إلى جانب ابن عمه الإمام ناصر بن مرشد، وأبناءه بلعرب وسيف، وكان ناصر بن مرشد قد حرر البلاد من الفتن والقلائل وأعاد بناء الشخصية العمانية، التي كانت تعاني من الاحتلال البرتغالي، والخوف، وكان هو محرر البلاد من البرتغاليين، وكان ولده سيف فاتح أفريقيا شجرة بعضها من بعض.

Snobber.al-musawi.com

الإمام سيف بن سلطان اليعربي
محرر أفريقيا من البرتغاليين

"لقد رفع سيف بن سلطان رأسه إلى السماء ينظر إلى العالم الخارجي ليمد سلطان المسلمين فيه وينشر العدل في نواحيه وكان توفيق الله حليفه وكانت له همة عالية"*

"وبعد أن أصبحت الإمامة مضمونة في يده، أصبح سيف بن سلطان الأول أعظم حكام أسرة اليعارية في عمان، وقد عرف باسم قيد الأرض وهي إشارة مبالغ فيها لدلالة على سيطرته على العالم، وفي عهد هذا الإمام الذي كان مولعاً بالطموح وحب العظمة ازدهرت عمان كثيراً"*

---

* من كتاب "العنوان" للمؤلف الشيخ سالم بن حمود السيابي.

* من كتاب "تاريخ عمان" ، وندل فيليبس

shopper.al-musawi.com

الإمام سيف بن سلطان اليعربي

مقدمة:

لقد كان الإمام سيف بن سلطان رجل سياسة، وحكم، لقد كان رجلاً طموحاً للحكم وللسلطة، على العكس من أخيه الذي كان يميل إلى العلم والأدب، والتركيز على بناء الثقافة والعلم.

إن طموح سيف بن سلطان، للحكم والسلطة طموح مبرر لأنه كان في اعتقاده، أنه لو استلم الحكم، لكان فعل أكثر من الاهتمام بالشؤون الداخلية فقط، أنه كان يرى العالم ينتظر خيول العمانيين، وسفنهم وهي تغزو بحار العالم، وتحرر المدن العربية والهندية والأفريقية من سيطرة البرتغاليين، وكانت هذه المؤانى والبلاد تنتظر سفن العمانيين وفتوحاتهم بفارغ الصبر، لقد كانت تلك البلاد تنتظر لترى قوة العمانيين الحقيقية. وعندما أستلم سيف بن سلطان الحكم أطلق تلك القوة من عقالها، فخرجت فاتحة آفاق الدنيا، و لم ينتظر حتى تأتيه قوى أخرى، وإنما أرسل سفنه وراء البرتغاليين، وطاردهم وأكمل ما بدأه أبن عم أبيه وأبيه.

لقد كان الإمام سيف بن سلطان يعرف حجم قوته وكان يعلم من هو ومن هم جنوده وماذا يريد بالضبط، لقد حدد هدفه وقام بتنفيذ هذا الهدف ، وكان يعرف بأن البرتغاليين يعيشون أيامهم الأخيرة في المنطقة، ولذلك كان من السهل عليه مهاجمة قواتهم في كل المؤاني التي كانوا متواجدين فيها.

لقد كان رجل دولة وسياسة وحرب وفتوحات جديدة لقد عرف إمكانياته وعرف العالم حوله، لقد كان العالم حوله يعيش فترة تحول وكان البرتغاليين يخسرون كل يوم مواقع جديدة خصوصاً في هذا الجزء من العالم فلذلك لم يتردد للحظة . لقد رأى أن بين يديه قوة عظيمة ورجال أشداء وبحار مفتوحة

Shoppersalmusawi.com

وقوة متهاوية وأراض لا تحتاج إلى الكثير لكي يفتحها ولكي يلحقها إلى أراضيه وبلاده فلذلك قرر القيام بهذه الفتوحات.

لقد كان الرجل المناسب في الفترة المناسبة.

إن الإمام سيف بن سلطان أستوعب دروس التاريخ وتمثل بالمسلمين الأوائل في بعد انتصار الأمة الإسلامية في حروبها الداخلية على أعدائها لم تسكن وتلتزم جانب الحذر والاطمئنان لا وإنما بعثت البعوث وأرسلت الجيوش والحملات لفتح البلدان المجاورة ولإيصال الإسلام إلى البلاد التي لم يصلها الإسلام، وكذلك فعل الإمام سيف بن سلطان فهو استلم دولة بلغت من الشأن والقوة مبلغاً كبيراً فلذلك لم يستكين، ولم يؤثر الجلوس في قصره؛ لا وإنما جيش الجيوش وأرسل الحملات في سبيل فح البلاد الجديدة وإدخالها ضمن أراضي الدولة العمانية.

إنه استوعب دروس التاريخ والجغرافيا وتأكد بأنه أفضل طريقة للدفاع هي الهجوم إنه كان يواجه عدواً غائباً وخلفه بلادا مطمئنة أمنة، كذلك كان سيف بن سلطان يدرك أن العمانيين الذين تعودا على الحروب الداخلية والقتال كانوا يطمحون للفتوحات والنصر، فلو لم يشغلهم بالحروب الخارجية لكانت هناك حروب داخلية، وخصوصاً مع الهدوء والاطمئنان، ويبدو أنه قد اختار الاختيار الأفضل.

فلقد كان العمانيون مدفوعين بالروح الدينية والرغبة بالجهاد ونشر الإسلام ، ولقد سجل له التاريخ هذا العمل بكل فخر وشرف ، وأضاف إلى نفسه الكثير من المجد، والكثير من الفخر، وأضاف إلى مسيرة الإنسان العماني مبادئ جديدة في كيفية التعامل مع الأحداث، وأضاف إلى عمان مساحات جديدة من السيطرة السياسية والانفتاح على العالم.

صفاته وأخلاقه ومعاملاته الإنسانية :

لما استقرت الأمور السياسية والدينية في يد الإمام سيف بن سلطان وأظهر العدل وأذعنت له الرعية وكان شجاعاً نجيداً ذا بأس شديد، راداً القوي عن

shobber.al-musawi.com

الضعيف، فهابته القبائل وأعمر عمان وأجرى فيها الأنهار وغرس فيها النخيل وجمع مالاً كثيراً، وكان شديد الحزم على المال فملك من عمان ثلثها وأحداث أفلاحا عدة، وكان في حوزته ألف وسبعمائة عبد، وثماني وعشرين سفينة حربية (منها الملك والفلك والرحماني والصالحي وفيض رياف وكعب رأس) وهذه المراكب كلها غاية في العظمة، وغرس ببركاء ثلاثين ألف نخله وستة ألاف نارجيله وغيرها ، وأشترى أموال بني اللمكي، وبني عدي من وادي سحتن ونمت هذه الأموال بيديه نمواً عظيماً.

ومن كثرة الأموال في عصره ورخاء دولته فإن كان قد ترك بيد وكيله الذي بمسقط سبعة وخمسين لكاً من الدراهم الفضية فضلاً من الدنانير الذهبية، وهو في الحقيقة مبلغ كبير وهذا ما بيد وكيله فكم كان بيده هو فالله أعلم .

وكان الإمام سلطان بن سيف قد تلقب بلقب قيد الأرض لضبطه الممالك وتقيده بعدله، ولم يعب عليه أحد من سيرته شيء إلا ما كان منه في أول أمر حكمه من خروجه على أخيه الإمام العادل، وطالت أيامه وعاشت الرعية في ظل عدله وفي أرغد عيش وأنعم بال وعمر عمان كثيراً وأجرى فيها الأنهار وغرس فيها النخل والأشجار وجمع مالاً جما وملك إماء وعبيدا وقويت عمان به فصارت خير دار.

وقد أورد المؤرخون العمانيون قصصا كثيرة على عدله وحسن سيرته بين الناس منها؛ قصة التاجر اليمني الذي سُرق ماله واستطاع الإمام في نهاية الأمر أن يعيدها له، وقصة مورة الفلفل التي ألقاها في بعض حصونه لينظر إن كان يستطيع أحد أن يمد إليها يده لكي يأخذها فما لم يتعرض أحد لتلك المورة أمر أن تقسم على ضعفاء القرى القريبة منها وغيرها، وكان شديد الحرص على المال أو هو شديد الحزم على المال لا يحب التبذير فيه بسبب أو بدون سبب، وفي هذا ما روى عنه أن بعض أكابر أعراب الشمال جاؤوا يسألونه بعضا من المال، وذكروا له أن أخاه بلعرب وأباه سلطان كانوا يعطونهم، فرد عليهم أن أخي كان اسمه أبا العرب لإكرامه لهم، وأنا اسمي سيف وفعلي فعل السيف، وفي رواية أخرى أبي سلطان وأنا سيف والمعنى

Shobber.al-musawi.com

الظاهر؛ أن أبوه كان سلطان والسلاطين من صفاتها العطاء، وأما هو فهو سيف وصفات السيوف هي قطع الرقاب. وكأن الإمام لم يرد أن يتخذوها عادة وهم رجال أقوياء يستطيعون أن يقوموا بشتى الأعمال وأن يتركوا عادة السؤال والطلب.

ويحفظ الإمام للأموال ألبس الدولة قوة ووضع لها في قلوب الناس هيبة وكيف لا وتلك الجيوش الجرارة التي عرفت بها وأشغلت العالم في أيامها وقضت على الفتن وأسباب التفرقة والاختلاف.

أخيراً نذكر رأي أمير البيان شكيب ارسلان في الإمام سيف وخير الشهادات هي التي تأتي من أناس لهم وزنهم في حياة الأمة. يقول: "كان سيف حكيماً مدبراً محباً للعمران بصيراً بالإصلاح فانتظم بإدارته جمهور المرافق والمصالح والتأم بنفاذه شمل المعاون المناجح وهو الذي شرع في بلاده بحفر الأفلج، فاضت الخيرات بهذه القنوات وترقت الزراعة ترقياً بالغاً واعتنى سيف أشد الاعتناء بغرس النخيل واستجلب أصنافه وبلغ ذلك في غاية الاعتزام وأمد الالتزام فصار ذا ثروة طائلة ونعمة لا تحصى قيل أنه كان يملك ثلث نخيل عمان وكانت حاضرته مدينة الرستاق وتوفي عام ١٧١١م".

فتح شرق أفريقيا :

أن أعظم أعمال الإمام سيف بن سلطان والتي لا يزال يذكرها التاريخ بفخر واعتزاز هي فتحه لشرق أفريقيا، ورغم أن هذا الفتح قد سبقته مراحل من التمهيد والتخطيط المنظم والأحداث التي صنعها القدر والتي شاركت في صنع هذا الفتح الكبير.

فأولاً : إن الحكم العماني أو الإمبراطورية العمانية في شرق أفريقيا لم تقم فجاءت، وإنما كان قيامها قد جاء تتويجا المراحل متتابعة مرت بها العلاقات بين عمان وشرق أفريقيا في فترات بعيدة من التاريخ. وذلك أن عرب الخليج والعمانيين بالذات كانوا موجودين في تلك المناطق منذ وقت طويل.

وثانياً : إن ظهور اليعاربة كقوة عربية في عمان وقفت بصلابة ضد الوجود البرتغالي في منطقة الخليج العربي، كان مشجعاً لسكان شرق أفريقيا العرب

shobber.al-musawi.com

على أن يطلبوا مساعدة بني دينهم، وفعلاً بعث حكام كل من زنجبار وبمبا وغيرهما إلى إخوانهم عرب عمان يطلبون منهم المعاونة، وهكذا بدا تدخل عمان في الصراع العربي البرتغالي في شرق أفريقيا واستطاعت دولة اليعاربة أن تقضي على سيطرة البرتغاليين في الشرق الأفريقي .

وجاءت نجدة العمانيين نتيجة لطلب حكام ممباسا؛ على يد الإمام سلطان بن سيف الذي أرسل أسطوله الذي نجح في الاستيلاء على ممباسا وطرد البرتغاليين، ونصب عليها حاكماً عمانيا، ولكن تلك السيطرة كانت سيطرة مؤقتة، حيث أن البرتغاليين استطاعوا أن يسترجعوا سيطرتهم عليها وعلى جزيرتي زنجبار وبمبا، وقاموا بالتنكيل بأهلها، وقام البرتغاليين -الذين استبد بهم الغضب نتيجة مساعدة أهل هذه المدن للعمانيين ومعاونتهم ضد البرتغاليين- فقام القائد البرتغالي كابريرا بمهاجمة سكان جزيرتي زنجبار وبمبا لمساعدتهم العمانيين.

كما أن البرتغاليين استغلوا فترة الصراع بين الإمام بلعرب وأخيه سيف لاسترداد العديد من المدن في الساحل الشرقي من أفريقيا فقامت حملة برتغالية ضخمة عام ١٦٧٨ بقيادة نائب الحاكم بيدرو دوال ميدا بالتوجه من موزنبيق نحو باتا التي كانت تحتل مكانة رئيسية بين المدن العربية في الساحل الشرقي من أفريقيا وتمكن البرتغاليون في هذه الحملة من إخضاع باتا واستولوا بعدها على سيو ولامو وماندا رغم مقاومتها العنيدة، حيث قتل البرتغاليون حكام تلك المدن وحوالي مائتين من أعيان البلاد واتخذوا من مسجد باتا مقراً للقيادة وحولوا مسجداً آخر إلى إسطبل للخيول، كما أنهم أسروا حاكمها ونقلوه إلى جوا في الهند وأجبروه على توقيع وثيقة التعهد بطرد العمانيين وبناء قلعتين برتغاليتين فيها.

ثالثاً : إن المعاملة الجافة من البرتغاليين للسكان العرب والأفارقة والتي بلغت مبلغاً وحشياً في بعض الحالات هي الأخرى دفعت بالسكان لطلب المساعدة من أخوانهم العمانيين، والثورة ضد البرتغاليين.

Shobber.al-mubawi.com

فلقد كان التعصب الشديد، والقسوة المبالغة فيها، والمعاملة غير الإنسانية التي لجأ إليها البرتغاليون في معاملة العرب والمسلمين في شرق أفريقيا دافع لهؤلاء العرب والمسلمين للثورة ضد البرتغاليين والاستغاثة بإخوانهم العمانيين مما جعل الصراع مستمراً بين العمانيين والبرتغاليين حتى حسمه الإمام سيف بن سلطان بالسيطرة على تلك الجهات بالاستيلاء على باتا عام ١٦٧٩م وزنجبار وبمبا ثم ممباسا. وترتبط ثورة ممباسا على البرتغاليين بالعلاقات التي قامت بينها وبين دولة اليعاربة في عمان، فقد أدرك أهالي ممباسا أنه من الأفضل أن يحموا أنفسهم من البرتغاليين وذلك بالتجائهم إلى قوة كبيرة يعتمدون عليها ومن ثم كان من الطبيعي أن يلتجئوا إلى عمان نظراً للعلاقات الوثيقة التي قامت بنيها وأن يطلبوا من إمام عمان أن يساعدهم وأن يمد لهم يد العون.

ولذلك فإن الإمام سيف بن سلطان لم يتوانى أبداً وبناء على رسائل والتماسات التي قدمها أهالي ممباسا، فقام بتجهيز أسطولاً حربياً كبيراً يضم سبعة سفن حربية ضخمة وعشر زوارق وحوالي ٣٠٠٠ مقاتل لمهاجمة ممباسه ورست مراكبه في كلنديني بممباسا.

وكان هدف الحملة الاستيلاء على قلعة يسوع، التي كانت تشكل نقطة المقاومة الرئيسية للبرتغاليين في ممباسا، كما أنها تمثل إحدى القلاع الإستراتيجية القليلة على سواحل شرق أفريقيا، وكان من الواضح أمام القوات العمانية أن الاستيلاء على قلعة يسوع في ممباسا من الأمور المستعصية وغير قابلة للاختراق بالطرق التقليدية السائدة في ذلك الوقت. فلقد كان لابد من إتباع أساليب جديدة للقتال وكان من هذه الأساليب إتباع أسلوب الحصار الطويل الأمد وفي نفس الوقت مهاجمة القلعة بالمدافع.

ففي الوقت الذي تم فرض الحصار حول ممباسا والقلعة، كانت مدافع البحرية العمانية تقصف المناطق المحيطة بالقلعة في محاولة لعزلها والحيلولة دون وصول المؤن والذخيرة إليها وقد ساعد على تحقيق هذا الهدف انقطاع القلعة عن البر إلا عبر ضيق كان باستمرار هدفاً للمدفعية العمانية، وخلال فترة

Shobber.al-musawi.com

الحصار التي دامت عامين وتسعة أشهر كانت التعزيزات ترد إلى الأسطول العماني من جانب العمانيين. وكان البرتغاليون من جانبهم يبعثون بحملات بحرية في محاولة لفك الحصار، ولكنها كانت تخيب بالفشل. وبعد سبعة أشهر تقريباً تناقص عدد اللاجئين في القلعة من ٢٥٠٠ رجل إلى ألف وخمسمائة وعدد الجنود البرتغاليين من ٥٠ مقاتل إلى ٢٠ مقاتلاً وذلك نتيجة انتشار الأمراض ونقص كمية المؤن داخل القلعة.

، فهناك ثمة ما يؤكد أن الإمام اليعربي سيف بن سلطان وصل إلى موزمبيق وشدد الحصار على حصن سان سبتيان الأمر الذي أثار ثائرة البرتغاليين، وعلى الرغم من أن العمانيين كانوا على وشك الاستيلاء على الحصن إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك نظراً لما وقع في نفوسهم من ارتياع أثر انفجار لغم كبيراً كان البرتغاليين قد أعدوه هناك؛ وهو سلاح لم يره العمانيين من قبل، وعلى أية حال فقد بادر سكان الساحل الشرقي أفريقيا بالاعتراف بالسيادة العمانية من خليج دلجادو وحتى رأس غردفون شمالاً وهي المناطق التي تم تحريرها من السيطرة البرتغالية. وعلى الرغم من تلك المنجزات إلا إن الظروف لم تساعد دولة اليعاربة على تأكيد سيطرتها على الشرق الأفريقي رغم إحرازها الانتصار ضد البرتغاليين، وإنما تركت السيطرة والحكم لأبناء القبائل العمانية ولولاتها على مدن الشرق الأفريقي ولذلك فإن اليعاربة لم يعملوا على وراثة النفوذ البرتغالي وراثة، وإنما اكتفوا بتبعية هذه المناطق لدولتهم تبعية اسميه وظلت هذه المدن وهؤلاء الحكام والولاة ينظرون إلى عمان باعتبارها الدولة الأم التي تلجأ خلال الأزمات. وقد اعتبر الكثير من المؤرخون أن تولي محمد بن عثمان المزروعي الحكم في ممباسا تحت السيادة اليعربية العمانية بداية النهاية للسيطرة اليعربية في شرق أفريقيا وخصوصاً بعد اشتداد الخلافات بين أبناء الدولة اليعربية في عمان".

عموماً كانت لحادثة سقوط قلعة يسوع أثراً كبيراً في نفوس المسلمين والعرب، كما أن تفوق الأسطول العماني على الأسطولي البرتغالي في هذه المعركة أثره الكبير في سيطرة البحرية العمانية على الخليج والمحيط الهندي

shoppar.al-musawi.com

وشرق أفريقيا، كما كان أثر هذا الانتصار واضحاً في سيطرة العمانيون على مدن شرق أفريقيا وتمكنهم لاحقاً تحرير بمبا وكلوه وباتا وزنجبار وكذلك تمكن ولاة الدولة اليعربية من توسيع رقعة سيطرتهم على تلك النواحي ونجاحهم في إخضاع مدن زنجبار وغيرها من مدن وجزر الساحل، فأصبحت من توابع عمان وكانت تقوم بدفع الجزية السنوية لها.

ويعتقد المؤرخون أن سقوط ممباسا بصفة خاصة في يد العمانيين عام ١٦٩٨م باستخلاصها من البرتغاليين كان من الممكن أن يؤدي بالإمام سيف بن سلطان إلى تأسيس إمبراطورية عربية عمانية على أنقاض الاحتلال البرتغالي، لكن انشغاله بملاحقة البرتغاليين إلى جنوب أفريقيا وفي جنوب شرق آسيا، كما أن تركه حكم شرق أفريقيا لولاة وحكام عمانيين، واهتمامه بأمور الدولة في عمان، كل هذه الأسباب جعلت تأسيس هذه الإمبراطورية العمانية مؤجلة على الأقل لفترة مؤقتة، ولكن ذلك الفتح على كل حال؛ قد فتح الطريق ومهده لرجل آخر تمكن من إقامة وتأسيس هذه الإمبراطورية العمانية وهو السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي فيما بعد.

إن سقوط قلعة يسوع وفتح ممباسا كانت له آثار كثيرة وعظيمة يستطيع أن يلتمسها المرء من خلال تفحصه لهذا التراث العربي والعماني العظيم الذي خلفته هذه الحملة إن كان على شرق أفريقيا أو على الدولة اليعربية ومن خلفها الدولة البوسعيدية أو على انتهاء تصفية الوجود البرتغالي إن كان في شرق أفريقيا أو في جنوب شرق آسيا.

ويمثل هذا الإنجاز الأعظم والأقوى في تاريخ الدولية اليعربية وفي تاريخ الإمام سيف بن سلطان الذي أنجز هذا الفتح، وتعامل معه بطريقة حضارية، كما قدمه هدية لأهالي ممباسا دون مقابل، وبالفعل لقد كان فتح ممباسا فتحا جليلاً وكان يستحق معاملة تليق به.

لكن الإمام سيف ترك هذا الفتح العظيم وأستمر في ملاحقة البرتغاليين وإخراجهم من كل بلاد سواحل أفريقيا وشرق الهند، وكأنه أيضاً ترك تقدير وتثمين هذه الفتوحات والانتصارات للتاريخ وللأجيال القادمة.

shoaibalmubawi.com

وقد نقل وأشاد بعمل ابن دريد العديد من علمائنا الأفاضل المعاصرين والسابقين ، ومنهم السيوطي في كتابه بغية الوعاظ، ود. حسين نصار المعجم العربي نشأته وتطوره، ود. عبد السميع السيد في كتابه المعاجم العربية دراسة تحليلية، ود. عدنان الخطيب المعجم العربي بين الماضي والحاضر

كما نقل عن معجم الجمهرة العديد من الدارسين المعاصرين وتأثر بآرائه معظم علماء اللغة المعاصرين وظهر ذلك واضحا في الكتب العربية المعاصرة، ومنهم: د. علي عبد الواحد كافي في كتابيه فقه اللغة وعلم اللغة، ود. إبراهيم أنيس عن اللهجات العربية، ود. رمضان عبد التواب في كتابيه "لحن العامة والتطور اللغوي وكتابه التطور اللغوي"، ود. محمود فهمي حجازي في كتاب علم اللغة العربية، د. عبده الراجحي في كتابه والدكتور رجب عبد الرحمن في كتابه دراسات في الدلالة والمعجم، وغيرهم.

ويكفى ابن دريد شرفاً وفخراً أن معظم الكتب التي تهتم باللغة العربية والمعاجم التي ألفت بعده سارت على نهجه. وحتى يومنا هذا لا تجد كتابا يتحدث في علم اللغة أو الدلالة أو المعجم إلا ويتطرق لفكر بن دريد ورؤيته في تفسير والتحليل اللغوي أو منهجه في وضع المعجم أو في الاشتقاق أو في الترادف اللفظي وهو جهد وسبق يسجل لابن دريد في هذه العلوم اللغوية .

والجمهرة أحد المعاجم العربية الكبيرة، وسمَّاه بهذا الاسم لأنه اختار الجمهور (المشهور) من كلام العرب ، وترك الوحشي والمستنكر، ونهج فيه منهج الخليل، مع أنه أراد أن يتخلص منه، ولكنه اتبعه في كثير ، وشذ عنه في الترتيب إذ رتب كتابه على حروف المعجم، وفي ذلك يقول:"وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة، إذ كانت بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة". وعنى كثيراً بترتيب الحروف جاعلاً أساسه الأبنية، وسار على طريقة الخليل، مدخلاً فيها بعض الزيادات، وبدأ بالثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي، ثم ملحق الرباعي ثم الخماسي والسداسي وما يلحق بهما ، وأفرد للنوادر باباً خاصاً بخلاف الخليل الذي وضعها مع المواد كلا في بابها.

وينبغي أن ننظر لجهود ابن دريد في الجمهرة في اللغة في ضوء الدرس والمعجم اللغوي القديم ونظرة اللغويون العرب القدماء لصناعة المعاجم في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ الثقافة العربية التي كانت في مرحلة التأسيس الفكري للنهضة الثقافية والفكرية التي قامت فيما بعد. فلم تكن صناعة المعاجم معروفة لديهم ويمكن أن نشير في هذا الشأن إلى أن معجم ابن دريد هو ثاني معجم بعد معجم العين للخليل ابن احمد الفراهيدي . وكما وجه الكثير من النقد لكتاب العين كذلك فعل بالجمهرة. ولهذا فإننا لا نستعبد وقوع بعض الخلل في بعض أوجه التأليف الفكري واللغوي، وهذا ما قد حصل لكتابي العين والجمهرة وما جاء بعدهما من المعاجم القديمة

Shopper.al-mus.com

والفكرية والأدبية.

ثانياً: نظرة على كتاب الملاحن ودوره في الاشتقاق اللغوي، والترادف اللفظي:

يعتمد مفهوم مصطلح (اللحن – الملاحن) عند ابن دريد في كتابه هذا على الانزياح في استعمال لفظ معيّن عن الدلالة العامة الشائعة المعروفة عند الناس المتداولة فيما بينهم ، إلى دلالة معجمية أخرى لهذا اللفظ نفسه ، لا يعرفها السامع ولا يدرك معناها إلا بعد مراجعة المعجمات أو بعد أن تُفسَّر له ، فكأنها لغز من الألغاز ، وذلك لأن اللفظ ضمن التركيب المستعمل يحتمل معنيين أو أكثر ، أحدهما قريب وهو غير مقصود ، وإنما المقصود هو المعنى البعيد ، أي إن ابن دريد استخدم ظاهرة المشترك اللفظي واستفاد منها وأقام عليها كتابه . ويعد ابن دريد أول لغوي ينحى هذا المحنى في التأليف اللغوي ويؤلف كتابا في المشترك اللفظي

وقيمة ما قام به ابن دريد أنه سبق إلى الاتّساع والتصنيف في هذا الفن ، وسار على خطاه مَنْ تبعه ، فقد صنّف من معاصريه على منواله المفجّع البصري (ت ٣٢٧ هـ) كتاب " المنقذ من الأَيْمان " وصنف ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) كتاب " المعاريض " وكتاب فيتا فقيه العرب "وسلك هذا المسلك من بعدُ أبو العلاء المعرّي / في بعض نصوص رسالته " الصاهل والشاحج " والكَلاعي محمد بن عبد الغفور في بعض كتاباته .

مصادر البحث:

المراجـــــع والمصادر

المصدر	المؤلف
جمهرة اللّغة، لابن دريد	بتحقيق الدّكتور رمزي

Shobbar al-musawi.com

منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م (وإحالاتي في هذا البحث هي على هذه الطّبعة).

الاشتقاق : ابن دريد . بتحقيق عبد السّلام هارون، الخانجي، القاهرة ١٣٧٨هـ

كتاب الملاحن، نشرة توربكه ١٨٨٤ - بتحقيق د. عبد الإله أحمد نبهان ، قسم اللغة العربية – جامعة البعث بحمص، بحث مقدّم إلى مؤتمر المخطوطات الألفية بمكتب

تهذيب اللّغة، للأزهريّ، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف، القاهرة ١٣٨٤هـ.

العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، - بتحقيق الدّكتور مهدي المخزوميّ، والدّكتور إبراهيم السّامرائي، مؤسّسة الأعلميّ بيروت ١٤٠٨هـ.

shobber.al-musawi.com

أحمد بن ماجد

أسد البحار ورئيس علم البحر

وألقوا سلاح الجهل لما تحققوا مقالي في عرب وعجم وديلم
بقولي إني رابع لثلاثة فحق لحسادي تموت وتغتم
بوادر علم البحر عني تفرعت وخير صفات البحر تخرج من فمي*

---

* من شعر أحمد بن ماجد

shobber.al-musawi.com

أحمد بن ماجد النجدي

مقدمة:

إننا لسنا بصدد الحديث عن أمير من الأمراء، ولا إمام من الأئمة، وليس عالما من علماء الدين واللغة، لكنه في نفس الوقت هو أمير وهو إمام من الأئمة، وهو أيضاً عالم من العلماء في مكانته ومنزلته العلمية. فهو أمير البحر وهو (إمام) في مرتبة الأئمة في عمله وورعه وتقواه، وهو أيضاً عالم من علماء البحر وعلومه، وعلوم الفلك وقياساته.

لقد جاءت شهرة أحمد بن ماجد من خلال عمله في البحر، وعلى ظهر السفن، وفي مواجهة العواصف والرياح والأمواج، لا على ظهر اليابسة، ولم يتحصل على علومه ومعارفه في أوقات الرخاء والراحة ؛ لا وإنما كان يتحصل على علومه معارفه بالتجربة والقياس، وفي أوضاع المخاطرة ، وفي مواجهة عواصف وشدائد البحار، ولذلك أطلق عليه أسد البحار.

لكنه رغم ذلك اكتسب شهرة واسعة وكبيرة؛ شهرة قلما توفرت لملاح أو ربان من الربابنة العرب، وهذه الشهرة لم تكن فقط لأنه ملاح وربان مشهور على ظهر البحر، ولكنه كان أيضاً عالما ومؤلفا معروفا في علوم البحار وله عدة مصنفات في هذا العلم، أشهرها على الإطلاق كتاب الفوائد في علم البحر والقواعد.

أنا البحر في أحشائه الرد كامن فهل سألوا الغواص عن صدافتي

ومما يذكر في هذا المجال أن الذين استفادوا من علم أبن ماجد هم الفرنجة والبرتغاليين، ليس بدعوى أنه أوصلهم إلى ساحل الهند الشرقي عبر رأس الرجاء الصالح، لا ؛ وإنما استفادوا من مصنفاته بعد ترجمتها إلى لغاتهم ودراسة هذه المصنفات.

أما العمانيون والعرب، فلقد استفادوا من الناحية العلمية، وذلك من خلال تواجد الأسطول العماني وسيطرته على المحيط الهندي في القرن السادس عشر، وتواجد السفن العمانية وظهور عدد من ربابنة البحر العمانيين، وهذا التواجد وهذه السيطرة، ما هي إلا نتيجة وثمرة من ثمرات هذا الملاح وهذا الربان الذي بسط علوم البحر، ونشرها عن طريق الأراجيز التي كانت الطريقة التعليمية الأولى في أجواء البحر، وذلك لانعدام وسائل التعليم البسيطة نحو القلم والكتاب في تلك الأجواء.

Snobber al-musawi.com

نبذة موجزة عن حياته :

يعتبر أحمد بن ماجد من أشهر ملاحي العرب، وقد وصفه من جاء من بعده، بأنه شيخ علم البحر، ويشير إلى سبب هذه التسمية الأميرال التركي سيدي علي بن حسين في كتابه "الجامع"، حيث يقول: "أن أحمد بن ماجد باحث عن الحقيقة من بين الرحالة العرب وأكثر المرشدين والبحارة في غرب الهند مدعاة للثقة في القرنين الماضي والحاضر".

وأشتهر أحمد بن ماجد بعلمه في شؤون البحار، وفي كل ما يتصل بعلم الملاحة والفلك، واضطلاعه بشؤون الأدب والشعر، وأحوال الشعوب، وخبرته الطويلة التي قضاها في البحر، وقد أدى تأمله في النجوم ومتابعته لحركاتها، أن يبتدع قياسات جديدة لم يسبقه إليها أحد من قبل من معالمة البحر الذين سبقوه، وقد أوجد قياسات جديدة وصحح بعض القياسات النظرية السابقة. إضافة إلى استفادته من تجاربه وخبراته الملاحية، وما توصل إلى معرفة علم النجوم والرياح والأمواج. وقد ترك أحمد بن ماجد الكثير من المؤلفات والقياسات في مختلف العلوم الملاحية والفلكية، وذكر في مؤلفاته أسماء الجزر والبلدان والسواحل والقياسات البحرية، ومطالع النجوم، وطريقة استخراج القبلة، وشرح المسالك البحرية بين ساحل وآخر، وهذه القياسات لا يزال يعتمد عليها ربابنة السفن في أسفارهم الحالية.

ولا يتميز ابن ماجد بأنه ملاح ماهر فقط، ولا بأنه جمع بين الناحيتين العلمية والنظرية، فوضع المؤلفات بناء على خبرته البحرية، بل تتميز شخصيته بالإضافة إلى هذا وذاك بمعرفته العامة الواسعة جداً وبمطالعاته المختلفة، فقد كان ذا معرفة واطلاع شاملين تدلنا على ذلك أسماء المؤلفات التي كان يذكرها في كتاباته. كما تدل مؤلفاته على أنه قراء أغلب ما كان متاحاً في عصره من كتب في الأدب والفلك والجغرافيا مثل؛ كتاب "تقويم البلدان" لأبي الفداء و"معجم البلدان" لياقوت الحموي، وقد اعتمد في مصادره على كبار علماء الجغرافيا العرب نحو؛ الأصطخري، وابن حوقل، والإدريسي، وعلماء الفلك مثل؛ البيروني والبتاني، ويقول ابن ماجد عن مطالعاته :

قد راح عمري في المطالعات وكثرة التساؤلات في الجهات

وكم رأيت في خطوط الطول ونظمه ونثر في الفصول

وكم نظرت في الحساب العربي وحسبة الهند مذ كنت صبي

و سنحاول من خلال السطور القادمة التطرق إليها بتفصيل موجز.

أولاً : مؤلفات أحمد بن ماجد في علوم الملاحة :

Shobber al-musawi.com

لقد تمت صياغة معظم مؤلفات ابن ماجد إن لم يكن جميعها شعراً، وذلك تمشياً مع المنهج التعليمي الذي اتبعه ابن ماجد، ماعدا مؤلفاً وحداً تقريباً، قد كتب نثراً، وهو كتاب "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" ويعد هذا الكتاب من أكبر كتبه التي ألفها، وهو من أهم الكتب التي كتبت في علوم الملاحة والفلك، وقد اعتمد ابن ماجد في تأليف لهذا الكتاب على الجانبين النظري والعملي للمسائل الملاحية، كما أنه كان يرجع للذين سبقوه، إضافة إلى تجاربه الطويلة والشخصية بصورة خاصة، ويشمل الكتاب عدة مواضيع في الملاحة وعلم الفلك، وقد قسم ابن ماجد هذا الكتاب إلى أثنى عشر قسماً، وأطلق على كل قسم فائدة، كأنما يشير إلى كل فائدة من الفوائد التي تحصل عليها خلال أسفاره، ورحلاته البحرية، وتجاربه الشخصية. وقد اعترف الكثير من العلماء والباحثين بقيمة هذا الكتاب العلمية، والتنوع الكبير في فنون الملاحة الفلكية، وهو ما يلمسه القارئ لأقسام الكتاب الأثنى عشر، التي يطلق على كل منها فائدة، والفوائد التي وردت في الكتاب ، كالتالي:

الفائدة الأولى: يتناول ابن ماجد أصل اختراع الإبرة المغناطيسية (الوصلة).

الفائدة الثانية: يعدد المعارف النظرية والعملية، التي يجب أن يكتسبها الربان الناجح لركوب البحر، ويعتبر ابن ماجد معرفة منازل القمر الثماني والعشرين من أول متطلبات النظرية لعلم الملاحة.

وتشمل الفائدة الثلاثة: على منازل القمر الفلكية، والنجوم الملاحية التي يعتمد عليها الربان في الملاحة.

الفائدة الرابعة:

الفائدة الخامسة: ويتكلم فيها عن الجغرافيا الوصفية، والرياضيات ويذكر أسماء الكتب والمراجع الغنية التي يجب على الربان اقتنائها ودراستها.

الفائدة السادسة:

وحول هذا الكتاب، يقول المستشرق الفرنسي فيران : "إننا يجب أن نعتبر هذا الكتاب لوناً من التأليف يتناول علم الملاحة بالصورة التي كان عليها في أواخر العصور الوسطى . ولقد كان ابن ماجد في طليعة الكتاب العصريين في الإرشاد البحري، وكتابه يحوز على الإعجاب، وأن وصفه للبحر الأحمر على سبيل المثال لم يتفوق عليه أحد أو حتى يساويه، أما المعلومات التي قدمها المؤلف عن الرياح الموسمية والمحلية وطرق وخطوط العرض لعبور المحيط الهندي في أنحائه كلها، فهي دقيقة متصلة في الحدود التي يمكن أن نتوقعها من تلك الحقبة من الزمن".

ثانيا أراجيزه الشعرية:

Shobber al-musawi.com

أما المركز الثاني لمؤلفات ابن ماجد فتحتله المنظومة الشعرية وهي أرجوزة (حاوية الاختصار في أصول علم البحار)، وهي واقعة في ألف بيت، وتعد هذه الأرجوزة من أكبر مؤلفاته الشعرية التي وصلتنا، ويمكن أن نعتبرها منظومة شعرية مختصر لعلم الملاحة البحرية، وتبتدئ بسلسلة مزخرفة من الأراجيز والقصائد تختلف في أحجامها وموضوعاتها الرئيسية ومن أهمها :

١. أرجوزة رقم ٤:- أرجوزة تحفة القضاء ، وتصف طريقة إيجاد القبلة بواسطة خطوط الطول والعرض أو بالبوصلة.
٢. أرجوزة رقم ٥ :- أرجوزة بر العرب في خليج فارس، وفيها وصف لجزيرة البحرين، وخرج، وداس، وقيس، وطنب، وهنجام
٣. أرجوزة رقم ١٣ :- أرجوزة فلكية عن أسد الله المظفر أمير المؤمنين على ابن أبي طالب (عليه السلام)
٤. أرجوزة رقم ١٤:- أرجوزة وصف الطريق بين مكة وجده إلى راس الفرتك إلى كلكتا وكنكن وجوزرات بالهند وهراميز.

ويعتبر هذان المصنفان المنثور والمنظوم؛ إي كتاب الفوائد وحاوية الاختصار، من أهم ما كتبه ابن ماجد، من حيث الحجم أو المضمون. وهناك ثلاث مؤلفات أخرى لأبن ماجد، موجودة بالمكتبة القومية بباريس، وهي عبارة عن أراجيز شعرية، تصف الطرق البحرية الصغيرة ، مشروحة بالشعر وبقواف على مختلف الحروف العربية.

ويأتي في المركز الثالث ، كتابه "ثلاثة أزهار في معرفة البحار"، ويحتوي هذا المؤلف على ثلاثة أراجيز ملاحية، وقد اكتشفها وكتب عنها المستشرق تيودور شوموفسكي، وكانت هذه الأراجيز موجودة في معهد الدراسات الشرقية بموسكو، وقد كتبت هذه الأراجيز لتخدم غرضاً علمياً، وهو تسهيل استذكار المعلومات المتنوعة اللازمة عن الطرق البحرية. وقد جاءت على النحو الآتي :

١- الأرجوزة الأولى، تصف الطريق من ملبار إلى سفالة الزنج، على الساحل الشرقي لأفريقيا وتسمى بالسفالية .
٢- الأرجوزة الثانية، تسمى المعقلية، وتتناول الطريق بين الهند وسيلان وجاوة وملعقة وسومطرة.
٣- الأرجوزة الثالثة: وهي التائية-أي أرجوزة قافيتها التاء- وتصف الطريق من جدة إلى عدن، وهي عبارة عن وصف المجاري والقياسات لذلك الطريق المائي القصير عبر البحر الأحمر، وهو ما يمكن أن يكون الدليل البحري لأحمد بن ماجد نفسه

shopper.al-mubawi.com

المشهور في عصره بملاح طريق الحج، وبذلك تقدم الأراجيز الثلاث في مجموعها صورة متكاملة لحوض المحيط الهندي، والجوانب الأساسية المختلفة للملاحة فيه. وإلى جانب ذلك فإن هذه المؤلفات تمكننا من الحكم على مستوى الذي وصل إليه علم الملاحة في القرن الخامس عشر الميلادي، ويزيد في أهمية هذه المؤلفات أن المائة الأخيرة لتلك الفترة شهدت ذروة ما بلغه هذا العلم من تطور ورقي. وهناك موضوعان يمتزجان بشكل ملحوظ في كل صفحة تقريباً من هذه الأراجيز، بل وأحياناً في البيت الواحد، وهما موضوع الفلك؛ أي شرح موضوع النجوم بالنسبة لأي مكان على شواطئ البحر الهندي، أما الموضوع الثاني، فهو الجغرافيا الطبيعية، التي تتضح في شرح هذه الأماكن نفسها، وبيان أي عمق معين مع تحديد أو تثبيت الجزر على نفس الطريق، وكذلك بيان المياه الضحلة، والشعب المرجانية وطبيعة المجرى والدوامات الهوائية الموجودة في تلك المناطق، واتجاه الريح في مختلف أوقات السنة .

ويمكن القول بأن تلك الأراجيز الثلاثة ترسم لنا صورة حية للنشاط الملاحي في تلك المناطق التي نشط فيه بشكل خاص الملاح ابن ماجد.

ويتوج ابن ماجد معرفته النظرية، وتجاربه العملية في كتابه الفوائد، ويمثل الأوج الذي بلغته خبرته في علم الملاحة، وتطبيقه العملي لنظرياتها، ويصف المستشرق الفرنسي فيران كتاب الفوائد، "بأنه ذروة التأليف الفلكي الملاحي لعصره"، واعتبر ابن ماجد أول مؤلف للمرشدات البحرية الحديثة. لقد أغنى ابن ماجد الملاحة البحرية بمصطلحات ملاحية، كان قسم منها يعتمد إلى حد ما على تلك المرشدات البحرية التي وصفها أبوه وجده من قبل، وأن الجهد الذي بذله ابن ماجد هو أنه صحح وأضاف إلى من سبقوه، ولقد أغنى ابن ماجد ملاحو القرن الخامس عشر بثروة ملاحية كبيرة، وخاصة الملاحين العرب والهنود الغربيين، ولهذا اعتبرت جهود ابن ماجد في هذا المضمار؛ أهم مصادر لتاريخ الملاحة والتجارة في البحار الجنوبية في الفترة التي سبقت الغزو البرتغالي للمنطقة.

Shobber al-mugawir.com

ثانياً : إسهامات أحمد بن ماجد في تطوير علم الملاحة :

كان ابن ماجد رائداً من رواد علم الملاحة، وكانت له إسهامات العديدة في هذا المجال نذكر منها :

١. استخدامه للبوصلة :

يعتبر أحمد بن ماجد أول من طور البوصلة الملاحية بالمفهوم الحديث وكانت تسمة الحقة، وعن العرب نقلها الأوروبيون . ويقول ابن ماجد في كتابه "حاوية الاختصار"عن آلات القياس التي كان يستعملها:

وجدد الآلة قبل السفر كحقة أو قياس أو حجر

والبلد والفانوس والراهمانج وإن تكن سافرت كمن حجج

ويوصى الربان العربي تلاميذه، بفحص وتجهيز الآلات الملاحية قبل السفر مثل؛ بيت الإبرة أو الحقة، وآلة القياس وهي الخشبات، وآلة سبر الأعماق، والمصباح (الفانوس) والمرشد الملاحي الراهمانج (الراه نامه). ويصحح الدكتور أنور عبد العليم ما يشاع عند الغربيين من أن الربان الإيطالي فلافيو جيولا هو أول من ابتكر تعليق الإبرة الممغنطة على محور لتتحرك حركة حرة، فابن ماجد قد سبقه في ذلك بسنوات، إذ يقول في كتاب الفوائد الذي يرجع تاريخ المسودة الأولى منه إلى عام ١٤٧٥م، ومن اختراعنا في علم البحر تركيب المغناطيس على الحقة بنفسه ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع في كتاب) وهذا نص واضح على أن ابن ماجد كان يستخدم البوصلة قبل الايطالي جيولا، ويتكلم ابن ماجد في موضع آخر عن "تجليس المغناطيس على الحقة بنفسه" . من كل ذلك يتضح أن ابتكار الملاح الإيطالي، ما هو إلا نقل لاختراع ابن ماجد، وهي الحقة العربية التي كانت مستعملة في المحيط الهندي في النصف الثاني للقرن الخامس عشر.

٢. القياس بالأصابع وتحديد القبلة :

أوجد ابن ماجد صلة بين تقسيم دائرة الأفق إلى ٣٢ جزءاً تماثل خانة (وهو قسم من أقسام البوصلة الملاحية)، وبين استخدام قبضة اليد والذراع مبسوطة في اتجاه البصر أمام الراصد، فقبضة اليد تمثل ٣٢/١ جزءاً من محيط الدائرة مركزها نقطة اتصال الذراع بالكتف، وربما كان هذا هو الأساس الذي بموجبه تم تقسم الحقة العربية (البوصلة) إلى ٣٢ قسماً، وفي ذلك يقول ابن ماجد في وصف الطريقة لتحديد القبلة في كتاب الفوائد:

(وكذلك دورة السماء ٣٢ جزءاً (يقصد دائرة الأفق) وكل جزء قبضته من الخنصر إلى الإبهام وأنت مستقبلها ماداً بها ذراعك، فحط بيت الإبرة أمامك وصل على أي خن (خانه)،

shobber-almusawi.com

وجاء في النظم على أي بلد أنت بها، واقبض ببعض الأدلة المشار إليها عند عدم وجود الحقة).

٣.آلة الكمال: ادخل أحمد بن ماجد تحسينات كبيرة على طريقة القياس القديمة، باستخدام ما يسمى بالخشبات، أو الألواح وأطلق عليها اسم آلة الكمال، وهي عبارة عن خشبة مربعة على شكل متوازي مستطيلات يربط في وسطها خيط معقود على مسافات بنسب متفاوتة يتفق تدريجها، مع ظل تمام منتصف الزاوية بين الأفق وعين الراصد والنجم المرصود، والحكمة في استخدام العقد هي تمكين الملاح من معرفة العدد الدال عليها الذي يوضح مباشرة ارتفاع النجم بالأصابع بطريقة اللمس دون الحاجة إلى قراءة التدريج أثناء الظلام ليلاً .

٤.تعريفه للمياه الإقليمية :

يعرف أحمد بن ماجد المياه الإقليمية بأنها المسافة الممتدة من الشاطئ إلى الحد الذي يغيب فيه الساحل عن بصر الملاح من فوق مركب شراعي، وهو يبتعد عن البر، وهذه المسافة تقدر بنحو أربعة أميال بحرية في الظروف المعتادة، ولم يذكر ابن ماجد ذلك بالتحديد، ولكنه يقول في كتاب الفوائد كلام بما معناه (ولكن البحر ليس هو بحر أحد من هؤلاء الطوائف أي لا يتبع أهل الصين أو الهند والزنج والفرس وغيرهم، إنك إذا غيبت البرور (أي البر) عن نظرك ما عندك إلا معرفتك بالنجوم والهداية بها أي أنك تصبح في البحر الطليق ولا يحكم مسارك سوى الملاحة الفلكية).

ثالثاً : تطبيق أحمد بن ماجد للمنهاج النظري والتجريبي :

لقد أستمد أحمد بن ماجد معظم معارفه النظرية من مطالعاته المتعمقة لأعظم الآثار المكتوبة التي خلفها بناة الصرح الهائل للحضارة العربية في مجال العلوم الجغرافية؛ بفروعها الفلكية، والعلمية، والوصفية، وما يتصل بها من علوم الفلك والرياضيات والأنواء مع الجداول الفلكية، وبيانات الطول والعرض لجميع الأماكن المأهولة، والتي سافر إليها الربابنة اوالجغرافيين العرب، والتي لا تتم صنعة الربابنة إلا بها. وقد أفاد ابن ماجد من هذه الآثار الفلكية والجغرافية ، وقد أضاف إليها من خبرته في علم الملاحة، وتطبيقه العملي لنظرياتها. لقد أغنى ابن ماجد الملاحة البحرية بمصطلحات ملاحية، وأن الجهد الذي بذله ابن ماجد هو أنه صحح وأضاف إلى من سبقوه، وقد أدرجها ابن ماجد تحت ما هو مفيد يدخل في هذه الصنعة ويحتاج إليه أهلها. وقد أوجد ابن ماجد قياسات جديدة وصحح بعض القياسات النظرية السابقة. إضافة إلى استفادته من تجاربه وخبراته الملاحية، وما توصل إلى معرفة علم النجوم والرياح والأمواج. وكان ابن ماجد ينظر وينصت إلى كل شيء،

Shopper.al-musawi.com

ويزن ، ويقدر ، وينتقي ما هو ضروري ، وبمراجعته لتجاربه، وخبراته كان يحسن معلوماته العلمية ، وقد استفاد أحمد بن ماجد من ذلك كله في معرفة أسماء الجزر والبلدان والسواحل والقياسات البحرية، ومطالع النجوم، وطريقة استخراج القبلة، وشرح المسالك البحرية بين ساحل وآخر، وهذه القياسات لا يزال يعتمد عليها ربابنة السفن في أسفارهم الحالية. وسافر عبر جميع المسالك والطرق البحرية، وكانت تتطلب هذه الرحلات خبرة مهنية.

ويرى أن ابن ماجد في شرحه لمتطلبات علم الملاحة الفلكية؛ أنه علم عقلي تجريبي فهو يميز بين المتطلبات التي تقوم على العقل والنظر وبين المتطلبات التي تعتمد على الخبرة والتجريب، وأحياناً يجمع بين النظر والتجريب كشرط للوفاء ببعض متطلبات وعناصر الملاحة الصحية .

ومن أهم مصادره ومراجعه الكتب التالية :

ويبدو أن أحمد بن ماجد كان مطلعا وقارئا جيدا لكثير من الكتب والمصنفات العربية في علوم الفلك والجغرافيا، ومن هذه الكتب ، "كتاب التصاوير لأبي الحسن الصوفي – تقويم البلدان لأبي الفداء – القانون للبيروني – المسالك والممالك للإدريسي – ومعجم البلدان لياقوت الحموي– ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وغيرها من الكتب.

المنهاج لتجريب عند أحمد بن ماجد:

وإلى جانب الدراسة النظرية فإن أحمد بن ماجد أهتم كثيراً بالنواحي العملية في علم الملاحة، وأكد على أن التجربة لها دور كبير في عملية صنع الربان وخبراته، ففي معرض حديثه عن تحقيق قياس النجوم، تحدث عن كيفية أنه تفوق في علمه وتجربته على علم أبيه وجده، فيقول:" وكان جدي عليه الرحمة محققاً ومدققاً، وزاد عليه الوالد بالتجريب والتكرار، وفاق علمه علم أبيه، فلما جاء زماننا هذا وكررنا تقريباً أربعين سنة، انكشف لنا عن أشياء وحكم".

ويهتم ابن ماجد كثيراً بالتجربة وإعادة تحقيق إرصاده للنجوم على فترات في دقة علمية فيقول: "فو الله ما صنفت هذه القياسات المنتخبات، إلا بعد أن كررت عليهم عشرين سنة، وأني لم أترك في السماء نجماً، إلا وقد درجته وعرفت نقصانه وزيادته).

والجانب التجريبي عند أحمد بن ماجد يدخل في كل علوم الملاحة، فهو يشمل الدير البحرية؛ أي الطرق، والخطوط البحرية، ويشمل الرياح، ومواسم السفر، وعلامات البرور، وإشاراتها، وأساليب الملاحة في الظروف الصعبة، فضلاً عن إرشاداته ونصائحه وتحذيراته وغيرها من أسس علم الملاحة.

shopper-al-musawi.com

ومن النواحي التجريبية التي يذكرها أحمد بن ماجد في كتابه الفوائد، معرفة الاتجاهات وتحديدها، فالشمال عند أبن ماجد يدل عليه النجم القطبي أو (الجاه) أما الجنوب؛ فيدل عليه نجم سهيل، بينما يدل مطلع الطائر على الشرق، ويدل مغيبه على الغرب، والطائر نجم منير أبيض خفاق، وهو يطلع عن القطب الجنوبي في اثنين وعشرين من النيروز، ويغيب عنه في أربعين النيروز، وذكر ابن ماجد عن الطائر؛ أنه يسمى الصقر الطليق، وخنة في الحقة، ويسمى الهيران . وبما أن الربان يعرف بواسطة القياس موقع وبعد المكان الذي يقصده، ويحدد ما قطعه المركب من المسافة عرض المكان عرضا، فقد جعله ابن ماجد أهم أصول الملاحة الشراعية، فبالقياس يعرف مقدار ارتفاع النجم من الأصابع عن الأفق، إذا كان المركب يجري اتجاه النجم، أو مقدار هبوطه إلى الأفق، إذا كان يجري في الاتجاه المعاكس للنجم .

أراجيزه الشعرية:

وقد بلغت أراجيزه حوالي ٢٤ أرجوزة ملاحية، في حين يقول كراتشكوفسكي، "بأنها بلغت الأربعين، وأكثر هذه الأراجيز تصف القياسات والجزر، والبلدان والسواحل، ومطالع النجوم، وعدة الأشهر الميلادية، وأشهر هذه الأراجيز هي السبعية؛ التي تقع في ٣٠٧ أبيات، وتشرح سبعة من علوم البحر، وأرجوزة "حاوية الاختصار في أصول علم البحار"، وتقع في ١٠٨٢ بيت، وأرجوزة السفالية والمعقلية، وأرجوزة التائية؛ لأن قافيتها التاء. كما أن أحمد بن ماجد قد كتب أرجوزة واحدة شخصية فلكية عن أسد الله المظفر "أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب" (عليه السلام).

وقد اختلفت بحور هذه الأراجيز، فهي ليست دائماً منظومة على بحر الرجز، وكذلك اختلفت قافيتها، وتراوحت أحجامها؛ أما الأراجيز التي كتبت على وزن بحر الرجز، فقد كتبت لتخدم غرضاً عملياً هو تسهيل استذكار المعلومات المتنوعة اللازمة عن الطرق البحرية، وتختص بالمعلومات الملاحية المهمة لمعالمة البحر والربابنة وللمبتدئين في تلقي هذه العلوم.

وينتشر هذا النوع من الشعر أو النظم في الأوساط التي يصعب فيها حفظ النثر؛ لأن حفظ الشعر أو الرجز المزدوج أهون على النفس، وإذا حُفظ كان أعلق وأثبت، وقد ظهر هذا اللون في العصر العباسي، بسبب فساد الألسنة، وابتعاد الناس عن تعلم قواعد اللغة ويغلب على هذا النوع من الشعر المادة العلمية، أو التعليمية، ولا يلتقي مع الشعر الفني، إلا في صفة النظم فقط، وأغلبه يأتي من الرجز المزدوج أو المزاوج، وهو ما

Shoppers-al-museum.com

يستقل فيه شطر كل بيت بقافية واحدة، والقليل منه في غير الرجز من بحور الشعر ويلتزم قافية واحدة من مطلع القصيدة إلى ختامها.

"والشعر التعليمي يراد به الأراجيز والقصائد التاريخية، أو العلمية التي جاءت في حكم الأراجيز والقصائد، وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون المنظومة؛ كألفية ابن مالك في نحو العربية، وتجتمع في الأرجوزة التعليمية أمور كثيرة لا تجتمع في الشعر العادي، أما أول هذه الأمور فإن حفظ الشعر أو الرجز المزدوج أهون على النفس وإذا حفظ كان أعلق وأثبت.

وقد استخدم الرجز المزدوج في صياغة عدة أنواع من العلوم والمعارف، فنجد في القرن الرابع محمد بن ابراهيم الفزاري ينظم شعراً تعليماً في الفلك، وكذلك نظم أبوه في علم النجوم ، ولهذا نجد أن الربان أحمد بن ماجد يتجه إلى هذا النوع من الشعر أو الأراجيز، وذلك لسهولة حفظه وسهولة تدريسه، وخصوصاً في تلك الأجواء، التي كان ابن ماجد يمارس فيها عمله؛ نحو العيش فوق ظهر السفن أو العيش في البحر، والذي يكثر فيه الأميين، وغير المتعلمين، فإن نظم هذا النوع من الشعر هو طريقة مثالية للتعليم عموماً ولتعلم فنون البحر وعلوم الملاحة خصوصاً.

وقد قدم ابن ماجد معظم أعماله في شكل أراجيز، وهذا ما سهل على الملاحين والمشتغلين في البحر حفظ تلك العلوم، دون الحاجة إلى اقتناء جميع مؤلفاته، أو الاحتفاظ بها على ظهر السفن، وبهذه الأراجيز قدم أحمد بن ماجد خدمة جليلة لعلوم الملاحة البحرية، وكان سباقاً في هذا المجال، حيث أنه كان من أوائل الذين استخدموا

عندما نعود لأراجيز أحمد بن ماجد حول تلك الفترة، تظهر لنا بعض الحقائق، حول علاقة أحمد بن ماجد مع البرتغاليين، ويبدو أن كلام النهروالي قد أعتمد على ما جاء في هذه الأراجيز التي كتبها أحمد بن ماجد بنفسه. ورغم أقوال المعارضين لهذا الموضوع إلا أن هناك عدد من الإشارات في أراجيز بن ماجد، وخصوصا أرجوزته السفالية، التي يوجد فيها الكثير من الإشارات التي تشير إلى أن أحمد بن ماجد هو الذي أرشد البرتغاليين عبر رأس الرجاء الصالح إلى طريق الهند ومن هذه الإشارات هي :

١. سعة علوم ابن ماجد الملاحية واعتماد الملوك عليه وتكليفه في المهمات البحرية الصعبة، يقول :

Shobbeiramusawi.com

أنفقت عمري على علم عرفت به فازددت بالعلم توقيراً على كبري

لو لـم أكـن أهلاً لما عـنيت بي الملوك وهذا غايـة الوطـر

ثم يعزز ابن ماجد قوله هذا ، حيث يؤكد استعانة وإلى البلاد به، وتخصصيه بالسـفر دون غيره في إحدى المهام، ولكنه لا يذكر هل هذا السفر كان مع البرتغاليين أو لشأن آخر:

وخصني والي البلاد بالسفر من دون غيري بالهدى والظفر

لا شك أن من يرى بالعين تركـن إليـه النـاس باليقيـن

فهو يؤكد على أن علمه ليس بالرؤية فقط، وإنما بالتجربة والخبرة، وهذا ما استدعى والي البلاد في الاعتماد عليه في مهمات لم يذكرها، وربما يكون إرشاده للبرتغاليين، وإيصـالهم عبر رأس الرجاء الصالح إحدى هذه المهام.

٢. الأشارات التي وردت في السالفية، عن لقائة بأحد الربابنة البرتغاليين ، وأهم إشـارتين ترد في السفالية، عن لقائه بالربان الفرنجي، قوله :

دقق وحقق أن أخذت منها خـلاص يا ربان ثم صنفها

ثم تأمله بـذي السفاليـة تهديك في الجنوب خذ فعالية

لا غيرها في هذه الطريق نعم ، منهـا علـم بالتحقيق

وسوف تزداد بهذي الطرق من الفرنـج معرفة وصدق

عـرفتها بقـدر بأنهـا يسألني عنها وعن شعبانها

فهو يؤكد لقائه بالربان الفرنجي دون أن يذكر اسم هذا الربان، لكنه يؤكد حصول اللقاء، ثم يؤكد في ناحية أخرى أن الأفرنج بعد الحصول على المعلومات، أكدوا لـه صـحتها، فهـو يقول :

وقالت الأفرنج بالتحقيق إنا كشفنا على الطريق

shopper.al-musawi.com

كما أن ابن ماجد يؤكد أن البرتغاليين ظلوا يعانون من عدم معرفتهم بمواعيد الهبوب الموسمية في المحيط الهندي وشرق أفريقيا، مما أدى إلى إلحاق الكوارث بسفنهم،

المراجع والمصادر :

المصدر	المؤلف
١ – سندباد في عمان ،	يوسف الشاروني
٢– بن ماجد الملاح الفلكي ،	د.محمد حسن العيدروس – مجلة دراسات أدبية إصدار اتحاد كتاب الإمارات
٣– أحمد بن ماجد رائد الملاحة الفلكية،	د. أحمد طربين – ندوة أحمد بن ماجد مركز رأس الخيمة للدراسات
٤. ابن ماجد الرائد الأول في تطوير الملاحة،	١. د. سالم المبدر– ندوة احمد بن ماجد مركز رأس الخيمة للدراسات
٥. عمان وتاريخها البحري ،	إصدار وزارة الإعلام العمانية
٦ – علوم البحر عند العرب	الدكتو أنور عبد العليم إصدار سلسة

shobber.al-musawi.com

الإمام ناصر بن مرشد
موحد عمان ضد الغزو البرتغالي

"كان ناصر بن مرشد هو أول الحكام اليعاربة ، وهو قريب لزعيم الرستاق الذي كان يعارض النبهانية، وبمجرد انتخابه لتولي الإمامة في سنة ١٦٢٥ أحال هذا المنصب من مجرد ظل باهت كما كان إلى حقيقة مائلة بالقوة، وخلال مدة حكمه الذي استمر عشرين عاما أخضع الأقاليم الداخلية بما فيها الشرقية"•

مقدمة:

• كلمات لـ ج. ج. لوريمر مؤلف دليل الخليج

Shobber al-musawi.com

إننا أمام ألمع وأشهر الأئمة الذين تولوا هذه منصب الإمامة على الإطلاق، لأن هذا الإمام عندما تسلم الإمامة، كانت الأمة متفرقة والملوك والسلاطين والولاة في كل شبر من إنحاء عمان، أي أنه استلم الإمامة في زمن الحرب، فوحد الأمة، وحولها إلى أمة واحدة، وأعادها إلى حالة من الوحدة والتآلف. وقد واجه ناصر بن مرشد نوعين من الأعداء، فبالإضافة؛ إلى أعدائه الداخليين من أهل عمان، كانت البلاد تعيش تحت وطأة الاحتلال البرتغالي لبعض المدن والولايات العمانية، وكان الإمام ناصر يحارب أعدائه الداخليين، وهدفه النهائي كان تحرير البلاد من الأعداء الخارجين من البرتغاليين والفرس، الذين كانوا يسيطرون على أهم منافذ عمان البحرية، مثل قلهات، وصور وصحار ومسقط، لكنه انتهج سياسة نافذة، فلقد بذل جهوداً كبيرة في سبيل توحيد ولايات السلطنة تحت سلطة مركزية قوية، وقدم العفو عن المعارضين، وكان يعطيهم الفرصة تلو الفرصة لإظهار التوبة، ولكن عندما كان هؤلاء المعارضون يخونون العهود، فإنه كان يواجههم بالقوة، أي انه كان يستعمل الحكمة في موضع الحكمة، ويستعمل الشدة في موضع الشدة.

لقد كان هذا الإمام الرجل المناسب في الوقت المناسب، حيث كانت البلاد تمر بفترة حرجة مليئة بالأهواء وبالفتن وبالحروب الداخلية، وكان لا بد لها من منقذ، وكان لابد لها من رجل تتوفر فيه صفات فريدة؛ من القوة والإقدام والشجاعة والصبر على عظائم الأمور، وكان هذا الرجل هو الإمام ناصر بن مرشد.

إن الرجال العظماء، والأئمة الأقوياء لا يظهرون، إلا عندما تكون الأمة متفرقة، ولا يظهرون إلا وقت الشدائد والمحن، وفي الأوقات التي تكثر فيها الفتن؛ وكأنهم رسل السماء لإنقاذ أهل هذه البلاد، وفي هذه الأوقات تظهر الشخصيات العظيمة، وتختبر عزائم الرجال، ولقد ظهر هؤلاء الأئمة الذين قادوا البلاد إلى التخلص من الفتن ومن بقية المنافسين على الحكم، ثم الانطلاق إلى تحرير البلاد.

الفتن والمشاكل التي واجهت الإمام ناصر بن مرشد :

١. كانت الولايات والأمصار العمانية مفرقة بين الولاة والحكام فكان ملك الرستاق بيد ..... وحصن صحار

٢. استيلاء العجم على بعض الحصون العمانية.

shoobet.al-mubawi.com

٣. استيلاء البرتغاليين على الموانئ البحرية مسقط وصحار وقريات وصور وهي كلها موانئ بحرية.

٤. انتشار الجهل والتخلف وامتهان الأعراض وسفك الدماء

تحصينه الجبهة الداخلية:

لقد تنبأ الإمام ناصر بن مرشد، أنه لا سبيل إلى محاربة البرتغاليين، إلا بعد ينهي العمانيين جميعاً صراعاتهم الداخلية، فبدأ في توحيد البلاد ، واستطاع في فترة وجيزة فتح الولايات العمانية ولاية ولاية، وقام بتحصين الجبهة الداخلية.

وكان الإمام ناصر بن مرشد عندما يفتتح ولاية، يعيد بناء الحصون القديمة التي كانت تعد وسيلة الدفاع الأولى عن البلد ، وعن نظام الحكم، وكان يقيم العدل بين الرعية، ويجعل فيها والياً نائباً عنه، ثم يعود إلى عاصمة ملكه نزوى.

ولم يغفل الإمام ناصر بن مرشد رغم انشغاله بحروبه الداخلية من مواجهة البرتغاليين،فكان الوجود البرتغالي يقض مضجعه، ويشغل تفكيره، فكان يرسل لهم الحملة تلو الحملة.

ولقد صالح البرتغاليين، قبل أن يوحد البلاد، وذلك أثناء اشتغاله بالحروب الداخلية. وقد فتح الإمام جميع المدن والولايات العمانية ما عدا صحار ومسقط التي ظلت تحت أيدي البرتغاليين لحين وفاته ، فلقد كان الصلح بينه وبين البرتغاليين قائما، ولم يكن يستطيع أن يلغي ذلك الصلح مادام البرتغاليون ملتزمون بشروطه..

وقد كتب الله الانتصار لإمام ناصر بن مرشد في حملته الداخلية، وقد نجح بتوحيد البلاد خلف رايته ، وذلك للأسباب عدة . ومن أسباب انتصار الإمام في حملته الداخلية :

١. التفات بعض القبائل العمانية حوله .

٢. التفات بعض الرجال المعروفين بالحكمة والشجاعة والأعيان.

٣. التفات الفقهاء ورجال الدين حوله.

٤. توفر عدد من القادة الذين استبسلوا في حربهم ضد المعادين والمخالفين، نحو قائده الأكبر عبد الله بن محمد وسيف بن مالك.

shabber.al-musawi.com

٥. إقدام وشجاعة وراجحة عقل الإمام ناصر بن مرشد وورعه وتقواه واتصافه بصفات وأخلاق عالية، ثم عدله بين رعيته.

ومن العوامل الأخرى:

١. معاونة رجال اليحمد للإمام،/ وإمداده بالذخائر والأموال في سبيل الله، وإقامة الدولة العمانية المتحدة، في وجه الغزاة والمستعمرين، ومقاتلة أهل الكفر

٢. معاونة رجال القبائل والولايات العمانية للإمام ناصر بن مرشد في القضاء على حكام الجور والظلم.

٣. توفر عدد من الأبطال والقادة الذين فتح الله بهم الولايات الأمصار.

٤. إشرافه شخصيا على الجيوش والعساكر، وقيادته للمعارك الكبيرة والحاسمة.

أعماله السياسية والحضارية:

١. توحيد البلاد العمانية الداخلية تحت راية واحدة وحكم واحد.

٢. أقامة حكم العدل والإنصاف على كل المدن التي استولى عليها.

أعماله الحضارية:

١. أمر ببناء الحصن المنهدم الذي بناه الصلت بن مالك .

٢. أمر ببناء حصن وادي فدى

٣. توقير العلماء وجعلهم في وضعهم الديني المناسب، وتقليدهم أمور الولاية والقضاء.

Shobber.al-musawi.com

الإمام سلطان بن سيف
محرر عمان من البرتغاليين

(ما جئنا إلا لإحدى الحسنيين ،جئنا للموت لا للحياة إلا إذا يسرها الله لنا)*

"مات الإمام سلطان بن سيف وخلف ذلك الملك المترامي الأطراف وترك أساطيله تمخر عباب البحر حاملة ألوية الإمامة العظمى، رغم أعدائها، فأعظم بهذا الإمام العظيم، وأكرم بهذا السيد الكريم الذي رفع علم الناطقين بالضاد في الشرق كله ، وأكبر من شأنه وقدره ملأ قلب العالم بطولة حرة وإمامة صادقة ، وعظمة تاريخية"*.

---

* الإمام سلطان بن سيف اليعربي

* من كتاب العنوان للمؤلف الشيخ سالم بن حمود السيابي.

shobhar-al-musawi.com

الإمام سلطان بن سيف

كما كان الإمام ناصر بن مرشد جسوراً في طلب الحق، وفي الدفاع عن بلاد المسلمين كان الإمام سلطان بن سيف، ولم يتوانى في لحظة واحدة عن إكمال ما بدءه ابن عمه، بل أدى المهمة الموكلة إليه على أحسن وجه.

إننا أمام شخصيات عمانية فريدة، وثابتة على مواقفها، وعلى مبدأ الحق، شخصيات لا يهمها من تواجه، ومن يحاربها، حتى لو كانت أعظم قوة في تلك الفترة، وخاصة إذا كانت هي على الحق، ولا يسكنها التردد في القيام بالأعمال الخالدة، ولا يشغلها حب الدنيا عن طلب الجهاد والموت في سبيل نصرة الحق وتحرير الوطن.

وهكذا كان الإمام سلطان بن سيف ثابتاً على مبادئه ، لا تغيره الظروف الطارئة، ولا تحد من عزيمته الأحداث الصغيرة، فعندما كان في حربه الأخيرة على البرتغاليين في مسقط، لدغت سيف بن سلطان؛ حية في سيح الحرمل بالقرب من مسقط، فقيل له أن في ذلك فأل شؤم، ونصحه قومه بالتراجع، لكنه لم يتردد، ولم يتخوف، وإنما قال قولته المشهورة: "ما جئنا إلا لإحدى الحسنين، جئنا للموت لا للحياة إلا إذا يسرها الله لنا، وما أحب اسمع مثل هذا الحديث أو كلاماً هذا معناه".

وعندما زحف الجيش على مسقط لحرب البرتغاليين، كاد يطير إليها شوقاً، كيف لا وهاهي ساعة الحسم التي كان ينتظرها بفارغ الصبر قد حانت، ولم يبقى إلا المواجهة وتحقيق النصر. لقد جعل هذا الإمام نصب عينه تطهير البلاد من كل أجنبي، ولقد حدد وجهته، وعرف هدفه، وقام بتنفيذ ذلك، بطريقة حاسمة، وسريعة، فما أن أستلم الحكم والقيادة، حتى بدأ في تجهيز الجيوش، لمحاربة البرتغاليين ، وإجلائهم عن مسقط، وهي المدينة التي بقيت في أيديهم، وحاربهم حتى تحقق له النصر، وبذلك استكمل ما بدأه ابن عمه الإمام ناصر بن مرشد، وهو تخليص البلاد من الاحتلال الأجنبي، ولقد مكنه الله من عمل ذلك ونجح في ذلك العمل بدرجة كبيرة.

لقد كان أمام سلطان بن سيف مهمة واحدة فقط، كان يعرفها بدقة، وكان لا يزال يجهز نفسه وجيشه وقواده لتلك المهمة، وهي تخليص البلاد من الاحتلال البرتغالي، فلقد خلف الإمام ناصر بن مرشد له دولة عظيمة، مستقرة الأوضاع والأحوال والمناطق، إلا

shobber al-musawi.com

منطقة واحدة كانت تحت الاحتلال البرتغالي، هي منطقة مسقط، وكان يعرف بأن هذه هي مهمته الوحيدة، التي ينبغي أن ينهيها بنجاح، لأن هذه المهمة هي المهمة الأصعب، والتي لا تحتمل الفشل ولا تحتمل التأخير. لقد كان الإمام سلطان يعرف بأن التاريخ والعمانيين جمعيا، والفقهاء الذين حملوه مسؤولية الإمامة، لن يعفوه من إتمام هذه المسؤولية المهمة، وان الفشل غير وارد في هذه المسألة.

ولذلك كانت مسؤوليته الأولى وواجبه الأول منذ أن استلم الإمامة أن يحرر البلاد من المحتلين البرتغاليين. لقد قام سلطان بن سيف بهذه المهمة بنفسه، ونجح فيها، واستطاع أن يسجل اسمه في سجل تاريخ عمان إلى جانب ابن عمه الإمام ناصر بن مرشد، وأبناءه بلعرب وسيف، وكان ناصر بن مرشد قد حرر البلاد من الفتن والقلائل وأعاد بناء الشخصية العمانية، التي كانت تعاني من الاحتلال البرتغالي، والخوف، وكان هو محرر البلاد من البرتغاليين، وكان ولده سيف فاتح أفريقيا شجرة بعضها من بعض.

shopper.al-musawi.com

الإمام سيف بن سلطان اليعربي
محرر أفريقيا من البرتغاليين

"لقد رفع سيف بن سلطان رأسه إلى السماء ينظر إلى العالم الخارجي ليمد سلطان المسلمين فيه وينشر العدل في نواحيه وكان توفيق الله حليفه وكانت له همة عالية"*

"وبعد أن أصبحت الإمامة مضمونة في يده، أصبح سيف بن سلطان الأول أعظم حكام أسرة اليعاربة في عمان، وقد عرف باسم قيد الأرض وهي إشارة مبالغ فيها لدلالة على سيطرته على العالم، وفي عهد هذا الإمام الذي كان مولعاً بالطموح وحب العظمة ازدهرت عمان كثيراً"*

---

* من كتاب "العنوان" للمؤلف الشيخ سالم بن حمود السيابي.

* من كتاب "تاريخ عمان" ، وندل فيليبس

shobbeir-al-musawi.com

الإمام سيف بن سلطان اليعربي

مقدمة:

لقد كان الإمام سيف بن سلطان رجل سياسة، وحكم، لقد كان رجلاً طموحاً للحكم وللسلطة، على العكس من أخيه الذي كان يميل إلى العلم والأدب، والتركيز على بناء الثقافة والعلم.

إن طموح سيف بن سلطان، للحكم والسلطة طموح مبرر لأنه كان في اعتقاده، أنه لو استلم الحكم، لكان فعل أكثر من الاهتمام بالشؤون الداخلية فقط، أنه كان يرى العالم ينتظر خيول العمانيين، وسفنهم وهي تغزو بحار العالم، وتحرر المدن العربية والهندية والأفريقية من سيطرة البرتغاليين، وكانت هذه المؤانى والبلاد تنتظر سفن العمانيين وفتوحاتهم بفارغ الصبر، لقد كانت تلك البلاد تنتظر لترى قوة العمانيين الحقيقية. وعندما أستلم سيف بن سلطان الحكم أطلق تلك القوة من عقالها، فخرجت فاتحة آفاق الدنيا، و لم ينتظر حتى تأتيه قوى أخرى، وإنما أرسل سفنه وراء البرتغاليين، وطاردهم وأكمل ما بدأه أبن عم أبيه وأبيه.

لقد كان الإمام سيف بن سلطان يعرف حجم قوته وكان يعلم من هو ومن هم جنوده وماذا يريد بالضبط، لقد حدد هدفه وقام بتنفيذ هذا الهدف ، وكان يعرف بأن البرتغاليين يعيشون أيامهم الأخيرة في المنطقة، ولذلك كان من السهل عليه مهاجمة قواتهم في كل المؤاني التي كانوا متواجدين فيها.

لقد كان رجل دولة وسياسة وحرب وفتوحات جديدة لقد عرف إمكانياته وعرف العالم حوله، لقد كان العالم حوله يعيش فترة تحول وكان البرتغاليين يخسرون كل يوم مواقع جديدة خصوصاً في هذا الجزء من العالم فلذلك لم يتردد للحظة . لقد رأى أن بين يديه قوة عظيمة ورجال أشداء وبحار مفتوحة

Shopper.al-musawi.com

وقوة متهاوية وأراض لا تحتاج إلى الكثير لكي يفتحها ولكي يلحقها إلى أراضيه وبلاده فلذلك قرر القيام بهذه الفتوحات.

لقد كان الرجل المناسب في الفترة المناسبة.

إن الإمام سيف بن سلطان أستوعب دروس التاريخ وتمثل بالمسلمين الأوائل في بعد انتصار الأمة الإسلامية في حروبها الداخلية على أعدائها لم تسكن وتلتزم جانب الحذر والاطمئنان لا وإنما بعثت البعوث وأرسلت الجيوش والحملات لفتح البلدان المجاورة ولإيصال الإسلام إلى البلاد التي لم يصلها الإسلام، وكذلك فعل الإمام سيف بن سلطان فهو استلم دولة بلغت من الشأن والقوة مبلغاً كبيراً فلذلك لم يستكين، ولم يؤثر الجلوس في قصره؛ لا وإنما جيش الجيوش وأرسل الحملات في سبيل فح البلاد الجديدة وإدخالها ضمن أراضي الدولة العمانية.

إنه استوعب دروس التاريخ والجغرافيا وتأكد بأنه أفضل طريقة للدفاع هي الهجوم إنه كان يواجه عدواً غائباً وخلفه بلادا مطمئنة أمنة، كذلك كان سيف بن سلطان يدرك أن العمانيين الذين تعودا على الحروب الداخلية والقتال كانوا يطمحون للفتوحات والنصر، فلو لم يشغلهم بالحروب الخارجية لكانت هناك حروب داخلية، وخصوصاً مع الهدوء والاطمئنان، ويبدو أنه قد اختار الاختيار الأفضل.

فلقد كان العمانيون مدفوعين بالروح الدينية والرغبة بالجهاد ونشر الإسلام ، ولقد سجل له التاريخ هذا العمل بكل فخر وشرف ، وأضاف إلى نفسه الكثير من المجد، والكثير من الفخر، وأضاف إلى مسيرة الإنسان العماني مبادئ جديدة في كيفية التعامل مع الأحداث، وأضاف إلى عمان مساحات جديدة من السيطرة السياسية والانفتاح على العالم.

صفاته وأخلاقه ومعاملاته الإنسانية :

لما استقرت الأمور السياسية والدينية في يد الإمام سيف بن سلطان وأظهر العدل وأذعنت له الرعية وكان شجاعاً نجيداً ذا بأس شديد، راداً القوي عن

Shobber.al-musawi.com

الضعيف، فهابته القبائل وأعمر عمان وأجرى فيها الأنهار وغرس فيها النخيل وجمع مالاً كثيراً، وكان شديد الحزم على المال فملك من عمان ثلثها وأحداث أفلاحا عدة، وكان في حوزته ألف وسبعمائة عبد، وثماني وعشرين سفينة حربية (منها الملك والفلك والرحماني والصالحي وفيض رياف وكعب رأس) وهذه المراكب كلها غاية في العظمة، وغرس ببركاء ثلاثين ألف نخله وستة ألاف نارجيله وغيرها ، وأشترى أموال بني اللمكي، وبني عدي من وادي سحتن ونمت هذه الأموال بيديه نمواً عظيماً.

ومن كثرة الأموال في عصره ورخاء دولته فإن كان قد ترك بيد وكيله الذي بمسقط سبعة وخمسين لكاً من الدراهم الفضية فضلاً من الدنانير الذهبية، وهو في الحقيقة مبلغ كبير وهذا ما بيد وكيله فكم كان بيده هو فالله أعلم .

وكان الإمام سلطان بن سيف قد تلقب بلقب قيد الأرض لضبطه الممالك وتقيده بعدله، ولم يعب عليه أحد من سيرته شيء إلا ما كان منه في أول أمر حكمه من خروجه على أخيه الإمام العادل، وطالت أيامه وعاشت الرعية في ظل عدله وفي أرغد عيش وأنعم بال وعمر عمان كثيراً وأجرى فيها الأنهار وغرس فيها النخل والأشجار وجمع مالاً جما وملك إماء وعبيدا وقويت عمان به فصارت خير دار.

وقد أورد المؤرخون العمانيون قصصا كثيرة على عدله وحسن سيرته بين الناس منها؛ قصة التاجر اليمني الذي سُرق ماله واستطاع الإمام في نهاية الأمر أن يعيدها له، وقصة مورة الفلفل التي ألقاها في بعض حصونه لينظر إن كان يستطيع أحد أن يمد إليها يده لكي يأخذها فما لم يتعرض أحد لتلك المورة أمر أن تقسم على ضعفاء القرى القريبة منها وغيرها، وكان شديد الحرص على المال أو هو شديد الحزم على المال لا يحب التبذير فيه بسبب أو بدون سبب، وفي هذا ما روى عنه أن بعض أكابر أعراب الشمال جاؤوا يسألونه بعضا من المال، وذكروا له أن أخاه بلعرب وأباه سلطان كانوا يعطونهم، فرد عليهم أن أخي كان اسمه أبا العرب لإكرامه لهم، وأنا اسمي سيف وفعلي فعل السيف، وفي رواية أخرى أبي سلطان وأنا سيف والمعنى

Shobber.al-musawi.com

الظاهر؛ أن أبوه كان سلطان والسلاطين من صفاتها العطاء، وأما هو فهو سيف وصفات السيوف هي قطع الرقاب. وكأن الإمام لم يرد أن يتخذوها عادة وهم رجال أقوياء يستطيعون أن يقوموا بشتى الأعمال وأن يتركوا عادة السؤال والطلب.

وبحفظ الإمام للأموال ألبس الدولة قوة ووضع لها في قلوب الناس هيبة وكيف لا وتلك الجيوش الجرارة التي عرفت بها وأشغلت العالم في أيامها وقضت على الفتن وأسباب التفرقة والاختلاف.

أخيراً نذكر رأي أمير البيان شكيب ارسلان في الإمام سيف وخير الشهادات هي التي تأتي من أناس لهم وزنهم في حياة الأمة. يقول: "كان سيف حكيماً مدبراً محباً للعمران بصيراً بالإصلاح فانتظم بإدارته جمهور المرافق والمصالح والتأم بنفاذه شمل المعاون المناجح وهو الذي شرع في بلاده بحفر الأفلج، فاضت الخيرات بهذه القنوات وترقت الزراعة ترقياً بالغاً واعتنى سيف أشد الاعتناء بغرس النخيل واستجلب أصنافه وبلغ ذلك في غاية الاعتزام وأمد الالتزام فصار ذا ثروة طائلة ونعمة لا تحصى قيل أنه كان يملك ثلث نخيل عمان وكانت حاضرته مدينة الرستاق وتوفي عام ١٧١١م".

فتح شرق أفريقيا :

أن أعظم أعمال الإمام سيف بن سلطان والتي لا يزال يذكرها التاريخ بفخر واعتزاز هي فتحه لشرق أفريقيا، ورغم أن هذا الفتح قد سبقته مراحل من التمهيد والتخطيط المنظم والأحداث التي صنعها القدر والتي شاركت في صنع هذا الفتح الكبير.

فأولاً : إن الحكم العماني أو الإمبراطورية العمانية في شرق أفريقيا لم تقم فجاءت، وإنما كان قيامها قد جاء تتويجا المراحل متتابعة مرت بها العلاقات بين عمان وشرق أفريقيا في فترات بعيدة من التاريخ. وذلك أن عرب الخليج والعمانيين بالذات كانوا موجودين في تلك المناطق منذ وقت طويل.

وثانياً : إن ظهور اليعاربة كقوة عربية في عمان وقفت بصلابة ضد الوجود البرتغالي في منطقة الخليج العربي، كان مشجعاً لسكان شرق أفريقيا العرب

shobber.al-musawi.com

على أن يطلبوا مساعدة بني دينهم، وفعلاً بعث حكام كل من زنجبار وبمبا وغيرهما إلى إخوانهم عرب عمان يطلبون منهم المعاونة، وهكذا بدا تدخل عمان في الصراع العربي البرتغالي في شرق أفريقيا واستطاعت دولة اليعاربة أن تقضي على سيطرة البرتغاليين في الشرق الأفريقي .

وجاءت نجدة العمانيين نتيجة لطلب حكام ممباسا؛ على يد الإمام سلطان بن سيف الذي أرسل أسطوله الذي نجح في الاستيلاء على ممباسا وطرد البرتغاليين، ونصب عليها حاكماً عمانيا، ولكن تلك السيطرة كانت سيطرة مؤقتة، حيث أن البرتغاليين استطاعوا أن يسترجعوا سيطرتهم عليها وعلى جزيرتي زنجبار وبمبا، وقاموا بالتنكيل بأهلها، وقام البرتغاليين -الذين استبد بهم الغضب نتيجة مساعدة أهل هذه المدن للعمانيين ومعاونتهم ضد البرتغاليين- فقام القائد البرتغالي كابريرا بمهاجمة سكان جزيرتي زنجبار وبمبا لمساعدتهم العمانيين.

كما أن البرتغاليين استغلوا فترة الصراع بين الإمام بلعرب وأخيه سيف لاسترداد العديد من المدن في الساحل الشرقي من أفريقيا فقامت حملة برتغالية ضخمة عام ١٦٧٨ بقيادة نائب الحاكم بيدرو دوال ميدا بالتوجه من موزنبيق نحو باتا التي كانت تحتل مكانة رئيسية بين المدن العربية في الساحل الشرقي من أفريقيا وتمكن البرتغاليون في هذه الحملة من إخضاع باتا واستولوا بعدها على سيو ولامو وماندا رغم مقاومتها العنيدة، حيث قتل البرتغاليون حكام تلك المدن وحوالي مائتين من أعيان البلاد واتخذوا من مسجد باتا مقراً للقيادة وحولوا مسجداً آخر إلى إسطبل للخيول، كما أنهم أسروا حاكمها ونقلوه إلى جوا في الهند وأجبروه على توقيع وثيقة التعهد بطرد العمانيين وبناء قلعتين برتغاليتين فيها.

ثالثاً : إن المعاملة الجافة من البرتغاليين للسكان العرب والأفارقة والتي بلغت مبلغاً وحشياً في بعض الحالات هي الأخرى دفعت بالسكان لطلب المساعدة من أخوانهم العمانيين، والثورة ضد البرتغاليين.

shopper.al-musawi.com

فلقد كان التعصب الشديد، والقسوة المبالغة فيها، والمعاملة غير الإنسانية التي لجأ إليها البرتغاليون في معاملة العرب والمسلمين في شرق أفريقيا دافع لهؤلاء العرب والمسلمين للثورة ضد البرتغاليين والاستغاثة بإخوانهم العمانيين مما جعل الصراع مستمراً بين العمانيين والبرتغاليين حتى حسمه الإمام سيف بن سلطان بالسيطرة على تلك الجهات بالاستيلاء على باتا عام ١٦٧٩م وزنجبار وبمبا ثم ممباسا. وترتبط ثورة ممباسا على البرتغاليين بالعلاقات التي قامت بينها وبين دولة اليعاربة في عمان، فقد أدرك أهالي ممباسا أنه من الأفضل أن يحموا أنفسهم من البرتغاليين وذلك بالتجائهم إلى قوة كبيرة يعتمدون عليها ومن ثم كان من الطبيعي أن يلتجئوا إلى عمان نظراً للعلاقات الوثيقة التي قامت بنيها وأن يطلبوا من إمام عمان أن يساعدهم وأن يمد لهم يد العون.

ولذلك فإن الإمام سيف بن سلطان لم يتوانى أبداً وبناء على رسائل والتماسات التي قدمها أهالي ممباسا، فقام بتجهيز أسطولاً حربياً كبيراً يضم سبعة سفن حربية ضخمة وعشر زوارق وحوالي ٣٠٠٠ مقاتل لمهاجمة ممباسه ورست مراكبه في كلنديني بممباسا.

وكان هدف الحملة الاستيلاء على قلعة يسوع، التي كانت تشكل نقطة المقاومة الرئيسية للبرتغاليين في ممباسا، كما أنها تمثل إحدى القلاع الإستراتيجية القليلة على سواحل شرق أفريقيا، وكان من الواضح أمام القوات العمانية أن الاستيلاء على قلعة يسوع في ممباسا من الأمور المستعصية وغير قابلة للاختراق بالطرق التقليدية السائدة في ذلك الوقت. فلقد كان لابد من إتباع أساليب جديدة للقتال وكان من هذه الأساليب إتباع أسلوب الحصار الطويل الأمد وفي نفس الوقت مهاجمة القلعة بالمدافع.

ففي الوقت الذي تم فرض الحصار حول ممباسا والقلعة، كانت مدافع البحرية العمانية تقصف المناطق المحيطة بالقلعة في محاولة لعزلها والحيلولة دون وصول المؤن والذخيرة إليها وقد ساعد على تحقيق هذا الهدف انقطاع القلعة عن البر إلا عبر ضيق كان باستمرار هدفاً للمدفعية العمانية، وخلال فترة

Shopper.al-musawi.com

الحصار التي دامت عامين وتسعة أشهر كانت التعزيزات ترد إلى الأسطول العماني من جانب العمانيين. وكان البرتغاليون من جانبهم يبعثون بحملات بحرية في محاولة لفك الحصار، ولكنها كانت تخيب بالفشل. وبعد سبعة أشهر تقريباً تناقص عدد اللاجئين في القلعة من ٢٥٠٠ رجل إلى ألف وخمسمائة وعدد الجنود البرتغاليين من ٥٠ مقاتل إلى ٢٠ مقاتلاً وذلك نتيجة انتشار الأمراض ونقص كمية المؤن داخل القلعة.

، فهناك ثمة ما يؤكد أن الإمام اليعربي سيف بن سلطان وصل إلى موزمبيق وشدد الحصار على حصن سان سبتيان الأمر الذي أثار ثائرة البرتغاليين، وعلى الرغم من أن العمانيين كانوا على وشك الاستيلاء على الحصن إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك نظراً لما وقع في نفوسهم من ارتياع أثر انفجار لغم كبيراً كان البرتغاليين قد أعدوه هناك؛ وهو سلاح لم يره العمانيين من قبل، وعلى أية حال فقد بادر سكان الساحل الشرقي أفريقيا بالاعتراف بالسيادة العمانية من خليج دلجادو وحتى رأس غردفون شمالاً وهي المناطق التي تم تحريرها من السيطرة البرتغالية. وعلى الرغم من تلك المنجزات إلا إن الظروف لم تساعد دولة اليعاربة على تأكيد سيطرتها على الشرق الأفريقي رغم إحرازها الانتصار ضد البرتغاليين، وإنما تركت السيطرة والحكم لأبناء القبائل العمانية ولولاتها على مدن الشرق الأفريقي ولذلك فإن اليعاربة لم يعملوا على وراثة النفوذ البرتغالي وراثة، وإنما اكتفوا بتبعية هذه المناطق لدولتهم تبعية اسميه وظلت هذه المدن وهؤلاء الحكام والولاة ينظرون إلى عمان باعتبارها الدولة الأم التي تلجأ خلال الأزمات. وقد اعتبر الكثير من المؤرخون أن تولي محمد بن عثمان المزروعي الحكم في ممباسا تحت السيادة اليعربية العمانية بداية النهاية للسيطرة اليعربية في شرق أفريقيا وخصوصاً بعد اشتداد الخلافات بين أبناء الدولة اليعربية في عمان".

عموماً كانت لحادثة سقوط قلعة يسوع أثراً كبيراً في نفوس المسلمين والعرب، كما أن تفوق الأسطول العماني على الأسطولي البرتغالي في هذه المعركة أثره الكبير في سيطرة البحرية العمانية على الخليج والمحيط الهندي

shopper.al-mubaw.com

وشرق أفريقيا، كما كان أثر هذا الانتصار واضحاً في سيطرة العمانيون على مدن شرق أفريقيا وتمكنهم لاحقاً تحرير بمبا وكلوه وباتا وزنجبار وكذلك تمكن ولاة الدولة اليعربية من توسيع رقعة سيطرتهم على تلك النواحي ونجاحهم في إخضاع مدن زنجبار وغيرها من مدن وجزر الساحل، فأصبحت من توابع عمان وكانت تقوم بدفع الجزية السنوية لها.

ويعتقد المؤرخون أن سقوط ممباسا بصفة خاصة في يد العمانيين عام ١٦٩٨م باستخلاصها من البرتغاليين كان من الممكن أن يؤدي بالإمام سيف بن سلطان إلى تأسيس إمبراطورية عربية عمانية على أنقاض الاحتلال البرتغالي، لكن انشغاله بملاحقة البرتغاليين إلى جنوب أفريقيا وفي جنوب شرق آسيا، كما أن تركه حكم شرق أفريقيا لولاة وحكام عمانيين، واهتمامه بأمور الدولة في عمان، كل هذه الأسباب جعلت تأسيس هذه الإمبراطورية العمانية مؤجلة على الأقل لفترة مؤقتة، ولكن ذلك الفتح على كل حال؛ قد فتح الطريق ومهده لرجل آخر تمكن من إقامة وتأسيس هذه الإمبراطورية العمانية وهو السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي فيما بعد.

إن سقوط قلعة يسوع وفتح ممباسا كانت له آثار كثيرة وعظيمة يستطيع أن يلتمسها المرء من خلال تفحصه لهذا التراث العربي والعماني العظيم الذي خلفته هذه الحملة إن كان على شرق أفريقيا أو على الدولة اليعربية ومن خلفها الدولة البوسعيدية أو على انتهاء تصفية الوجود البرتغالي إن كان في شرق أفريقيا أو في جنوب شرق آسيا.

ويمثل هذا الإنجاز الأعظم والأقوى في تاريخ الدولية اليعربية وفي تاريخ الإمام سيف بن سلطان الذي أنجز هذا الفتح، وتعامل معه بطريقة حضارية، كما قدمه هدية لأهالي ممباسا دون مقابل، وبالفعل لقد كان فتح ممباسا فتحا جليلاً وكان يستحق معاملة تليق به.

لكن الإمام سيف ترك هذا الفتح العظيم وأستمر في ملاحقة البرتغاليين وإخراجهم من كل بلاد سواحل أفريقيا وشرق الهند، وكأنه أيضاً ترك تقدير وتثمين هذه الفتوحات والانتصارات للتاريخ وللأجيال القادمة.

shoaber.almusawi.com

أحمد بن النعمان
أول سفير عربي لأمريكا

تمهيد :

مثله مثل كل الربابنة العمانيين ورجال السياسة منهم، كان أحمد بن النعمان رجل اثار الاحترام والمهابة إن كان في قيادته للسفينة سلطانه طوال رحلتها من مسقط وزنجبار إلى نيويورك وفي طريق عودتها إلى زنجبار أو في سفارته التجارية والسياسية للولايات المتحدة، فلقد أثبت أحمد بن النعمان بأنه رجل من طراز خاص اعتمد عليه السيد سعيد بن سلطان، وعلى غيره فأقاموا ملكه ونفذوا سياساته وأصلحوا ما فسد من أخطاء العامة والأعيان فكانوا نعم الرجال وأحسن الساسة.

لقد أعزهم الله بالسيد سعيد بن سلطان وأعز السيد سعيد بهم لم يكن أحمد بن النعمان ملاحاً محترفاً ذا خبرة ومهارة، ولكنه كان في الحقيقة رجل سياسي محترف بمعنى الكلمة رغم أنه قضى جزء من حياته على ظهر السفن وفي البحر كمساعد أو معاون، وقد أظهر في عمله ذلك ذكاء وقدرة نادرة جعلته يترقى سريعاً في أعمال البحرية.

shobber-almusawi.com

وقد أظهر قدرة أكبر ونبوغ واضح في المهمات التي أسندها له السيد سعيد. حيث أنه بعد التحاقه بالعمل مع السيد سعيد ظل عشر سنين يكلف بمهمات تجارية خاصة بالسيد سعيد ويقال أنه سافر إلى الصين ومصر وإلى أوروبا في مهمات عديدة ممثلاً لسيده جعلت السيد سعيد يثق فيه ثقة تامة حتى أصبح في عام ١٨٣٥م سكرتيراً خاصاً للسيد سعيد وظل يشغل هذه المهمة حتى وفاة السلطان.

وهذا ما جعل السيد سعيد بن سلطان يكلفه للقيام بمهمة السفارة التجارية والسياسية للولايات المتحدة الأمريكية.

يقول الشيخ عبد الله الفارسي في كتابه البوسعيدين حكام زنجبار عن حياة هذا الرجل والمهام السياسية التي أوكلها له السيد سعيد" وقد تولى منصب وزير الخارجية ومنصب وزير التجارة بعد وفاة الشيخ حسن بن إبراهيم، وكان من قبل قائدا للأسطول التجاري للسيد سعيد مثل ما كان الشيخ حسن من قبل.

وأثناء توليه هذا المنصب زار كثيرا من الموانئ ، وسافر كثيرا في المحيطات ، وكانت أكبر رحلة قام بها هي رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى فرنسا، وكان على علم تام بالمحيطين الهندي والأطلسي، والبحر الأبيض المتوسط. وكان يتكلم الإنكليزية والفرنسية بطلاقة، كما كان محاسبا ماهراً ، ولهذا فقد قام بتقسيم تركة السيد سعيد وتوزيعها بين أولاده وورثته.

shobber.almusawi.com

واستمر الشيخ أحمد بن النعمان يشغل منصبه الوزاري إلى أن مات في عهد السيد ماجد عام١٣٤٨ - ١٨٦٧م، وكان مولده في البصرة بالعراق عام١٢٠٤ - ١٧٨٩م، فبلغ من العمر عند وفاته ثمانين عاما.

وقد عاش في ماليندي كيبوندا، وفي عام ١٢٧٨ هـ - ١٨٦١م بنى البيت الذي عرف باسم مأتم الشيعة. وهو بيت الشيخ أحمد بن نعمان ، ولكنه لم يستخدم مأتما حتى وقت حكم السيد علي بن حمود. وكان الشيخ أحمد بن النعمان زعيما لقبائل الشيعة في شرق أفريقية قبل أن يتزعم خان علي صاحب المنطقة المعروفة باسم الخان (كواخاني)."

أما الشيخ سعيد بن علي المغيري ، مؤلف كتاب جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار فيذكر جانبا من تفاصيل رحلة الحاج أحمد بن نعمان الكعبي، فيقول: "وكان الشيخ أحمد بن نعمان لكعبي قبطانا للبارجة السلطانية، ملك سيدنا سعيد بن سلطان، وسافر في الرحلة التي بصددها إلى أمريكا" ويتحدث الشيخ عن كتاب تحصل عليه وفيه تفاصيل لهذه الرحلة وللبضائع التي كانت محملة بها السفينة سلطانة، فيقول:" وفي هذا الدفتر تفاصيل البضائع التي شحنها في مركبه ، والدفتر الذكور يحتوي على ٢٣ صفحة، ولحسن الحظ وقعنا أيضا في نفس الوقت على رسم للحاج المذكور معروضا في متحف مدينة سايم (سالم) بأمريكا، وهي المدينة التي تتاجر ع زنجبار في

shoubbra-al-musawi.com

ذلك الزمان، وقد رسم فيها العلم السلطاني والعلم الزنجباري الأحمر يرفرف في مؤخرته. ومن تصفح المحتويات في ذلك الدفتر يرى أن تلك الرحلة كانت للمتاجرة ، وأيضا لقضاء مهمات السيد سعيد في أمريكا، لأن بها رقما يدل على أن الحاج أحمد أصطحب معه خيولا لم يذكرها من بين الشحنة التي كانت على ظهر السفينة، ولا ريب أنها كانت من ضمن الهدايا إلى الحكام الأمريكان. وهناك رقم آخر يدل على أن الحاج أحمد مر على جزيرة سنت هيلانه، في ذهابه وإيابه، واشترى من نيويورك زجاجة عطر برسم الهدية لوالي تلك الجزيرة، ومن يتأمل في رسم الحاج أحمد والحلل التي عليه يحكم بأنها ليست من ملابس النوخذة المعتادة، بل من ملابس الأمراء والسفراء الذين يقصدون مقابلة الحكام، وبناء على ذلك يظهر أن الحاج أحمد في تلك الرحلة كان قبطانا لمركبه ، وأمنيا في الأموال التي فيها، ومفوضا بالمتاجرة فيها، وكان أيضا سفيرا يحمل الهدايا والمراسلات السياسية من السيد سعيد إلى بعض الحكام هناك . وابتدأ الدفتر في صفحة واحدة بذكر المشحون في المركب السلطاني من بندر مسقط بتاريخ عاشر شوال عام ١٢٥٥ هجرية، من جملتها ١٣٠٠ جراب تمر فرضا، ٨٦ قطمة بن و١٤ قطمة غيرها، و٢١ ربطة زوالي عن ٦٤٧ زولية، ولم يذكر في الدفتر شيء عن مقصده، ولا متى سافر إلى زنجبار، ولكن إذا قلبت الصحيفة الثانية تجد المركب السلطاني راسيا في مدينة زنجبار في ١٤ القعدة ١٢٥٥ وقائما بالشحن.

shopbar.al-musawi.com

ويذكر في صفحة أخرى الأماين (الأمانات) التي شحنها برسم بيعها على حساب أصحابها بأمر السيد خالد بن سعيد، منها باسم سعيد بن خلفان بن حمد أربع ربط زوالي من مسقط، ومن زنجبار باسم سعيد ابن حمد بن عبد الله بن جاعد ظرفا قرنقل ، وباسم ميكجية كيس دبة قشر السلاحف، وباسم محمد بن إبراهيم بن حسن ٣ جرب تمر، وباسم السيد محمد بن شرف الموسوي خرس مدبس. وذكر تفاصيل وزن هذه الحوائج ، ولكننا حذفناها مخافة التطويل"

وتدل هذه التفصيلات على حجم التجارة وموادها التي كانت موجودة في عمان في تلك الفترة والبضائع التجارية المتوفرة في السوق العماني ، كما تدل هذه القائمة على توفر فرص التجارة والربح لكل مواطن عماني وأفريقي حيث تشتمل قائمة الأمانات على العديد من الشخصيات الرسمية والعامة. كما يدل على دقة الأرقام التي أوردها الحاج أحمد بن النعمان والأمانة التي أبداها في هذه الرحلة وفي المتاجرة في البضائع التجارية.

"وفي صفحة ٤ ترى السلطاني راسيا في مدينة نيويورك ، والحاج قائم يصرف شحنة يد الدلال المستر باركلي لونكنس، وذلك بتاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٥٦ الموافق ١٤ مايو ١٨٤٠ ميلادية، ولكن الحاج أحمد لم يذكر متى غادر زنجبار، ومع أنه مر عند ذهابه إلى نيويورك على كيب غور هوب، رأس الرجاء الصالح،

Snoberal-musawi.com

وهناك أستأجر ربانا و٣ سكونية لقيادة الركب إلى نيويورك، ولكنه لم يذكر شيئا إلا ما جاء في عرضنا في أرقا الدفتر"

وعن رحلة العودة يقول الشيخ الغيري" أما متى وصل الحاج الكيب رأس الرجاء الصالح) فهو لم يذكره لكنه يدل على وصوله هناك وتأجيره ٣٥ سكونيه وربانا بسطة قنصل الأمريكان، وأنه دفع لهم ٢٤ جنيها ، فقادوا السلطاني إلى نيويورك ذهابا وإيابا، وعند رجوعه مر على الكيب، وأنزل الربان والسكونية، ووفاهم حقهم. وعند سفره من الكيب لم يقصد نيويورك رأسا ، ولكنه عرج إلى جزيرة سانت هيلانة. (وسانت هيلانة هذه هي صخرة في وسط البحر تبعد ٦٠٠ ميل عن الكيب، وهي للإنجليز، وبها الوالي غوريز الإنجليزي، وتعرف أنها كانت منفى لنابليون بونابرت، وأيضا نفى إليها السيد خالد بن برغش في أيام الحرب العظمى، ولا نظن أن الحاج أحمد سافر إليها عفوا، ولا شك أنه كان يحمل معه رسالة ودية من السيد سعيد إلى واليها".

وعن أول وصول السفينة سلطانة إلى نيوريوك ، يقول هرمان فردريك ايلتس، مؤلف كتاب سلطانة في نيويورك: "وفي وسط هذه المجموعة المتنوعة من المسافرين على ظهر السفينة سلطانه كانت شخصية كبيرة رجل عربي بدين قصير ذو لحية طويلة يلقي الاحترام والتبجيل من جميع من في السفينة أحمد بن النعمان وكانت بشرته قمحية وعيناه قوية النظرات ولقد كان البعض يرون فيه رجلاً عنيفاً

Shoubra-al-musawi.com

صارماً بينما ينظر إليه الآخرون على أنه رجل طيب رقيق القلب مرهف الحس. وقف أحمد بينهم شامخاً مهاباً وقد علت رأسه عمامة زاهية الألوان ولف وسطه بحزام من قماش الكشمير من نفس قماش العمامة وفوق سرواله وقميصه الأبيض الناصع لبس قفطاناً جميلاً أسود اللون مطرزاً بخيوط ذهبية عند الأكتاف وعلى الصدر وكان شخصه بصفه عامة محاطاً بمظاهر الاحترام والمهابة. عندما تقدم إليهم هذا الرجل العربي يحدثهم بإنجليزية واضحة ويعلن لهم أنه هو رئيس هذه السفينة لا سليمان وأن أسمه يجب أن يظهر في سجلات الميناء ففعلوا ما طلب وشطب اسم سليمان من السجلات، وأحل محله اسم أحمد بن النعمان ووظيفته الممثل الشخصي لسعيد بن سلطان حاكم مسقط وزنجبار توابعها، وقد جاء في رحلة طويلة دار فيها حول نصف العالم تقريبا مثلا لحاكم مسقط وعمان وزنجبار في بعثة تجارية، وهمة للتعبير عن الرغبة في الصداقة والسلام مع الولايات المتحدة.

رست سلطانة في الميناء، وكانت ترفرف عليها الراية القرمزية الزاهية الخالية من أي زخرف، وهي الراية الأميرية التي ترتفع على قطع الأسطول العماني، وما أن ألقت السلطانة مراسيها حتى اقتربت منها سفينة حربية كبيرة ذات ٧٤ مدفعاً من أسطول نيو كارولينا كانت راسية في حوض بروكلين الخاص بالبحرية الأمريكية في ميناء نيويورك ، وما أن اقتربت السلطانة حتى تقدم منها ملازم بحري حاد

Shoppers-al-musawi.com

النظرات واتجه إلى حيث وقف أحمد ليعبر بالتحية وباسم رئيسه العميد البحري جميس وانشو مدير حوض الميناء عن الترحيب بالسفينة العربية، وقبلت التحية والترحيب بتقدير من رجال السلطانة أكملت السلطانة الإجراءات الرسمية للرسو في الميناء خلال يومين من وصولها ، أي الثاني من مايو سنة ١٨٤٠، واقتيدت إلى رصيف الميناء، وكانت السلطانة أول سفينة عربية تحمل أول بعثة رسمية تصل إلى شواطئ أمريكا للزيارة والتجارة"

وعن اختيار أحمد بن سعيد للحاج أحمد بن النعمان ، فيروي لنا تفاصيل هذا الاختيار، وتفاصيل رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، هرمان فردريك ايلتس، مؤلف كتاب سلطانة في نيويورك، فيقول:"وحينما جاء اختيار المبعوث الذي سيمثله في الولايات المتحدة ، وجد السيد سعيد صعوبة كبيرة في الأمر، إذ كان يتوق إلى أن تنجح البعثة في مهمتها وتثير اهتمام وإعجاب الأمريكيين لأقصى درجة ممكنة، وعلى هذا فكان أول من اختاره هو أحد من أصهاره ويسمى سيد حسن بن لإبراهيم، الذي لمس فيه أنه على استعداد لقبول المهمة، وكان على مستوى تعليمي راق إذ تلقى تعليمه في الهند، وكان يجيد اللغة الإنجليزية ويتميز بالذكاء والجاذبية الشخصية، وكان السيد حسن أيضا ممن حاز إعجاب الأمريكيين والأوربيين الذين يعرفونه، وقد اعتبره ووترز أفضل من يقوم بهذه المهمة، ولكن السيد حسن أشفق على نفسه من المغامرة وخشى من

Snoober-almusawi.com

عدم نجاحها بالصورة التي يرتضيها، فضلا عن عدم رغبته في تحمل مشقات السفر الطويل غير المريح، فجعله ذلك كله يدعي المرض، فأضطر السيد سعيد إلى اللجوء إلى سكرتيره الخاص أحمد بن نعمان ليقوم بالمهمة. وأحمد هذا هو ابن نعمان بن محسن بن عبد الله الكعبي البحراني، ولد في البصرة عام ١٧٨٤، حيث تلقى تعليمه الإسلامي، وكان أبوه عربي الأصل من نسل بني كعب ، حيث استوطنوا ساحل الخليج، أما أمه فقد كانت فارسية الأصل، ولا يعرف شيء عن طفولته، أو حياته الأولى ، ولكن يقال أنه بدأ حياته كغلام يخدم على ظهر سفينة، وقد أظهر في عمله ذكاء وقدرة نادرة جعلته يترقى سريعا في أعمال البحرية، وهناك دلائل كثيرة على أمانته وتقواه، غير أن الكثير من حساده كانوا يحاولون النيل منه بأن يلصقوا به بعض التهم الكاذبة، وفي بعض الأوقات كانوا يتهمونه بأنه ذو وجهين.

وكان أحمد قد التحق بخدمة السيد سعيد في مسقط في أوائل العشرينيات، ويقال أنه سافر إلى الصين وإلى مصر وإلى أوربا في مهمات عديدة ممثلا لسيده، وكانت معظم هذه المهمات هي مسئوليته عن البضائع الخاصة بالسيد سعيد، أو كمدير للسفن التجارية التي كان يسافر عليها، وقد سافر الحاج أحمد إلى مكة لأداء فريضة الحج في تاريخ غير معروف بالدقة، ولكنه يحتمل أن في عام ١٨٤٢ ،

shopberat-musawi.com

وهي السنة التي قام فيها السيد سعيد نفسه برحلة الحج الكبرى في حياته.

وأستمر أحمد في عشر السنين التالية يكلف بمهمات تجارية خاصة بالسيد سعيد ، وفي عام ١٨٣٥ أصبح سكرتيرا خاصا للسيد سعيد، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى وفاة السلطان، وكان كثيراً ما يكلف بالأعمال التي لها اتصال مع ووترز(القنصل الأمريكي في زنجبار) ، وعلى الرغم من أن ووترز لم يكن يعبأ كثيرا بالحاج أحمد في عام ١٨٤٠ ، إلا أن السنين قد ساعدت على نمو الصداقة بينهما.

وبعد أن استقر الرأي على اختيار سلطانة للسفر إلى أمريكا، وأن أحمد هو المبعوث الذي سيقوم بالمهمة، بدأ الاستعداد للرحلة ، وظلت السفينة راسية في ميناء مسقط من ١٦ إلى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٣٩ تشحن بالبضائع، ثم أبحرت إلى زنجبار لتأخذ مزيدا من البضائع، وأصبحت مستعدة في أوائل فبراير ١٨٤٠ لتعبر المحيط الأطلسي.

لقد كانت أخلاقيات الشيخ أحمد بن النعمان الكعبي في تعامله مع البحارة أو مع السفينة تماثل أخلاقيات المعلم أحمد بن ماجد فكما كان المعلم أحمد بن نعمان شديد الإيمان طيب السريرة صادق المعاملة مع بحارته ومساعديه وكان يرى ضرورة الطهارة عند

Snoober.al-musawi.com

ركوب البحر لأن الإنسان في السفينة ضيف من ضيوف الباري عز وجل فلا تغفل ذكره وكان يبدأ رحلته بالصلاة :

كذلك كان الشيخ أحمد بن النعمان. وكان أحمد بن النعمان مواظباً على أداء فريضة الصلاة واعتاد أن يسأل كل بضعة أيام عن اتجاه القبلة بعد تغيير السفينة لموقعها أو اتجاهها وصادف في رحلة العودة من نيويورك ذلك العام شهر رمضان وهم على ظهر السفينة فقد واظب أحمد وضباطه وجميع البحارة على الصيام بانتظام وكان أحمد من جانبه يعكف على الصلاة وقراءة القرآن، وقد ذكر درنكر أن الجميع فضلوا الصيام رغم أن الإسلام – كما علم من أحمد - يبيح للمسافر الإفطار ، وفي وصفه لمائدة الإفطار، قال درنكر :"يقف الخدم حول الجمع المنتظر للطعام،ـ حتى إذا ما أطلقت الإشارة بأن الصوم قد انتهى باختفاء آخر شعاع من الشمس وراء الأفق اندفع الجميع يغرسون أيديهم في الأرز الغني بالدهن. وبمضي الأيام في شهر رمضان بدأ تأثير الصيام يظهر على البحارة الذين يتكاسلون عن أداء عملهم بدعوى أنهم صائمون وكانوا – كما قال درنكر - يشكون من كونهم مرغمين على العمل في الوقت الذي لا يستطيعون فيه تناول الطعام"

ويتحدث مؤلف كتاب سلطانة عن دماثة خلق أحمد بن النعمان وعن لباقته ، خلال وليمة أقامها قائد الميناء، فيقول :"وكان من بين من حضر هذه الوليمة جلبرت ديفز حاكم جزيرة كونوي الذي وجه

Shabber.al-musawi.com

الدعوة للضيوف العرب لزيارة جزيرته. وكان الضابط الأول والثاني كلاهما يتكلمان بلغة انكليزية ضعيفة للغاية مما جعل جميع المحاولات لجرهم في الحديث لا تلاقي نجاحا كبيرا. أما أحمد ذاته فقد حظى بإعجاب الجميع لرقته وعذب حديثه فكل من تحدث إليه أعترف بذلك، ولقى جمعة إعجابا خاصاُ لما يجمعه من سذاجة وذكاء معاً، وسئل أحمد عن رأيه في المرأة الأمريكية ومقارنتها بالمرأة العربية من حيث الجاذبية، فتصدى للدفاع عن المرأة العربية بأدب ورقة. وحينما حلت صلاة العصر استأذن أحمد ورفاقه، واتخذوا لهم جانبا من البهو لأداء الصلاة"

وكان أحمد بن النعمان طيباً في معاملته مع البحارة حيث أنهم منحهم يوم الجمعة كإجازة للراحة مما شجعهم على العمل بقية أيام الأسبوع.

وحقيقة فإننا لا نجد الكثير من المعلومات عن حياة أحمد بن النعمان غير ما ذكرته المصادر القليلة عن حياته أثناء رحلته إلى نيويورك حيث كتب مذكرات الرحلة القبطان درنكر وكذلك ما كتبه مؤلف كتاب سلطانه في نيويورك وما استسقاه من مجمل المصادر الأمريكية عن تلك الرحلة وكذلك ما كتبه عنه الشيخ عبد الله بن صالح الفارسي في كتابه البوسعيديون حكام زنجبار.

shop.al-musawi.com

أحمد بن النعمان

مع أن معنى ومفهوم كلمة السفارة والسفير في مضمونها ومفهومها الحالي تختلف مع ما كان مفهوماً من الإقامة والاستمرارية والتمثيل الدبلوماسي ورعاية المصالح إلا أن احمد بن النعمان يعتبر سفيراً بمعنى ما تعنيه السفارة الدبلوماسية والتجارية في تلك الأيام وحقيقة يطلق الكثير من المؤرخين العمانيين والأجانب على احمد بن النعمان لقب سفير .

على أننا يجب أن نعترف بان مهما كانت المعاني والمفاهيم التي تحث بها رحلة احمد بن النعمان إلى أمريكا أو إلى بريطانيا فإنها لا تخرج عن هذه التسمية إلا وهي السفارة التجارية والسياسية كما أن هذه الرحلة في مجملها وتحت أي عنوان يمكن أن تعنون به خطوة متقدمة وفكرة واعية لكل المستجدات ومستوعبة لكل الأحداث والتطورات التي سوف تحصل .

إن سفارة احمد بن النعمان في عمومها سفارة ناجحة وذلك بالنظر للأهداف والنتائج التي حققتها وأولهما هي تدعيم العلاقات التجارية والسياسية الجديدة إلا وهي الولايات المتحدة الأمريكية .

وان نجاح هذه السفارة بلا شك يرجع إلى شخصية السفير احمد بن النعمان الكعبي وقدرته الفائقة على إدارة هذه السفارة أولاً كربان ماهر على سطح السفينة وثانياً كسفير (قام بدوره كاملاً) لدى الولايات المتحدة الأمريكية لقد قام السفير احمد بن النعمان

Shoobeir-al-musawi.com

بدوره كاملاً وعلى أحسن وجه. يقول مؤلف كتاب سلطانة في نيويورك، حول نجاح الرحلة: "هل يمكننا في ضوء أحداث بعثة أحمد أن نقومها؟... هذا هو السؤال بعد ذلك العرض التفصيلي لأحداث الرحلة. فبالنسبة لإقامة اتصالات ودية مع الولايات المتحدة وشعبا، نجد أن نتائج الرحلة في هذا المجال كانت واقعية وناجحة، وإن كانت بالنسبة للسيد سعيد غير ذات قيمة كبيرة، ومن وجهة نظره لم تستغل هذه الصلات على الوجه الأكمل، إلا أنه من خلال هذه البعثة اكتسب السيد سعيد أمجاداً جديدة، وكسب لبلده وضعا خاصا؛ فقد أصبح أحد الحكام العرب القلائل الذين عرفوا، كحقيقة واقعة لدى الشعب الأمريكي.

ولقد واصل السيد سعيد محاولاته لدعم العلاقات مع الولايات المتحدة، فأرسل في عام ١٨٤٤ بعض الهدايا إلى الرئيس الأمريكي تيلون.

أما عن النتائج التجارية للرحلة، فأنها كانت أقل قيمة من النتائج السياسية التي حققتها، وقد تحدث السيد سعيد إلى درنكر معبرا عن سروره من النتائج الاقتصادية التي حققتها الرحلة. وكانت هناك أسباب تدعوه لذلك، فمعظم البضائع التي أرسلت على ظهر "السلطانة" قد تم بيعها بأسعار عالية أو معقولة في نيويورك، وكانت هذه الأسعار في أغلب الأحوال أكثر بكثير مما يدفعه التجار الأمريكيون الذين يزورون زنجبار أو مسقط لمثلها، ورغم أن

Shopper.al-musawi.com

الأسعار كانت تتعرض للذبذبات الشديدة، إلا أنه بمقارنتها بمستويات الأسعار في ذلك الوقت كانت أسعار نيويورك أفضل منها أو مقاربة لها."

" وفي ضوء الظروف التي أحاطت بالمغامرة يمكن أن ننظر إليها نظرة تقويم خاصة، فإن تكاليف الرحلة قد بلغت ٦١٧٩ دولاراً، خلاف المواد الغذائية التي حملتها السفينة عن المغادرة من مسقط وزنجبار، والتي لا تعرف تكاليفها بالضبط،ويمثل هذا المبلغ ٢٤ في المائة من قيمة مبيعات البضائع التي أتت بها السلطانة من نيويورك. ولئن كانت التفاصيل عن أرباح السيد سعيد من تجارته في المحيط الهندي غير معروفة إلا أنه من المؤكد أن ما أنجزته تلك المغامرة إلى أمريكا الشمالية من أرباح كانت أقل بكثير من نسبة الربح التي تتحقق في تجارة المحيط الهندي سواء من الناحية الفعلية أو من الناحية المطلقة، وذلك إذا أسقطنا من حسابنا أن السلطانة ومن عليها من بحارة كانوا قوة معطلة طيلة فترة الرحلة التي قاربت العام الكامل. وعلى ذلك فإن السيد سعيد ، وإن كان قد عبر بلسانه عن نجاح الرحلة، إلا أنه لم يجد ما يشجعه على تكرارها بعد ذلك، وقد أبلغ وورتز عن طريق أحمد عدم رضاه عن الضرائب العالية التي تم تحصيلها في نيويورك".

Shopper.almisawi.com

ويبدوا لي أن اختيار السلطان بن سعيد لهذه الشخصية كان اختيار حكيم وموفق فاحمد بن النعمان لم يكن رجلاً سياسياً فقط وإنما كان ربانا ماهراً أيضاُ أدار دفة السفينة على الوجه الأكمل.

ولست ادري لماذا سلط المؤرخون الضوء على هذه الرحلة أو على رحلته للولايات المتحدة الأمريكية وتركوا رحلاته الأخرى إلى بريطانيا والدول الأخرى.

وربما هذه الرحلة لما لها من أهميه وبروز وكذلك ما تشكله الدولة الجديدة من تعاظم وثقل والتي ظهرت كقوة عالمية جديدة تحاول كسب ودها التقرب إليها لان بريطانيا وفرنسا كانتا في طريقهما إلى التراجع وربما أداء السفير احمد بن النعمان في هذه السفارة قد شد الأنظار إليه وحصول الاهتمام من رحلاته السابقة إلى رحلته هذه.

"استقر أحمد بن النعمان في خدمة السيد سعيد ، وكانت رحلته إلى نيويورك سبباً في ترقيته إلى أعلى المراتب، ورغم أنه كان في مسقط وزنجبار لا يخرج عن كونه كاتبا للسيد سعيد، إلا أن ما لقيه من مجد وتبجيل في الولايات المتحدة جعله لا يدخر وسعا في التحدث عن ذلك في كل وقت.

ومع تغلغل النفوذ البريطاني في زنجبار، أصبح أحمد في نظر القنصل البريطاني هامرتون رائدا فيما أسماه بالاتصال بالجانب الأمريكي. وقد كتب هامرتون في فبراير ١٨٤٢ قائلا " إن نمط

shoubaki-al-musawi.com

الاتصالات بين الإمامة والقنصل الأمريكي ووترز، والجانب الأمريكي بصفة عامة ، قد تم من خلال أحد الكتبة في حكومة الإمام يدعى أحمد بن النعمان، وهو الذي ذهب على ظهر السفينة سلطانة إلى أمريكا، وهو الذي يقود كل من يشيع عنا أننا شعب أقل مستوى من الشعب الأمريكي" ونلاحظ أن القنصل هامرترون يقلل من قيمة الحاج أحمد بن النعمان ويسميه أحد الكتبة بينما كانت وظيفته سكرتير السيد سعيد كما أنه شغل منصب وزير الخارجية والتجارة فيما بعد، ويبدو أن القنصل ينطلق في تصريحه ذلك من خلال رؤية سياسية خوفا من التغلغل الأمريكي في المنطقة واستبدال النفوذ البريطاني الموجود في تلك الفترة بالقوة الأمريكية الصاعدة.

"أما عن الصداقة بين أحمد والقنصل ووترز فقد أثمرت كثيرا، ذلك أن ووترز كتب اذ خلفه في زنجبار بعد أن غادرها عام ١٨٤٤، يقول: عليك بمقابلة الكاتبن حسن بن إبراهيم وأحمد بن النعمان وغيرهم من أصدقائنا القدامى، كما فعلت أنا حينما كنت هناك"، وقد فعل القنصل الجديد ما نصح به ، وظل أحمد من الزوار الدائمين الذين يترددون على مؤسسة "بنجري" ، وكثيرا ما كان يسأله عن صديقه القديم ووترز أثناء هذه الزيارات، وكان يعرض فيها خدماته على هذا الشاب الجديد.

ولما توفى السيد سعيد احتفظ الحاكم الجديد السيد ماجد بأحمد كسكرتيره الخاص، ثم ترك أحمد الخدمة عام ١٨٥٨،

Snoberalmubawi.com

وفي أكتوبر ١٨٦٠ أي بعد ذلك بسنتين كتب ريجبي يقول: إن أحمد أصبح ضعيف الصحة ، غير قادر على إعطاء المعلومات. وتوفى إلى رحمة الله عام ١٨٦٩، ووضع على قبره حجر نقش عليه اسمه وتاريخ دفنه في المبرة العامة بزنجبار.

وهنالك في مكتب لجنة الفنون بمبنى بلدية نيويورك توجد لوحة أصلية معلقة على الجدار طولها ٤٢ بوصة وعرضها ٣٦ بوصة، تشتمل على منظر لأحمد رسمه الفنان موني، كما توجد نسخة منها بريشة الرسام نفسه معلقة في متحف بنبوي في سالم بولاية ماساشوستس وهذه اللوحة غير مسجلة ضمن قائم لوحات موني، ويرى البعض أن هذه النسخة قد رسمت ليأخذها أحمد معه إلى زنجبار ، وكانت مسز وليام ماك مولين قد أهدتها للمتحف في سالم، وكان زوج مسز وليام قد عمل سنين طويلة مديراً لأعمال مؤسسة بنجري في زنجبار، وربما يكون قد أخذها من ورثة أحمد خلال تلك الفترة التي عمل فيها بزنجبار. أما صورة السيد سعيد فأنها هي الصورة الوحيدة التي رسمت له وكان قد رسمها الفنان هنرى بلوس لينش ، وهي اللوحة المعلقة حاليا في متحف بيبو دي في سالم.

أما السفينة سلطانة فقد عادت لتحتل مكانها ضمن أسطول السيد سعيد، ثم أرسلت في عام ١٨٤٢ إلى انجلترا كسفينة حربية تحمل مبعوثا خاصا من السيد سعيد إلى الملكة فيكتوريا، وعليها هدايا تضم بعض الخيول العربية المشهورة، وقامت بهذه الرحلة أيضا تحت قيادة قبطان أمريكي يسمى ويلسون كان صهرا لووترز ، وفي انجلترا أصلحت في حوض البحرية البريطانية الكائن في وولويتش.

Shaabanalmusawi.com

وعند عودتها إلى زنجبار كانت في أحسن حالاتها ، وظلت تعمل حتى وقعت لها حادثة في تاريخ غير معروف ، ولكنه في الأغلب بعد عام ١٨٥٥، فقد جنحت وهي عائدة من الهند أمام جزيرة وارين على مرمى النظر من جزيرة بمبا، ولم يمكن إنقاذها وغرقت.

مصادر هذا البحث

المصدر	المؤلف
حاضر العالم الإسلامي.	تحقيق الأمير شكيب أرسلان.
مذكرات أميرة عربية.	السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
تاريخ عمان.	وندل فيلبس.
سلطانه في نيويورك.	هرمان فردريك أيلتس سلسلة تراثنا إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
العنوان في تاريخ عمان.	الشيخ سالم بن حمود السيابي.
جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار.	الشيخ سعيد بن علي المغيري.
البوسعيديين حكام زنجبار.	الشيخ عبد الله بن صالح الفارسي.
الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين.	الشيخ حميد بن رزيق بن بخيت.
الحركة المعمارية في زنجبار.	حسن محمد عبد الله.

Shobberal-musawi.com

المؤرخ حميد بن محمد بن رزيق:
شيخ المؤرخين ومؤرخ الثقافة العمانية

"إن المطلع على كتب التاريخ العمانية ليلمس بوضوح ذاتية ابن رزيق فيما يذكره وفيما يرويه فهو ينقل الروايات ويذكر ما يصح عنده منها وهو يتناقش الرواة فيما يسمعه منهم حتى يصح عنده الخبر فيرويه في تصوير واضح ولغة سهله وسرد محكم الربط مما أضفى على كتبه الجلاء والصدق والرواية المحيطة بتواريخ الأحداث والوقائع"*

"وحميد بن محمد بن رزيق أو (ابن رزيق) يعد أعظم مؤرخي عمان على الإطلاق، فعلى الرغم من أن المخطوطات النجدية وسوابقها قد سجلتا هذا التاريخ في أغلبه، ومن وجهة نظر هذه المدرسة، فقد كان ابن رزيق المصدر الوحيد الذي تفرد بذكر الأحداث الداخلية في (ذاتية) مرهفة، فقد أستطاع تغطية مساحات طويلة جدا من تاريخ عمان تقع بين عامي(١١٥٤ هـ - ١٧٤١م / ١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م) ، فضلا عن عدم إغفاله لعلاقات عمان الخارجية ببقية أمارات الخليج والجزيرة العربية، وهو لذلك كله، يعد أول من أرخ لتلك الفترة في التاريخ العماني على إطلاقه"*

---

* عبد المنعم عامر محقق كتاب الشعاع الشائع باللمعان

* مصطفى عبد الغني مؤلف كتاب مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث

shoaiber.almusawi.com

حميد بن محمد بن رزيق:

مقدمة:

المؤرخ رجل يكتب تاريخ غيره لكنه لا يؤرخ لحياته مقوله تصلح للمؤرخين الآخرين لكنها لا تنطبق كثيراً على مؤرخنا الأديب الفصيح حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت، لأن ابن رزيق ارتبطت حياته وحياة والده وجده ارتباطا وثيقا مع بداية حكم الدولة البوسعيدية بقيادة الإمام احمد بن سعيد، فلقد أدى جده رزيق بن بخيت خدمة عظيمة لمؤسس الدولة البوسعيدية، ومنذ انتصار الإمام احمد بن سعيد، وعائلة بن رزيق جده وأبوه؛ وهم يعيشون في كنف الحكام الجدد. فلقد كان جده رزيق ذو مكانة عالية عند الإمام احمد بن سعيد، حتى انه جعله كاتب فرضة مسقط (أي ميناء مسقط)، واستمر أبوه محمد بن رزيق حساب الفرضة، بعد وفاة أبيه، وكان صاحب خطوة ومنزله كبيرة عن السيد سلطان بن الإمام، وكان يستعين به على شئونه ويستشيره في كل الأمور، ويعهد إليه القيام بالأعمال الهامة. وكما كان أبيه وجده؛ كان ابن رزيق على صلة بالعائلة المالكة، وكانت له رؤية محيطه بالحوادث ودراية بعيده بالأحداث وصلة قويه بالسادة البوسعيديين، يحضر مجالسهم منذ كان طفلاً صغيراً وقد توطدت علاقته بالسيد سالم بن سلطان، أخوه السيد سعيد بن سلطان حاكم عمان وزنجبار.

يقول محقق كتاب الفتح المبين:"وحين تولى الإمام أحمد بن سعيد حكم عمان أكرم رزيق بن بخيت من أجله مساعدته للإمام إكراما له ، وأعاده إلى عمله بقلم الحساب في الفرضة، وخط له الإمام أحمد بن سعيد كتاب عهد ، يقول فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم ، من إمام المسلمين أحمد بن سعيد إلى كافة أولاده خصوصاً، وإلى الناس عموما، أما بعد ، لتتركوا رزيق بن بخيت ، ومن تناسل منه مثلما تركته في الفرضة على قلم الحساب، وتمتوا له الفريضة كما تمتها له، وهي مرقومة في دفتر السركار ، وأحسنوا إليهم مثلي، فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم"

وبعد رزيق كان ابنه محمد مكان أبيه في الفرضة على قلم الحساب، وكانت له الحظوة والمنزلة عند السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد، يستعين به على شئونه، ويستشيره في كل أموره، ويعهد إليه بالأعمال الهامة على النحو الذي أوضحه ابنه حميد في كتاب الفتح المبين. وكان أكابر مسقط وتجارها يجتمعون عند محمد بن رزيق في بيته، يتدارسون أمورهم، ويتشاورون فيما هو حادث من حولهم، وكان بينهم محمد ابن رزيق محل الثقة، صاحب الرأي والمشورة. وكذلك حال حميد بن محمد بن رزيق ، المؤلف لكتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، فإن صلته كانت شديدة وقوية بالسيد سالم ابن سلطان، يسمر

shabberal-musawi.com

معه، ويشير عليه ، ويصحبه في معاركه وحروبه ، وفي غدواته وروحاته، ويذكر ابن رزيق أنه اشترك في المعركة البحرية التي دارت بين الأسطول العماني وبين سفن أهل جلفار، وأنه أول الراكضين على بلدة مطرح في يوم الثامن والعشرين من رمضان سنة ١٢١٩ هـ، وأنه صحب السيد سالم في زيارته محمد الزواوي بمسكنه بولجات.

هذا وغيره مما يحويه الكتاب يعتبر دليلاً على مكانة ابن رزيق وقربه وأصالته فيما يؤرخ له من سيرة السادة البوسعيديين".

"نشأ بن رزيق في بحبوبة من العيش في مسقط إذ كان جده يعمل في قلم الحساب في الفرضة أيام الأمام اليعربي سيف بن سلطان ، وحينما أنتخب السيد أحمد بن سعيد إماما لعمان ف عام(١٧٤١م-١١٥٤هـ) أكرم الإمام أحمد جده بن رزيق بن بخيت بسبب مودة كانت بينهما، ووفاء لموقف رزيق منه، ولهذا أشركه مسئولا على الفرضة. ولقد كان لهذه العلاقة بين الإمام أحمد بن سعيد وأولاده وأحفاده وأسرة رزيق بن بخيت أثر في الصداقة وخاصة السيد سالم بن سلطان، وأولاده، وقد أعان هذا القرب من صانعي القرار ومن بيدهم الأمر والحكم المؤرخ ابن رزيق فأمده بالمعلومات الصحيحة الدقيقة. ولم يكن هوى بن رزيق مثل جده وأبيه في أمور الحساب والمال بل كان محبا للعلم وحريصا على صحبة العلماء وأهل الأدب خاصة ، وقد ترك له أبوه بعض المال، ووجد من أفراد أسرة آل بوسعيد وخاصة صديقه السيد سالم بن سلطان الذي يقربه في العمر الصحبة الطيبة، وأنكب ابن رزيق على القراءة، ووجد في مكتبة أبيه ومكتبات السادة البوسعيديين، وأفاضل العلماء في عمان ثروة هائلة من كتب الأدب والدين والتاريخ"

وقد كتب ابن رزيق أول دواوينه (سلوة الأنام في مدح الإمام الحميد أحميد سعيد في عام ١٨٠٧ -١٢٢٢هـ) ، وكانت دواوينه الشعرية أولى ثمرات إنتاجه وتأليفه، ولهذا عرف بالشاعر، أما كتاباته التاريخية فقد بدأ بكتاباتها فيما بعد وقد ظهرت في وقت متأخر من حياته، وقد ظهر لابن رزيق في عام (١٨٢٦- ١٢٤٢)، ديوان فصوص الجمان في مدح السيد محمد بن سالم ، وفي العام التالي ١٨٢٧ انتهى من جمع سبائك اللجين ،

وتشير مؤلفات ابن رزيق انه كان على إطلاع واسع علة علوم ومعارف عصره وقد ألم بعلوم عديدة ومختلفة وأنه قد ألم بتلك العلوم وهضمها وتمثلها حتى بدئت يائنة وواضحة في إنتاجه الأدبي والشعري والتاريخي الغزير، وأن هذا كله ناتج بالطبع عن ازدهار النهضة العلمية في عصره نتيجة الاستقرار الاقتصادي والسياسي ووجود الأرض الخصبة التي أنبتت مجموعة من العلماء العمانيين المجيدين أمثال جاعد بن خميس الخروصي.

"

shopper.al-musawi.com

ويذكر محقق كتاب الفتح المبين كتب التي ألفها ابن رزيق :"وابن رزيق في مكانته الأدبية والتاريخية له مؤلفات عديدة في الأدب وفي التاريخ، وقد أورد ذكرها في كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ويعتبر كتاب الفتح آخر مؤلفات ابن رزيق، وهذه المؤلفات هي، والصحيفة اليمنية ، والصحيفة القحطانية، وجوهرة الأشعار وفريد الأفكار ، وهو ديوان شعري، وكتاب علم الكرامات المنسوب إلى نسق المقامات، وكتاب سبائك اللجين ، والشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ومالهم من العدل والشأن، وهو قصية طويلة تضم سيرة خمسة وعشرين إماما، أولهم الجلندا بن مسعود وأخرهم سلطان بن مرشد اليعربي، والسيرة الجلية المسماة السعد السعود البوسعيدية، ومن بين هذه المؤلفات الصحيفة القحطانية التي كتبها ابن رزيق بخطه، وهي محفوظة بمكتبة (روس هوس) بجامعة أكسفورد بانجلترا)"

مؤلفات ابن رزيق التاريخية

وفي التاريخ له مجموعة قيمة من المؤلفات، نذكر منها كتابه المشهور (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، والشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، والصحيفة العدنانية ، والصحيفة القحطانية، وشرح القصيدة النورانية في مناقب العدنانية، والسيرة الجلية المسماة السعد السعود البوسعيدية، وبدر التمام في سيرة السيد الحميد سعيد بن سلطان، والسيرة الجامعة وسيرة الإمام ناصر بن مرشد.

وعلى الرغم من أن مؤلفات بن رزيق كثيرة ، فأن تاريخه (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، يعد أهمها على الإطلاق، ومن مؤلفاته الأخرى:

وكما نرى أن المؤرخ بن رزيق لم يكن فقط مؤرخا ولكنه كان شاعرا أيضا وقد قصر شعره على مدح أئمة وسلاطين الدولة البوسعيدية،

والحديث عن ابن رزيق في بلاغته ولغته، فهو يعتبر بلاغيا وفقهيا لغويا، ولك أن شعره يزخر بالعديد من الظواهر البلاغية واللغوية، مما يؤكد أنه يحمل فكرا موسوعيا ، فهو فقه لغوي مجيد ومؤرخ متقدم وأديب شاعر لا يشق له غبار، وكل هذا جعلته يتصدر مكانة رفيعة ومنزلة عالية بين أقرانه ، أن المتابع والمتمعن في صياغاته وأساليبه ومعانيه لا يجد صعوبة في التعرف على شاعريته، كما يدرك المتذوق؛ تملكه لزمام اللغة وعلومها وللبلاغة وفنونها، مع قدرة كبيرة على بناء الجملة وتركيبها ومهارة في تركيب الصور الشعرية والموائمة بينها وبين المحسنات البديعية والمعنوية، ويعود ذلك إلى قدرته اللغوية ومهارته البلاغية في تكوين أكثر من صورة في شطري البيت.

Shopper.almusaw.com

وفي لغته كما في شعره اتكأ ابن على معين لا ينضب من التراث العربي والإسلامي درسه وهضمه وتمثله واقعا حيا ملموسا وجعله نقطة انطلاقة إلى سائر العلوم والمعارف التي تطرق إليها في مؤلفاته العديدة، فجاءت لغته سليمة منتقاة وانعكس ذلك على شعره، حيث أتسم بقوة الصياغة، والتوازن الداخلي في قلب الأبيات مع مراعاة حسن التقسيم والإكثار من المحسنات البديعية، والصور الفنية ممزوجة ومركبة شأنه قي ذلك شأن الشعراء لفحول من أمثال أبي تمام والمتنبي وغيرهما، بل ابن رزيق كان "جماعا للشعر عالما بمعانيه فاحصا لها، مبرزا السمات الجمالية فيها"

منهجه في كتاب الفتح المبين

وكتاب (الفتح المبين) وهو يعد المصدر الرئيسي في تاريخ سيرة البوسعيديين ، يضم ثلاثة أبواب ، في كل باب منها عدة فصول، الأول يتضمن سلسلة نسب السادة البوسعيديين متصلة بالقبائل العمانية الأخرى، مع ذكر كثير من المشاهير في أسلوب يحمل روح الدين ممتزجا بالأسطورة، أما الباب الثاني؛ يذكر أئمة عمان منذ زمن الدولة الأموية ، فالعباسية لفترة تزيد عن الخمسمائة عام ، حتى أتنتقل الحكم، إلى الإمام أحمد بن سعيد ، أما الباب الثالث فقد تناول فيه صاحبه التاريخ العماني منذ ولاية الإمام أحمد بن سعيد إلى نهاية ولاية السيد سعيد بن سلطان الإمام أحمد في عام (١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م) .

كما ألحق في نهاية الكتاب لسيرة السيد سعيد بن سلطان (كتابا خاصا) سماه "بدر التمام في سيرة السيد الهمام سيعد بن سلطان" ولهذا الأفراد تصور واضح، يقول بن رزيق عن سبب هذا الأفراد:"ويذكر ابن رزيق عن سبب هذا الأفراد ، أن مذهب المؤرخين ، ألا يؤرخ لأهل المناقب إلا بعد ارتحالهم للمنية، فلما مات السلطان سعيد ابن سلطان سنة ١٢٧٣ تاقت نفسه لذكر ما كان في زمانه ، ولعلو شأنه وسلطانه". يبدو أن ابن رزيق قد كتب كتاب الفتح المبين أثناء حياة السيد سعيد بن سلطان ، وقد أفرد الكتاب الثاني استدراكا وإكمالا لمسيرة السيد سعيد بن سلطان

"والمدخل إلى معرفة منهج ابن رزيق في كتابة التاريخ ، يبدأ من محاولة التعرف على سبب ذلك الأفراد السابق، وهو ما يمكن أن نستقيه من رواية ابن رزيق نفسه التي سبق أن أشرنا إليها، ويمكن أن تلخص في أن جد بن رزيق ، هذا كان محبا للسيد أحمد بن سعيد حين كان والياً على صحار في فترة دولة سيف بن سلطان اليعربي، ومن ثم كان لأحفاده هذا الإكرام والإيثار من عائلة الحكام، ومن ثم، فقد كانت تصنع خيوط العلاقة بين الحاكم وابن رزيق، وهو ما انعكس في كتابه تاريخ الفتح المبين" والذي أعترف فيه صراحة ؛ إذ قال في مقدمته أن (غرضنا في هذا الكتاب سيرة الإمام أحمد بن سعيد ونسله خاصة).

Shobbeiralmusawi.com

وأهمية التاريخ تأتي من أنه جاء شاملا لعمان، وتدوينا أمينا لعلاقات عمان بأمارات الخليج وببقية أطراف الجزيرة العربية، وذلك من وجهة نظر عمانية، فأبن رزيق هو المرجع الرئيسي في فهم كثير من التيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية في المنطقة.

فمن الناحية الفكرية، فالمؤرخ أباضي بدرجة ما، فعلى الرغم من ميله للحاكم – كما رأينا – فقد كان يخفي ميلا آخر للمذهب الإباضي، ومن ناحية أخرى، فقد كان يتمتع بمقدرة لغوية ونحوية جعلته يصور لنا بعض الخطوط العامة للثقافة العربية في عصره، يمكن منها رصد بعض الخطوط الفكرية في ذلك العصر"

أما من الناحية السياسية، فتاريخه لم يخل من رصد الأحداث التي جرت خارج عمان، فمع أنه لم يقل رأيه – صراحة – في الحركة الوهابية، فقد كان لا يؤيدها وهو ينقل هذا على لسان الشيخ محمد الزواوي.

وقد رد الشيخ نور الدين السالمي بعض روايات ابن رزيق حيث يقول في صفحة ص 129 هذا من كلام ابن رزيق إلا ما كان في إصلاح في لفظة وحذف لأجل أصلاح التركيب ولم يحذف ما ثوراً عن غيره فالله الملم بصحته ولا يرضون الكذب وإنما تخاف التساهل في النقل فقد رأينا بعض الناس يأخذ الأخبار من لسان العامة ثقة بهم ولسنا ممن يثق بالعامة فإن غالبهم ليس ضابطاً وأكثرهم لا يحسن النقل" .

وبالرغم أن ابن رزيق نقل تلك الرواية التي إنتقدها السالمي عن ألسنة شيوخ معروفين نحو أبيه والشيخ معروف بن سالم الصايغي والشيخ خاطر بن حميد البداعي وعن الشيخ محسن العجمي القصاب ويرى الدكتور فاروق أن السالمي يعتمد اعتمادا كبيرا على ابن رزيق ويوليه ثقة ربما أكثر مما يجب ولكن برغم ذلك فإن السالمي ينتقد ابن رزيق ذلك لأنه يأخذ الأخبار أحياناً من السنة العامة ومن الناس شفاها كما وانه يورد روايات أخرى ثم ينهيها بقوله وهو مخالف كلام ابن رزيق المتقدم والله أعلم .

وبالنسبة للمصادر التي أعتمد عليها ابن رزيق ، يقول محقق الكتاب:"وليس من شك في أن ابن رزيق قد اعتمد على كتب المؤرخين العرب الأقدمين. وقد أشار إليهم وذكرهم، أمثال ، ابن إسحق، والواقدي، وابن هشام ، وابن السكيت ، والمسعودي، وابن دريد، وابن النحاس، وأبي الشعثاء، وذلك فيما ذكره بالباب الأول خاصا بأنساب الأزد بن قحطان وسائر اليمنية في مواطنهم الأولى، وفي الأماكن التي صاروا إليها، وفيما رواه عن الصحابة الأزديين ومشاهير العلماء العمانية، وأئمة عمان زن الدولة الأموية وأيام الدولة العباسية، حيث عمد ابن رزيق إلى هذه المراجع، فاستخلص منها ما هو خاص بالسادة الأرديين العمانيين،

Shoubet.al-musaw.com

وجمعه ، ورتبه، وحكاه بمهارة المؤرخ، فيسهل على القارئ الإحاطة بهذه المادة التاريخية المبثوثة في عديد من الكتب في يسر ودون عناء"

وبالنسبة لمصادره العمانية والمحلية" فقد أعتمد ابن رزيق في التأريخ لعمان خلال الفترة التي لم يعاصرها على كتاب تاريخ للشيخ محمد بن عريق العدواني، لم يذكر اسمه، وعلى كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة لمؤلفه سعيد بن سرحان ، وعلى غيرهما من مراجع أخرى لم يذكر ابن رزيق أسمائها أو أسماء مؤلفيها، ولكنه يشير إليها في مناقشته لبعض الأخبار والروايات. ويروي ابن رزيق كثيرا عن الشيخين معروف بن سالم الصايغي، وخاطر بن حميد البداعي النخلي، وهما من رجال ذلك الزمان ، وثقاة في الحديث والرواية، وعن الشيخ محسن العجمي القصاب، وعن غير واحد من المشايخ المسنة، كما يروي عن أبيه ما شاهده، وما سمعه عن جده رزيق بن بخيت"

"ولابن رزيق ذاتية خاصة فيما يروي عن غيره، يقارن الروايات ويزن الأحاديث ويناقش الرواة، حتى يصح عنده الخبر فيرويه عادة بأسلوب الراوي ومنسوبا إليه، وله مقدرته الممتازة في ذكر التواريخ، وفي تصوير الانفعالات والمشاعر، وسرد الحوادث في تسلسل وربط، يضفي على كتاب الفتح المبين الجلاء والصدق والرؤية المحيطة بتواريخ الأحداث والوقائع".

أراء علماء عصره فيه:

وقد استخدم ابن رزيق مقدرته اللغوية ، وأسلوبه المميز، ومكانته في نظم الشعر في تضمين كتاب الفتح المبين كثيراً من مظاهر الحياة الأدبية في عمان، واتخذ لنفسه في الكتاب مجلسا يلقي فيه بأشعاره ونثره، ويعرض قدراته وقوة باعه في علوم اللغة والأدب والفقه في مناقشات ومجادلات طويلة تعني القارئ أحيانا دونما حاجة. وأياً ما كان فابن رزيق بين علماء عصره عالم لغوي، نحوي وعروضي ، يقول عنه الشيخ سعيد بن حماد ، إنه المعجز لكثير من الشعراء ببلاغة شعره، والمفحم بفصاحة نثره. وقد مدحه الشيخ جاعد بن خميس الخروصي الأزدي في قصيدة طويلة، مطلعها:

تعالى حميد في الأنام سميذع بفضل حكيم لوذعي ومصقع

-خصائص ابن رزيق في التأليف:

- خصائص ابن رزيق:

١- رجل عزيز العلم مطلع على أمهات الكتب ولا تفوته شاردة ولا وارده يعرف أخبار وقصص وأيام العرب القديمة.

shoober.al-mubawi.com

٢- لم يذكر مصادر معلوماته حيث انه نقل عن كثير من الكتب إلا انه لم يذكر تلك المصادر.

٣- أوضح في الكتاب مهارته اللغوية والفقهية والأدبية والنقدية أي انه كتاب جامع لعلوم التاريخ واللغة والأدب والفقه.

وقد ألف كتابين عن تاريخ عمان الأول الشائع باللمعان في ذكر أئمة أهل عمان وفيه ذكر أئمة أهل عمان في قصيده طويلة ثم راح يشرح كل بيت ويذكر تاريخ ذلك الإمام وأفعاله وأعماله لكنة في هذا الكتاب أورد قصص من التاريخ الإسلامي ومن الشعر العربي وجوانب مختلفة من حياة المسلمين وهذا يدل على مدى علمه واتساع مداركه وكان نصف الكتاب للتاريخ الإسلامي العام ونصف للتاريخ العماني الخاص حيث انه شبه بعض الأئمة والملوك العمانيين بخلفاء المسلمين الراشدين وخلفاء الدولة الأموية لذلك اضطر أن يورد تاريخ الدولة الإسلامية كتدليل على ما ذكره.

وفي كتابه الثاني أورد سيرة ملوك وأئمة عمان مروراً سريعاً حتى يصل إلى هدفه وهو سيرة السادة البوسعيديين، حيث لحق على اثنين أو ثلاثة من أئمتهم، ولكنه أيضا ألف نصف الكتاب في أفضال هؤلاء الثلاثة لأنه كان محسوباً عليهم ولان احدهم هو الذي أمره بكتاب هذا الكتاب لكنه أورد الكثير من القصص والطرائف والأخبار والمقالات عنهم وعن تاريخ عمان ككل ولم يخص كتاب عن تاريخ الحروب فقط والفتن والاضطرابات.

وقد نقل عن ابن رزيق كل من جاء بعده من المؤرخين ومنهم على سبيل المثال الشيخ نور الدين السالمي الذي فند بعض رواياته ونقل عنه الكثير من المستشرقين ومنهم وندل فليبس وبادجر كما نقل عنه الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتاب عمان عبر التاريخ والعنوان في تاريخ عمان ، كما نقل عنه الشيخ سعيد المغيري في كتابه جهينة الأخبار والشيخ علي بن صالح الفارسي في كتاب البوسعيديون حكام زنجبار كما أن معظم المؤرخين المحدثين قد نقلوا عنه قاطبة . وفي الحقيقة فأن بن رزيق قد فتح بكتابه الفتح المبين أفاق الكتابة التاريخية عن عمان ونقلها من المحلية إلى الآفاق العربية والعالمية كما أنه فتح آفاق الكتابة التاريخية في عمان نفسها، حيث ظهر بعده عدة مؤرخين وقد ذكرناهم سابقا، كما أنه أعطى للكتابة التاريخية بعدا أدبيا وجماليا أخر قلما تتصف به كتب التاريخ العماني القديمة التي كانت تتعمد على ذكر الأحداث دون الإلتفاتة إلى التطورات العمرانية والأحداث الأدبية ورصد التطورات والأحداث الثقافية والفكرية كما فعل ابن رزيق.

ويعد كتاب الفتح المبين أقرب الكتب التي تروي التاريخ العماني في تلك الفترة لأن مؤلفه كان الأقرب لتلك الفترة التاريخية من تاريخ عمان بل أن المؤلف قد عايش الكثير من

shabberalmusawi.com

أحداثها بنفسه وأحيانا على لسان معاصريه أو آبائه وشيوخه الذين عاصروا تلك الفترات كما أن المصادر العربية والعمانية التي اعتمد عليها المؤرخ جعلته الأفضل رواية لتلك الأحداث التي دارت قريبة من عصره وعصر آبائه وخصوصا فترة الحكم اليعربي والبوسعيدي. "ويعتبر كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين المصدر الهام، والمرجع الأول لتاريخ السادة البوسعيديين مدة عشرين ومائة سنة، في الفترة ما بين عام ١١٥٤ هـ وعام ١٢٧٣ هـ ، كما يعتبر ابن رزيق أقدر المؤرخين الذين تناولوا هذه الفترة بالتأريخ ، لأنه عاشها وعاصرها ، فقد ولد ابن رزيق في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ومات سنة ١٢٩١ هـ ، وكانت له رؤية محيطة بالحوادث، ودراية بعيدة بالأحداث، وصلته قوية بالسادة البوسعيديين يحضر مجالسهم منذ كان طفلا صغيراً، وقد توطدت صداقته بالسيد حمد ابن سالم بن سلطان، وكانت له ولأسرته في نفوس السادة البوسعيديين منزلة خاصة متوارثة عن الآباء والأجداد".

"لقد كان كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين مفتاح المعرفة لتاريخ عمان عند الأوربيين، فقام القس بادجر بترجمته ونشره في لندن تحت عنوان "تاريخ أئمة وسادة عمان" وكان لهذه الترجمة أثر كبير في تيسير معرفة هامة من تاريخ عمان للباحثين الأوربيين، وقد أعتمد عليها "مايلز" كثيرا في دراساته عن تاريخ عمان، وبخاصة وأنه وجد أن تاريخ ابن رزيق يعكس شعور أهل عمان وحكامها في أحداث تلك الفترة، ويصدر إلى حد بعيد انفعالات ومشاعر العمانيين في علاقاتهم مع جيرانهم.

ومع أن جزءاً من تاريخ عمان قد سجلته عن هذه الفترة تقارير حكومة بومباي، وقد احتوته المخطوطات النجدية إلا أن تاريخ ابن رزيق يظل المصدر الوحيد الغني بالتفصيلات عن الأحداث الداخلية في عمان .

Shoaibalmusawi.com

المصدر	المؤلف
الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين	الشيخ حميد بن محمد بن رزيق
كتاب مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث	مصطفى عبد الغني
الموسوعة الميسرة للتراث العماني تلخيص كتاب الفتح المبين في سيرة السادة	مجموعة من المؤلفين- إصدار وزارة التراث والثقافة
الشائع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان	الشيخ حميد بن رزيق
نظرة على المصادر التاريخية العمانية	د. عصام بن علي الرواس
عُمان تاريخاً وعلماء	سلسلة تراثنا إصدار وزارة التراث القومي والثقافة
بحث تاريخ عُمان بين الوثائق والمصادر الأجنبية	ترجمة محمد أمين عبد الله إصدارات المنتدى د. جمال زكريا قاسم

shoaiber.almusawi.com

الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد السالمي :
فقيه في الدين ومحنك في السياسة ومؤرخ تاريخي

هو المجد فاطلبه إن طلبته ... وجد إن ضاقت عليك مذاهبه
وسارع إلى تشديد أركانه فلا ... قرار لنا والعدل هدت جوانبه
ولا تتبع قول إمرىء كل همه ... غذاء يغذى أو كعوب تلاعبه
فيصبح في ضيم وعيش بذلة ... مخافة أن تنأى عليه حبائبه
أليس سبيل العز بذي النهى ... وأن كدرت للوردين مشاربه
الا فأتخذ أعلى الأمور شهامة ... وخلف حليف العجز مع ما يراقبه
فهل مبلغ عنى بني المجد أنني ... على العصر لا انفك عن ما أطالبه
وأن ضويت نحوى الليالي سهامها ... ودق عظامي من زماني نوائبه *

---

* شاركت هذه الدراسة قي الندوة التي أقامتها وحدة الدراسات العمانية قي جامعة أهل البيت بمناسبة الذكرى المئوية للوفاة للشيخ
• نور السالمي
• من شعر الشيخ نور الدين السالمي

shop.dar al-musawi.com

الشيخ عبد الله نور الدين السالمي :

مقدمة:

إننا إمام رجل موسوعي بكل ما في الكلمة من معنى، فهو يحمل بين جنبيه موسوعة علميه شامله تحتوي على علوم التاريخ والفقه واللغة والأدب، كما انه مصلح ديني و اجتماعي وظف كل علومه لإصلاح الأمة وتقويمها عن طريق الفساد. كما انه أرخ تاريخ عمان تاريخا دينيا، وكان يتبع سيرة لائمة ورجال السياسة من وجهه نظر دينيه بحته دون الالتفات للمظاهر الاجتماعية أو العمرانية إلا ما قام به الأئمة من إنجازات حضارية وعمرانية. وحتى في حياة الأئمة فإنه ركز كثيراً على ذكر الحروب والفتن الداخلية. أما في جانب الفقه وعلوم الدين فإنه كان عالما لا يشق له غبار وكان يرد كثيراً من الاجتهادات الفقهية التي أدلى بها سابقوه انطلاقا من أنهم علماء وأنه عالم ولكل واحد وجهة نظره واجتهاداته الخاصة به.
وفي علوم اللغة والأدب والشعر كان له آثار يكفي انه كتب كتاب شعراً.

- نشأتة:

لقد كانت النشأة الطفولية للشيخ نور الدين السالمي دور كبير في تهيئته لكي يتبوأ ذلك المركز المهم في حياته الفكرية والثقافية العمانية، فمن المعلوم إن التنشئة الأولى دائما لها دور كبير وواضح في تنمية شخصية الإنسان الأخلاقية والفكرية والعلمية، وفي تصوري أن والد الشيخ نور الدين السالمي كان محباً للعلم وللأدب وكان يشجع ابنه تشجيعاً كبيراً حتى يسير في هذا الطريق؛ وهو أي والده قد هيأ له كل السبل التي تؤهله وتمكنه من التفوق في هذا المجال.

فقد حفظ القرآن على يد والده حميد، وكان والده رجلا فاضلاً ورعاً وكانت هذه الالتفاتة لحفظ القرآن، وهذه العناية والرعاية الفائقة التي بذلها الوالد لولده؛ كانت هي البذرة الأولى التي زرعها الوالد لكي يحصد ثمرها الابن فيما بعد. وبلا شك فان هذه التنشئة الكريمة؛ بالإضافة إلى ما وهبه الله للشيخ نور الدين من فطنه وذكاء وقوة ذاكرة، أهلته لكي يضع خطواته الأولى على طريق العلم والفكر والأدب، كذلك أهلته هذه المميزات لكي يجتاز محنته الخلقية وهي كفاف البصر، فلقد شاء الله يكف بصره وهو ابن أثني عشرة سنة، ولكن الله عوضه عن فقد البصر بنور البصيرة، فكان يتمتع بحفظ خارق وذكاء متميز حتى انه كان لا يستمع إلى شيء من مسائل العلم أو شروح هذه المسائل إلا وحفظها حفظا متقناً.

shoubet.al-musawi.com

ولقد كان من ندرة حفظه وقوه ذاكرته إن حدث أهله بعد أن شب عوده متحدثاً بفضل الله عليه وذاكرا النعمة التي منحها الله إياها انه حفظ وهو ابن أربعة أشهر أو دونها حسب تحريه هو بنفسه.

هذه التنشئة التي نشأها كانت موضع حديث أهل بلده وأقرانه متحدثين عن طفولته، وعن سماتها وعن إشراقها وعن مشاهدها، مصرحين بان صفات هذا الغلام صفات غير عاديه وانه سيكون له شأن كبير في المستقبل المنظور.

هنا أيضاً يجب أن نؤكد على أن الأجواء العامة الموجودة في الرستاق في تلك الفترة التي عاش فيها الشيخ السالمي من نشأته الأولى، كانت فترة انتشرت فيها المدارس العلمية وحلقات الذكر في المساجد، وكثر فيها العلماء والفقهاء، فكان لابد من إن غلاما في مثل ذكاء وفطنة الشيخ السالمي أن يتفتح ذهنه وتنطلق آفاقه لكي يستفيد من هذا الجو الفكري ويستوعب كل ما يدور حولها من نقاشات دينيه وعلميه وأدبيه.

شيوخه:

لقد تتلمذ الشيخ السالمي على عدة شيوخ ومنهم استزاد علوم الدين والفقه والأدب واللغة، ومن شيوخه الشيخ العلامة راشد بن سيف اللمكي؛ الذي تتلمذ على يده لمدة اثنان وعشرين عاما وكان مدرساً للمدرسة الرستاقيه في مسجده بمحلة قمري وكان يجتمع إليه الطلبة في المسجد المذكور من اجل تلقي العلم، وكان الشيخ اللمكي يبذل جهوداً مخلصة تجاه طلابه فكان متواضعاً، حتى انه من شدة تواضعه كان يضيء مصابيح المسجد لوحده.

والى جانب اهتمام هذا الشيخ بالعلم والتعليم كان يهتم أيضاً بمسائل الدعوة إلى الله وتوعية الناس بأمور دينهم ودعوة الناس إلى المثابرة على فعل الخيرات والتسابق إلى صنوف المعارف الدينية، وله عدت مؤلفات قيمة منها مسالك في علم المناسك ومنظومة السلوك ومنظومة في فضل العلم وأخرى في نشر العلم.

ومن شيوخه أيضا الشيخ العلامه عبد الله بن محمد الهاشمي، وهو من علماء المدرسة الرستاقية المعروفين، ومن خيار العلماء أخذ السالمي عنه الفقه والأدب، وكان معروفاً بين الناس بفضله وزهده وورعه، ولقد استفاد الشيخ السالمي من عمله وعلم الشيخ الراشدي حتى انه أحب صحبتهما التي استمرت لسنوات طويلة، وكذلك فان هذين الشيخين قد وجدا في الشيخ السالمي؛ الطالب المجد والتلميذ المجتهد، فلذلك قرباه إليهما وأهتما به اهتماما بالغا، حتى أصبحت له مكانه معروفة بين تلاميذهما، وكل ذلك بفضل الله وبفضل اجتهاد الشيخ السالمي الذي كلما سمع احد يتحدث عن العلم وفضله، جلس إليه وأصغى في صمت

shoober.al-musawi.com

خافت، وبين المسألة يطعم الحديث بكلمات منه يرسلها في طريق المشاركة في البحث والرأي.

- **تلامذته:**

يقول العلامة الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش: "والعلماء من تلاميذه كثيرون. ولا نبالغ إذا قلنا: إن رجال العلم اليوم بعمان كلهم من تلاميذه، وقد نبغ منهم كثير، وفي مقدمتهم العلامة الأفخم المؤيد،إمام عمان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي، بويع بعد وفاة شيخه. وحسبك أن صفوة العلماء هناك والذين قامت عليهم الإمامة والملك هم تلاميذه، وهذه هي الروح التي نفخها فيهم، حتى كانوا حمى للدين والأمة من اكبر الشواهد على إخلاصه وعلو شأنه ومكانته – رحمه الله) ."

وفي مقدمة تلاميذه الإمام العادل عمان سالم بن راشد الخروصي وكان ملازما له، ومنهم العلامة الأمير عيسى بن صالح، والعلامة الجليل رئيس القضاة بعمان أبو مالك عامر بن خميس ابن مسعود، ومنهم العلامة أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي، ومنهم العلامة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، والشيخ سليمان بن سيف الحميري، والشيخ أبو عبيد حمد بن عبيد السليمي السمائلي، ومنهم ابنه أبي بشير محمد بن نور الدين السالمي، الذي يقول في كتابه نهضة الأعيان ،عن تلاميذ والده:"هؤلاء مشاهير تلاميذه، والذين تحت طبقتهم كثير، بل لا تجد عمانيا له أدنى فضلة من العلم، إلا واغترف من ذلك البحر والتقط من ذلك الدرر، بحسب ما قسم له الواهب من المواهب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"

إنجازاته الفكرية ومنهجه في التأليف والتحقيق:

لقد هيأ الله للشيخ السالمي عدة عناصر وأسباب جعلته يكون عالما مميزا، فبالإضافة إلى الفطنة والذكاء وشدة الحفظ، وتلقيه العلم على يد نخبه من العلماء الفطاحل،

لقد كان الشيخ نور الدين السالمي أحد أئمة العلماء الأعلام الذين طرقوا أبواب علوم كثيرة وواسعة، حيث إننا نقف أمام رجل موسعي بكل ما في الكلمة من معنى، فلقد طرق أكثر العلوم المعروفة في زمانه مثل الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب والشعر والتاريخ، ولقد ترك لنا في هذه العلوم مصنفات جليلية تعدت العشرون مصنفا وكتابا وسوف نأتي على ذكرها لاحقاً. وإننا عندما نقول انه رجل موسوعي فإننا نؤكد على هذه العبارة؛

Shopper.al-musawi.com

فالرجل كان فقيهاً في مجال الفقه، ومفسراً في مجال التفسير، ولغويا في اللغة، وأديباً وشاعراً في مجال الأدب والشعر، ومؤرخاً في مجال كتابة التاريخ. وكان يطوع هذا العلوم في خدمة بعضها البعض، فعندما ألف كتابه التاريخي تحفة الأعيان طوع علومه الدينية والفقهية وثقافته الأدبية ومحفوظاته الشعرية ومصادره التاريخية لكي يقدم كتابا تاريخيا دل على اتساع ثقافته وفكره.

وعندما نظم منظوماته الفقهية طوع قدراته الشعرية في سبيل ترجمة الأحكام الفقهية والدينية إلى شعر قوي الصياغة والنظم. هذا المجال يقول الدكتور احمد درويش في بحثه السالمي أديبا": "أما صناعة النظم والشعر عنده فقد وجهه الجانب الأكبر منها نحو تدوين المعارف نظماً إتباعاً لسنة قديمة شائعة في التراث العربي، وهي أكثر شيوعا في التراث بعمان، فقد بلغت بعض أزاجيره من هذه الناحية نحو أربعة عشرا ألف بيت مثل أرجوزة جوهر النظام والأديان والأحكام والأخلاق والحكم.

وبالنسبة للمنهج الذي اتبعه في تحقيق مخطوطة "الجامع الصحيح في مسند الإمام الربيع بن الحبيب"، وذلك من خلال تجميع النسخ المختلفة والمقابلة بينها، حيث يقول في مقدمة شرحه لذلك المسند (وقد وقع فيه من التحريف من النساخ من غير قصد فجمعت من نسخة ما أمكن، واخترت هي أليق وأحسن فخرجت من الجميع نسخة أرى أنها اصح من غيرها ولا ادعى سلامتها على الإطلاق غير أني لم أجد فوقها من مطاق). وهذا المنهج في التحقيق هو المنهج الذي يتبعه المحققون في العصر الحديث ، وقد أتبعه الشيخ السالمي قبل نيف ومائة عام .

وفي مجال الدراسات الفقهية قدم الإمام السالمي عدة مؤلفات ومصنفات ولكنه اتبع أسلوب مميز في تقديم الفقه في أحسن صوره، كما يقول الشيخ الخليلي: "أنه استطاع أن يربط الفقه بالسنة، وأن يربط الفروع بالأصول، وقد كان واسع الإطلاع في علم الحديث، كما أنه كان واسع الإطلاع قوي المأخذ في علم أصول الفقه، وقد تمكن من ربط الفروع بالأصول، واستطاع أن يأتي في مؤلفاته بتحقيقات لم يسبق إليها في مجالات متعددة و كان يعتمد أكثر

ويضيف الشيخ الخليلي قائلا: "إن الإمام السالمي كان يرفض كل الرفض الاعتماد على أقوال العلماء فإن أقوالهم وان جلت منزلتهم لا تتعدى أن تكون دعاوي تعوزها البيانات إن لم تقترن بالأدلة، وإلى هذا يشير الشيخ السالمي بنفسه قائلاً: "وأهل زماننا تعذر عليهم الوصول إلى استنباط الأحكام من أدلتها؛ إلا بعد معرفة اصطلاحات الفن وممارسة قواعده وضبط علله وقوادحه إجمالاً وتفصيلاً. وقد رغب عن ذلك كثير من أهل زماننا لجهلهم بما فيه من التحقيق وصعوبة ما فيه من التدقيق، فقصارى متفقههم حفظ أقوال الفقهاء، وغاية

shobber.al-musawi.com

نباهة أحدهم رواية احدهم ما قاله النبهاء، لا يدرون غث الأقوال من سمينها، ولا خفيفها من رزينها، قد حسبوا في التقليد المضيق عن قضاء التحقيق، وليتهم لما وقفوا هنالك عرفوا منزلتهم بذلك، ولم يدع أحدهم منزلة ابن عباس ويقول " أيها الناس فإنا لله وإنا إليه راجعون فذهب العلم وأهلوه وبقي الجهل وبنوه".

يقول الشيخ الخليلي عن هذه الرؤية:" والإمام السالمي رحمه الله غير متحيز إلا إلى الدليل وقد كانت كتبه ملئ بآراء علماء المذاهب الإسلامية المختلفة، وكان يحرص على ما يجمع الشمل ويرأب الصدع، وكان يستفيد مما كتبه الكاتبون من العلماء البارزين في شتى المجالات، فقد كان كثيرا ما يعتمد في التفسير على الإمام الفخر، بصمات تفسير الإمام الفخر واضحة على معارج الكمال؛ ففي المقدمة الكثير من أصول الدين بل وفي سائر الكتب. كما اشبع معارك الآمال وشرح المسند بتحقيقات الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ويبدو أن الإمام السالمي كان معتنياً بالفتح أكثر من غيره من شروح كتب السنة وما أجدره بذلك، ويبدو أن عنايته بالفتح كانت قبل سفرة إلى الحج بفترة من الوقت، فقد كان يعني بهذا الكتاب وبصماته واضحة على شرح على مدارج الكمال وشرحه على مسند الإمام الربيع بن حبيب".

وحول منهجه الإصلاحي، يقول الشيخ الخليلي : "هذا و قد كان الإمام لا يخفى شرعته الإصلاحية في آرائه الفقهية فقد كان يواجه المجتمع الذي ربما كان يحرص على أراء العلماء السابقين، وأحيانا يرى المجتمع إن لتلك الآراء قدسية، لكن الإمام السالمي في مواجهة ذلك يأتي بالقول الذي يترجم بالدليل، وربما واجه الذين يعارضونه في ذلك مواجهه عنيفة".

وهكذا نرى الشيخ السالمي قد أعتمد في تناوله للمسائل الفقهية على أربعة محاور:

الأول: أنه يربط القضية الفقهية بالدليل، ويحاول أن يوائم بين العقل والنقل

الثاني: أنه يحاول التوفيق بين آراء مختلف المذاهب الإسلامية

الثالث: انه يختار أفضل لأراء حتى لو خالف من سبقه من العلماء

الرابع: انه يرفض الجمود في التقليد وتكرار ما قاله العلماء السابقون دون تمحيص، أو تدقيق. ولقد اعتمدت في كتابتي في هذا المجال الفقهي على آراء الشيخ الخليلي والشيخ المروي، لأنهما الأجدر على تحليل تلك الآراء والأفكار.

وفي مجال الدراسات الدينية أيضا له جهود مشكورة في التأليف في علم الحديث، فلقد قام بشرح كتاب "الجامع الصحيح لمسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي"، و يقع هذا الشرح الجامع الشامل في ثلاثة أجزاء، ويعتبر الشرح من الكتب المشتملة على أحاديث قام بها

Shopper al-musawi.com

المؤلف بتحقيقها وتخريجها، وتفنيد الحديث الصحيح الحسن من الضعيف، وأقوال المحدثين ومناقشة أرآهم.

وفي مجالات الدراسة التاريخية؛ فان الإمام السالمي طبق تقريبا نفس المنهج في اختيار رواياته التاريخية ومناقشة صحتها، والى ذلك يشير الدكتور فاروق عمر في كتابه "مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني": فإننا نلاحظ السالمي قد اظهر دقة وتميز في اختياره الروايات التاريخية الصحيح من الضعيف".

وقد استطاع الشيخ السالمي من خلال كتابه تحفة الأعيان في تاريخ عمان:"إن يقدم صوره مكتملة الأبعاد عن التاريخ العماني ليس فقط من خلال إحاطة هذه السيرة بكل ما تحتاجه من معلومات فنيه أدبية واجتماعية، بحيث ظهر كتاب تحفه الأعيان وكأنه سجل كامل لمسيرة التاريخ العماني والاجتماعي والسياسي والفكري والإداري وحفظ أيضا عهود لائمه والرسائل المتبادلة بين الأئمة والحكام المجاورين".

هذا وقد طبق الإمام السالمي نفس المنهج الذي طبقه في دراساته الفقهية وخصوصا في اختيار روايته التاريخية، ومناقشة صحتها فهو لا ينقل الروايات عبثا وإنما يقوم بفحصها والتدقيق فيها، وقد حرص الإمام السالمي أيضا في الاعتماد على مصادر وروايات موثوق بها ويقوم بذكر هذه المصادر أثناء سرده للحوادث والروايات التاريخية مما يعزز صدقها وصحتها، وقد أشار إلى ذلك الدكتور فاروق عمر قائلا: "رغم أن السالمي يعتمد على الأزكوى في أخباره عن عُمان في القرون الأول إلا أنه يتميز عن الأزكوى بإشارته إلى بعض موارده ورواته".

ويذكر المستشرق البريطاني ولكستون في دراسته عن الإمامة الإباضية في عُمان، بعد مقابلته لما جاء في كتاب تحفة الأعيان بما ورد في المصادر التي نقل عنها السالمي؛ أنه كان أمينا ودقيقا في اقتباساته، والكتاب مهم لكل من يتصدى للبحث في تاريخ عُمان وعلاقتها بجيرانها وإلى تطور الإمامة الإباضية، التي شكلت أحد المظاهر الهامة في تاريخ عُمان منذ بداية القرن الثاني الهجري ، كما يفيد الكتاب في إعطاء معلومات هامة عن انتشار الإباضية، وأسماء حملة العلم الذين أسهموا في نقل الأفكار والمبادئ الإباضية من البصرة إلى عُمان".

وحيث أن النقد وتحليل الروايات التاريخية من أهم مناهج البحث التاريخي المعاصر والقديم، فقد عمل السالمي على تقييم رواياته ونقد بعضها، وربما أيضا رد الكثير من الروايات المتقدمة، كما أنه أبتعد عن ذكر الروايات التاريخية التي تعتمد على الخرافات والقصص الخيالية، وبذلك ظهر الكتاب على صورة واقعية ومنهج تاريخي واضح.

Shoaber-almusawi.com

وقد اعتمد السالمي على كثير من المعلومات والروايات والمخطوطات التي لا نعرف عنها الكثير، وإلى هذا يشير الدكتور عصام الرواس في بحثه نظرة على المصادر العُمانية، حيث يقول: "وتظهر قيمة كتابه رغم أنه من المصادر المتأخرة جدا نظرا للجهود التي بذلها الشيخ السالمي في تأليفه هذا الكتاب، حيث وظف كل ما لديه من مخطوطات وسير منذ القرن الثالث الهجري، كما أن السالمي حين ينقل هذه السير لا يحرف فيها كما فعل غيره، ونستطيع القول أن الشيخ السالمي رحمه الله نقل في كتابة التحفة سيرا كاملة دون أن يحذف منها أو يضيف عليها ومن هنا تأتي قيمة روايات السالمي. فمراجعة هذه الروايات تعنى إطلاعه الغزير على مخطوطات لا توجد لدينا حاليا وصلتنا من خلال كتاب التحفة. ولذلك يعتبر كتاب التحفة بحق من المصادر الأصلية لتاريخ عُمان، فالسالمي لا يكتفي فقط بالمصادر العُمانية التي سبقته، بل اعتمد كذلك على المصادر الإسلامية والعربية في نقل معلوماته وسد الفراغات التاريخية المتعلقة بعُمان، فنقل معلومات وروايات من كتب أبي عبيدة والأصمعي والطبري والمسعودي وأبي الأثير وابن خلدون وابن بطوطة كما أنه صحح ونقد الروايات التي وردت في كتابات هؤلاء عن عُمان".

إنجازاته في مجال الأدب :

لقد طرق الإمام السالمي المجال الأدبي من خلال ثلاث مجالات أدبية ومتميزة؛ شاعراً ، وخطيباً ، وباحثاً أدبيا ، وحافظاً لنتاج الأدباء العُمانيين على مر العصور. ولقد برز الشيخ السالمي من خلال التاريخ الأدبي والسياسي في عمان؛ على أنه شاعراً وخطيباً لا يشق له غبار، وقد استطاع أن يؤلف أكثر كتبه وتصنيفاته شعراً فهي بين أربعة عشر مؤلف بلغ أكثر من نصفها نظما وقد بلغت بعض أراجيزه في هذا المجال نحو أربعة عشر ألف بيت؛ مثل أرجوزة جوهر النظام في الأديان والأحكام والأخلاق والحكم. وإلى جانب ذلك النظم الشعري، كانت له مجموعة من القصائد ذات المواضيع الشعرية المختلفة. وقد أشار صاحب نهضة الأعيان إلى بعض هذه القصائد كما أن السالمي قد ترك ديوان شعر لا يزال مخطوطا. ويرى سالم بن علي الكلباني في بحثه عن شعر السالمي:" أن معظم قصائد الشيخ السالمي تنصب في معظمها في مجالين أو ثلاث مجالات لا تكاد تعدوها إلا نادراً؛ فالموضوع الأول في هذه القصائد كان يحتوى على رثاء لأشخاص معينين كان لهم أثر كبير في حياة الشيخ ومنهجه فمدحهم أحياء ورثاهم أمواتاً ويعلق قائلاً هكذا عرفنا أوفياء الرجال.

ويرى أن الموضوع الثاني الذي أكثر فيه هو الدعوة إلى الله فيقول لقد قرأنا حوالي ٢٨ قصيدة متوسطة الطول تدور في معظمها حول محور واحد هو الدعوة إلى الله، ومن هذا المحور تتشعب عدة شعب منها شكوى الزمان وأهله. وإستنكار حالة التهاون التي يراها تسود المجتمع. أما الموضوع الشعري الثالث فهو استنهاض همة الأمة عن طريق جمع

shopper.al-mussaw.com

الكلمة على الحق والإنضواء تحت لواء الهدى. فأكثر شعره أن لم يكن كله شعر حماسي يشف عن مضاء عزيمة وشدة شكيمة وصدق طوية وسلامة قصد. وأنه يرى أن طريق العلا والمجد لا يتحقق إلا بتحقيق هدف الأمة بالنصر وإعلاء كلمة الله . وهو دائم الدعوة إلى التخلي عن الدعة والاسترخاء وطلب العزة والمجد والعلاء عن طريق مقاومة الأعداء وحربهم. ويتوصل الشاعر الكلباني إلى عدة ملاحظات مهمة حول شعر الإمام السالمي :

الأولى: أن السالمي يشعرك في كل بيت ينظمه أنه مؤمن صادق الإيمان راسخ العقيدة، لا يبتغي لوجود الله ولا يشترط على الأنبياء شاهدا أو كفيلا فدليله فطرته وعقله وشاهده.

الثانية: أنه ينظم الشعر حسبما تقتضي الحاجة الآنية، دون أن يوغل في طلب المعاني الغريبة، والألفاظ المنتقاة، ذلك أنه يوجه مقالا عفويا خالياً من الأغراب والتأنق.

الثالثة: إننا في جميع ما قرأناه من قصائده لم نعثر له على عبارة أو إشارة تدل على أنه فاقد للبصر كالشكوى أو التحسر والتبرم كم فعل غيره من الشعراء نحو أبو العلاء المعرى أو غيره ولا نشك في أنه محتسب في ذلك الأجر والثواب من الله تعالى.

وأضيف أن الشيخ السالمي على العكس من ذلك فلقد كان في اعتقادي المبصر الوحيد بين مئات العميان، حيث أن أشعاره وخطبه وكتاباته تدل على أنه كان يحس ويشعر بما لا يشعر به المبصرين، وأنه كان يرى ما لا يراه غيره وأنه أنطلق من خلال محنته الخلقية هذه لكي يكون الرجل الأبرز بين الرجال، والعالم المفكر بين العلماء، ولم يرضى بأن يكون فاقد البصر الوحيد بين المبصرين، ولم يرضى أن يضيف إلى محبسه الخلقي محبسا أخر، بحيث يكون رهين المحبسين مثلما فعل المعرى لا وإنما خلع محبسه الأول واستبدله بالسعي وراء العلم والفكر والأدب حتى يكون بصيراً في الدنيا والآخرة ، واستبدل محبسه الثاني بالالتقاء مع الناس والعلماء ورفع الكلفة بينه وبينهم وأفضل دليل على كلا منا هو ريادته وقياده للأمة في فترات الانحسار والتقوقع مع وجود مئات المبصرين".

أما بالنسبة للخطابة فلقد كان وكما يقول صاحب النهضة، "كان خطيباً منطقيا يرتجل الخطب الطوال في المجامع والمحافل حسبما يقتضيه المقام من السعي في إصلاح الأمة وجمع الشمل يُرغب ويُرهب بأبلغ بيان وأفصح لسان". وبلا شك فأن الإمام السالمي قد استفاد كثيراً من خلفيته اللغوية والأدبية في ارتجاله لهذه الخطب "التي تزدان بقوة الأسلوب وتميز اللغة المستخدمة وبساطة الألفاظ والمعاني، بحيث تجد هذه الخطب طريقها إلى قلوب الناس بسهولة ويسر ولذلك فأن أكثر خطبة كانت خطب جماهيرية تحث الناس على الوحدة

shopper.al-musawi.com

والاجتماع ولم الشمل واستنهاض الهمم وعدم تفويت الفرص في مواجهة الأعداء والمناوئين".

أما المجال الثالث من مجالاته الأدبية؛ فهو مجال البحث الأدبي الذي خصص له الشيخ السالمي الكثير من وقته واهتماماته، وبذلك أخرج لدينا العديد من المؤلفات في هذا المجال. ولقد تناولت أبحاثه الأدبية ثلاثة مجالات أدبية مهمة من مجالات البحث :

الأول في مجال اللغة: فلقد كانت له دراسات وأبحاث في هذا المجال حيث ألف كتابين الأول أسماه "شرح بلوغ الأمل والمفردات والجمل"، ووضعه في أربعة أبواب وهو أرجوزة شرح فيها كتاب "الأعراب عن قواعد الأعراب".

وقال في مقدمته أما بعد فهذه منظومة في تفصيل الجمل منّ بها علي ربي عز وجل سميتها بعد تمامها ببلوغ الأمل ضمنتها كتاب "الأعراب عن قواعد الأعراب"، وهو كتاب جليل في هذا الباب خال من الحشو والإطناب ، ومن التطويل والإسهاب لابن هشام، وقال: "نظمت من حال الابتداء ما وسعه ذهني، وقد شرحته في ذلك الحال شرحا على قدر الحال". وكان هذا أول مؤلفاته وقد أعترف الشيخ السالمي بأنه أبقى شرح بعض الأبيات على ما فيها من خلل "ليكون ذلك على عجزه دليلاً وليعلم المبتدئ أن العلم أنما ينمو قليلاً قليلاً ويستبين الطرق بين درجتي المبتدئ والمنتهي"، ولا شك فأن الشيخ السالمي قد بذل جهود كبيرة في تأليفه اللغوية لهذه المنظومة، التي أن دلت على شيء فإنها تدل على سعة علمه ومعرفته بأصول اللغة العربية وقدرته على التأليف فيها. ويقول الدكتور أحمد درويش حول هذا الأمانة العلمية:"ولكي يطمئن إلى الحقيقة التي يود أن يذيعها وعلى قدر الأمانة العلمية التي كان يحملها إزاء تقسمه وقارئه، والتي كانت تدفعه إلى الاعتراف بالتقصير أن وجد بل والإبقاء عليه رمز لتطور معرفة الإنسان كما أشار في مقدمة "شرح بلوغ الأمل" وكان قد كتبه في فترة الشباب ثم عاد إليه ليجد فجوة فيقول (فتداركته بزيادة أبيات كان منها النظم خاليا وكسوته بشرح هذا المزيد مع الخطبة حللا كان ذلك الشرح منها عاديا، ثم أبقيت الأبيات الأولى على ما فيها من خلل ليكون ذلك على عجزي دليلاً ، وليعلم المبتدئ أن العمل أنما ينمو قليلاً قليلاً ويستبين الفرق بين درجة المبتدئ ودرجة المنتهى) ، والمتتبع لفصول هذا الكتاب تعبيرا أو تأصيلا وإجمالا وتفصيلا؛ يجد مصداق هذه الإشارة في التحقيق والترجيح اللذين أبداهما في بعض المسائل، وميض ينبئ عن غيث منسجم سيال بالمعرفة، وهذا الشرح كم يبدو واضحا فيما كتبه المؤلف بعد فترة من نظم الأرجوزة".

أما الكتاب الثاني فهو كتاب "المواهب السنية على الدرة البهية" شرح فيه كتاب "الدرة البهية" لشرف الدين بن يحيى العمريطي نظم متن الاجرومية لابن عبد الله محمد بن

shobbar.al-musawi.com

محمد بن داود وشرحه الإمام السالمي شرح مختصر في جزئين، أوضح فيها ما يجب إيضاحه وشرح ما هو مبهم وأكمل ما يستدعى الإكمال وهناك كتاب ثلاث غير مطبوع وهو لا يزال مخطوطة "روض البيان على فيض المنان في الرد على أدعى قدم القرآن". وقد ضمنه الشيخ السالمي عدة مباحث لغوية واللطائف الدينية، كما يقول الدكتور إبراهيم بن أحمد الكندي في بحثه السالمي أديباً ولغوياً فيقول، "وأعذب ما في تحليله اللغوي التوجيهات والتعليلات لوضع المفردات في مواضعها من الجمل والاطلاقات والتسميات، فلا يغادر إطلاق تسمية على شيء تحتاج إلى بيان مناسبة إلا أعطاها حظها من التعليل والإيضاح، ولاسيما لدى التنبيهات والاستعارات وعلاقات المجاز".

كما تناول الدكتور إبراهيم الكندي مباحث الإمام السالمي اللغوية من جهة أخرى؛ وهي المباحث اللغوية التي لها صلة مباشرة بعلم الأصول، فيقول:"أنك تجد ذلك مفصلاً في أبواب كتابه "طلعة الشمس" الذي شرح به كتاب "شمس الأصول". ويضيف وعلى سبيل المثال ما جادة به قريحته في مبحث المشترك اللفظي والمعنوي من ترجيح وتصحيح بعد عرض الأدلة والإجابات عليها وقد يبين بما لا غبار عليه أن الخلاف بين المختلفين في وجوده ومحله أنما هو خلاف معنوي لا لفظي". ويذكر الدكتور إبراهيم الكندي عدة أمثلة على كلامه السابق، فيقول: "وعندما نقل ما قاله أئمة اللغة وأئمة الأصول في استعمال "من وما " لذوات العقلاء وغيرهم أو صفات العقلاء استخلص ما حاصله أن دلالة من على صفات من يعقل أنما هي دلالة مجازية ودلالة ما على ذلك دلالة وضعية.

وعندما سرد أحكام المجاز وتتطرق إلى الحكم الذي هو الأخذ بالمجاز وترك الحقيقة لمقتضى ما يدعو إليه فيما أراد اللفظ بين الحقيقة والمجاز، وكان المجاز أظهر أختار رجحانية المجاز على الحقيقية، وهو يقول: "بعد ذكر الخلاف وأدلة كل فريق وأقول أن رجحانية المجاز بالقرينة الدالة على إرادته ولو لم تكن مانعة من إرادة الحقيقة ظاهرة فإنه أن كانت الحقيقة هي الأصل فقد يترك الأصل بدليل".

أما المجال الثاني من مجالات البحث الأدبي فلقد خصصه الشيخ السالمي للكتابة والبحث في علم العروض والقوافي، فلقد ألف كتاباً يتكون من جزئين أسماه "المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي" وفيه تعرض لكثير من القضايا المتعلقة بالشعر العربي، وكان الجزء الأول مختص بأبواب العروض والثاني في علم القوافي وحركاتها وأنواعها وعيوبها. وقد تحدث العلامة نور الدين السالمي في هذا الكتاب عن الخليل ابن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض، وذكر الكثير من أشعاره ومقتطفات من حياته، كما أتي في المقدمة على

shobber.al-musawi.com

أولاً: المؤلفات والكتب والرسائل الدينية وتشمل كتب الفقه والحديث:

١. أنوار العقول: وهي منظومة في أصول الدين وتقع في ثلاثمائة بيت من الرجز وتعد هذه الأرجوزة من أهم الأراجيز الفقيهة التي تفخر بها المكتبة العُمانية وقد قام السالمي بشرحها مرتين.

٢. بهجة الأنوار: وهو الشرح الأول لأرجوزة أنوار العقول وشرحها في هذا الكتاب شرحاً مختصراً، وقد طبع هذا الكتاب بهامش الجزء الأول من كتاب طلعة الشموس.

٣. مشارق أنوار العقول: وهو الشرح الثاني لأرجوزة أنوار العقول، وهي الشرح المطول لتلك الأرجوزة وهي من أحسن كتب الأصول العقلانية تحقيقاً وتحريراً وصياغة وقد قال القطب محمد بن يوسف لما أطلع على هذا الكتاب مشيدا به وبمؤلفه "لقد أمعن صاحب المشارق" .

٤. شمس الأنوار: ويطلق عليه أيضاً شمس الأصول وهي منظومة في أصول الفقه أيضاً وتتكون من ألف بيت من أبدع النظم وأمتنه. شرحها في مجلدين شرحاً أضافياً سماه طلعة الشمس، وقد قام القطب محمد بن يوسف بن أطفيش بتدريس هذا الكتاب شمس الأنوار لتلاميذه أثناء قيامه بالتدريس في مصر.

٥. غاية المراد في الاعتقاد وهي منظومة محكمة التوحيد والاعتقاد وقد قام بشرحها وتحقيقها الشيخ العلامة سليمان بن محمد الكندي شرحاً جامعاً ومفيداً .

٦. شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري: وهذا الشرح الجامع الشامل يقع في ثلاث مجلدات ويعتبر هذا الشرح من الكتب المشتملة على أحاديث قام المؤلف بتحقيقها وتخريجها وتفنيد الحديث الصحيح من الضعيف وأقول المحدثين ومناقشة آرائهم، وقد وجد الشيخ السالمي صعوبة في تحقيق هذه المخطوطة وذلك لوجود أكثر من نسخة مختلفة، فلذلك قام بتجميع هذه النسخ والمقابلة بينها وتصحيح التحريف الذي وضعه النساخ من غير قصد، واختار من مجموعة النسخ ما هو ألبق وأحسن وأخرج النسخة التي يعتقد بأنها أصحها جميعاً .

٧. مدارج الكمال في نظم مختصر الخصال: وهو منظومة في الفقه على ألفي بيت نظمها بناء على كتاب مختصر الخصال للشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي أحد علماء الإباضية باليمن وهي من الشخصيات القيادية والأساطين الفكرية في اليمن، ولقد نظم الإمام السالمي ذلك الكتاب نظر لأهميته الفقهية و تبسيطه لطلبة العلم.

Shopper al-mubawi.com

٨. كتاب معارج الآمال على مدارج الكمال: وهو شرح للمنظومة السابقة، وجاء ذلك الشرح في أسلوب بديع يتناول معاني الأبيات في أول شرحها، ثم يأتي بالمسائل المتعلقة بالموضوع نفسه من الأثر ويعضدها بالأدلة تحقيقاً وتوضيحاً، ثم يذكر فروع المسألة ويردها إلى أصولها، ثم يضيف إلى ذلك على ما يقتضيه المقام من الفوائد ويرد إليها ما كان من تلك القواعد، بعبارات جزلة؛ حتى أن المسألة بعد تبينها وتدليلها تصح أن تكون في بحث مستقل لو أفردت. وجمائل هذا الكتاب ومحاسنه لا يعرفها حق المعرفة ولا يقدرها حق قدرها إلا من وقف عليها، ولقد أكتمل من أجزاء هذا الكتاب ثمانية مجلدات ضخمة، وكان ينوى أن يجعله في ستة عشر مجلداً لو لم تعاجله المنية، وكان آخر شرح له في ذلك الكتاب كتاب الصوم والاعتكاف.

٩. جوهر النظام في الأديان والأحكام: وهو أرجوزة في الأديان والأحكام والأخلاق والحكم تزيد على أربعة عشر ألف بيت يتكون من أربعة أجزاء، وهو مشهور بين جميع الناس عالمهم وجاهلهم ذكيهم وبليدهم. وهذا الكتاب رغم اختصاره لكثير من المسائل إلا أن فيه الكثير مما شمله المؤلف بتحقيقاته وترجيحاته، مما يدلنا على أهمية هذا الكتاب تحقيقاً وتيسيراً للقضايا المختلفة التي لها صلة بحياة الإنسان العقيدية والعبادية إلى غير ذلك من مسائل الأحكام.

١٠. العقد الثمين: وهو في الفتاوى والمسائل وقد بلغت هذه الفتاوى في سبعة أجزاء حسب ما ذكره ولده أبو بشير في النهضة، وقال: إلا أن الجزء الثامن لم يكتمل ومجموع هذه الفتاوى مسائل متناثرة من مواضيع مختلفة غير مرتبه . ومن بينها كتاب حل المشكلات وهو الرابع من تلك الأجزاء تشتمل أجوبة هذا الجزء حلول ما شكل من مسائل مختلفة على تلميذه أبي زيد عبد الله بن محمد الريامي، فعرضها على شيخه فأجابه تلك الإجابات التي جمعت في كتاب ورد ضمن هذه الفتاوى .

١١. تلقين الصبيان فيما يجب على الإنسان من الاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان: ويحتوي هذا الكتاب على نصائح وإرشادات في المسائل الدينية، ويعد معلماً ومرشداً للصبيان الذين يتطلعون إلى تربية سليمة وتفقها في أمور الدين والإلمام بالأركان والواجبات اللازمة على الإنسان. ويحتوى الكتاب على الكثير من المعلومات الدينية والعقائدية القيمة ويتكون من ثلاث مقاصد :

أ- المقصد الأول : واجب الإنسان من الاعتقاد بالجنان .

ب- المقصد الثاني : واجب الإنسان تجاه العمل بالأركان .

Shabeelalmuseum.com

ت- المقصد الثالث : ما هي الأشياء التي يجتنبها الإنسان من الأفعال .

وقد حوت المقدم على بيان ما يؤمر به ولي الصبي من مراعاة للصبي حتى بلوغه سن الرشد، كما احتوى الكتاب على تفاصيل لكل واجب من الواجبات، وكل ركن من الأركان الإسلامية، وعلى سبب تأليف العلامة السالمي لهذا الكتاب فإنه يقول: "أما بعد فقد سألني بعض الأخوان أصلح الله لي وله الشأن أن أضع له رسالة يسيرة في بيان أول ما يجب على الإنسان، في أول حال التكليف، وفي بيان بعض ما يؤمر به، واقترح على أن يكون ذلك بعبارة ظاهرة يفهمها الذكي والضعيف، فأجبته إلى ذلك إسعافا لمراده والله سبحانه وتعالى ولي التسديد. فها أنا أجعل مقصود السائل في مقصدين وخاتمة وأزيد عليه نافلة مقدمه نافعة للعامة" .

١٢. اللمعة المرضية في أشعة الإباضية :

وفي هذا الكتاب رد على أولئك الذين انجرفت أقلامهم في القدح والافتراء على الإباضية، عندما كتبوا في الفرق الإسلامية؛ قالوا أن الفرقة الإباضية لم يكن لها وجود إلا بعد أن تكونت المذاهب الأربعة، وأنهم لا يوجد لهم من قبل أي مؤلف يذكر. فالسالمي أبدى في هذا الكتاب رده المنطقي المقرون بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة على أصحاب تلك الأقلام مظهراً للقراء أن الاباضيه وجدوا قبل المذاهب الأخرى، كما أن مؤلفات كثيرة ظهرت في المكتبات نحو؛ كتاب الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب من أوائل المؤلفات في الحديث، حيث ظهر هذا المؤلف قبل ظهور موطأ الإمام مالك و البخاري ومسلم. وفيه أيضاً استعراض لأهم مشاهير علماء عمان في مختلف مراحل التاريخ .

١٣. رسالة الحجة الواضحة في الرد على التلفيقات الفاضحة :

رد فيها على الذي أدعى العلم وهو لم يبلغه وتعاطى منزلة الاجتهاد من أهل زمانه وهو لم يهيأ لها بعد .

١٤. رسالة بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود :

حذر هذا الكتاب القيم من التشبه بالمشركين من أهل الكتاب وتقليدهم وبين فيه ضرباً من دسائس العدو التي من شأنها القضاء على المبادئ والمثل العليا وتذويب الشخصية الإسلامية وصهرها في مستنقعات الكفر والظلال .

١٥. رسالة الحجج المقنعه في أحكام صلاة الجمعة :

Shopper al-musawi.com

ت- المقصد الثالث : ما هي الأشياء التي يجتنبها الإنسان من الأفعال .

وقد حوت المقدم على بيان ما يؤمر به ولي الصبي من مراعاة للصبي حتى بلوغه سن الرشد، كما احتوى الكتاب على تفاصيل لكل واجب من الواجبات، وكل ركن من الأركان الإسلامية، وعلى سبب تأليف العلامة السالمي لهذا الكتاب فإنه يقول: "أما بعد فقد سألني بعض الأخوان أصلح الله لي وله الشأن أن أضع له رسالة يسيرة في بيان أول ما يجب على الإنسان، في أول حال التكليف، وفي بيان بعض ما يؤمر به، واقترح على أن يكون ذلك بعبارة ظاهرة يفهمها الذكي والضعيف، فأجبته إلى ذلك إسعافا لمراده والله سبحانه وتعالى ولي التسديد. فها أنا أجعل مقصود السائل في مقصدين وخاتمة وأزيد عليه نافلة مقدمه نافعة للعامة" .

١٢. اللمعة المرضية في أشعة الإباضية :

وفي هذا الكتاب رد على أولئك الذين انجرفت أقلامهم في القدح والافتراء على الإباضية، عندما كتبوا في الفرق الإسلامية؛ قالوا أن الفرقة الإباضية لم يكن لها وجود إلا بعد أن تكونت المذاهب الأربعة، وأنهم لا يوجد لهم من قبل أي مؤلف يذكر. فالسالمي أبدى في هذا الكتاب رده المنطقي المقرون بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة على أصحاب تلك الأقلام مظهراً للقراء أن الاباضيه وجدوا قبل المذاهب الأخرى، كما أن مؤلفات كثيرة ظهرت في المكتبات نحو؛ كتاب الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب من أوائل المؤلفات في الحديث، حيث ظهر هذا المؤلف قبل ظهور موطأ الإمام مالك و البخاري ومسلم. وفيه أيضاً استعراض لأهم مشاهير علماء عمان في مختلف مراحل التاريخ .

١٣. رسالة الحجة الواضحة في الرد على التلفيقات الفاضحة :

رد فيها على الذي أدعى العلم وهو لم يبلغه وتعاطى منزلة الاجتهاد من أهل زمانه وهو لم يهيأ لها بعد .

١٤. رسالة بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود :

حذر هذا الكتاب القيم من التشبه بالمشركين من أهل الكتاب وتقليدهم وبين فيه ضرباً من دسائس العدو التي من شأنها القضاء على المبادئ والمثل العليا وتذويب الشخصية الإسلامية وصهرها في مستنقعات الكفر والظلال .

١٥. رسالة الحجج المقنعه في أحكام صلاة الجمعة :

Shoppe.al-mosawi.com

وهذا الكتاب أورد فيه ما قاله الفقهاء من صحيح في مشروعية صلاة الجمعة وشروطها ومتى تجب وأين تجب وإحكام المِصر .

١٦. كتاب الشرف التام في شرح دعائم الإسلام : وفيه شرح بعض قصائد ابن النظر صاحب الدعائم .

١٧. كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة : كما يسميه الشيخ ناصر المرموري في بحثه السالمي المجتهد المجدد، بينما يطلق عليه الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه العنوان اسم " العرى الوثيقة في شرح كشف الحقيقة " وهو منظومة شعرية تدور حول المذهب الإباضي أيضاً

١٨. منظومة صواب العقيدة : يذكر الشيخ المرموري أنها منظومة تضم سبعة وسبعين بيتاً جمع فيها قواعد التوحيد وما لا يسع المكلف جهله .

ثانياً : الكتب اللغوية والأدبية:

١. بلوغ الأمل في شرح المفردات والجمل: وهي منظومة شعرية مبنية على كتاب الأعراب عن قواعد الأعراب لابن هشام. ويقول السالمي في المقدمة: "أما بعد فهذه منظومة في تفصيل الجمل من بها على ربي عز وجل سميتها بعد تمامها بلوغ الأمل ضمنتها الأعراب عن قواعد الإعراب، وهو كتاب جليل في هذا الباب، خال من الحشو والإطناب ومن التطويل والإسهاب لابن هشام صاحب المعنى. وقال: نظرت منه حالة لابتداء ما وسعه ذهني وقد شرحته في ذلك الحال وذلك سنة ١٣٠٥، ثم لاحت مني إلتفافة إلى المنظوم وإلى شرحه المعلوم سنة ١٣١٥، فقريء علي ذلك النظم مع شرحه، فرأيت ما فيه من قصور عن مرام أصله المشهور، فتداركته بزيادة أبياته، كان ذلك النظم منها خاليا وكسوته هذا المزيد مع الخطبة حللاً، وكان ذلك الشرح منها عاريا، ثم أبقيت شرح الأبيات الأول على ما فيها من خلل، ليكون ذلك على عجزي دليلاً، وليعلم المبتدئ أن المعلم أنما ينمو قليلا قليلا، ويستبين الفرق بين درجتي المبتدى والمنتهى. والكل بفضل الله يبتدئ وبتوفيقه، ينتهي وهذا أول النظم المشار إليه والكل منه تعالى وإليه .

٢. المهل الصافي في العروض والقوافي: يحتوى على جزئين كبيرين الجزء الأول؛ يختص في أبواب العروض، والثاني في علم القوافي وحركاتها وأنواعها وعيوبها. كما يحتوى الكتاب على بعض قضايا الشعر، وقد تحدث العلامة نور الدين السالمي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض وذكر الكثير من أشعاره

shopper.al-mussawi.com

ومقتطفات من حياته، كما أتي في المقدمة على إخبار بعض أدباء اللغة والشعراء، ومناقشاتهم حول قضايا تهم الشعر، ثم تحدث عن تركيب القصيدة وقد أحتوى الكتاب على خمس دوائر رئيسية وهي دائرة المختلف – دائرة المؤتلف – دائرة المشتبه – دائرة المجتلب – دائرة المتفق .

٣. المواهب السنية على الدرة البهية: شرح فيه الدرة البهية لشرف الدين بن يحيى العمريطي نظم متن الأجرومية لأبي عبد الله محمد بن داوود الصنهاجي المعروف بابن اجورمي – أي الفقير الصوفي –، وشرح نور الدين السالمي شرح مختصر في جزئين لطيفين. غير أنه دليل واضح على البراعة التي يتمتع بها مؤلفه، كما أن أسلوبه المتميز بالوضوح والشمولية مع كونه مختصر دليل آخر على حسن تصره وسعة علمه .

٤. ديوان الشيخ السالمي: وللشيخ نور الدين السالمي ديوان شعر لا يزال مخطوطاً، والديوان في منتهى البلاغة والرقة فيه من القصائد ما يلهب المشاعر ويرهف الأحاسيس ويوقظ الضمائر، ويقول الشاعر سالم الكلباني: "أن أغراضه لا تكاد تتجاوز ثلاثة إغراض الدعوة إلى الله واستنهاض الأمة ورثاء أصدقائه وأستاذته" .

ثالثاً الكتب التاريخية والتراجم :

١. رسالة الحق الجلي في سيرة الشيخ صالح بن على وهي رسالة كتبها في سيرة أستاذه الشيخ صالح بن على بين فيها مكانة الشيخ العلمية والدينية والفقهية بين معاصريه ومنزلته بين نظرائه.

٢. كتاب تحفة الأعيان في تاريخ أهل عُمان :

يعد هذا الكتاب هو أهم ما كتبه السالمي من كتب في مجال التاريخ والأدب، ويعتقد بعض الباحثين؛ أن هذا الكتاب لا يزال يعد من أشهر هذه الكتب وأنفعها، فيقول الدكتور جمال زكريا قاسم في بحثه عن "تاريخ عمان بين الوثائق والمصادر الأجنبية"، ومن أهم مؤلفات نور الدين السالمي، كتاب "تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان"، وقد عاصر مؤرخنا هذا أحداث عمان في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، على الرغم من قصر حياته؛ إلا أنه أنتج ما ينيف على اثنين وعشرين كتاباً في تاريخ عمان والمذهب الاباضي، وأن كان كتابه تحفة الأعيان لا يزال يعد من أشهر الكتب وانفعها للباحثين حيث يعرض لتاريخ عمان منذ فجر الإسلام متى بداية القرن الحالي" .

shobbera-musawi.com

كما يعده البروفسور بكنجهام من أهم كتب التاريخ العماني، فيقول: "أن كتاب تحفة الأعيان من أكثر الأعمال أهمية في التاريخ العماني" أما الدكتور ردويلكسنون، فإنه يعتبر التحفه أفضل بكثير من الكتب التاريخية الأسبق والمعروفة والتي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية. وكذلك هناك الكثير من الباحثين العرب يرون نفس الرؤية فالدكتور يقول عن التحفة: "لقد كتب السالمي العديد من الكتب في الفقه والتاريخ، ولكن كتاب التحفة يبقى أهم عمل تاريخي له، وقد جعل هذا الكتاب من السالمي مؤرخاً لتاريخ عمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، وخليفة ابن رزيق في سلسلة مؤرخي عمان المحليين، وسيبقي تاريخه متميزاً بروايات جديدة لم تظهر في كتب المؤرخين الذين سبقوه" . بينما يرى الدكتور عصام الرواس في كتاب نظرة على المصادر العُمانية أن كتاب التحفه "يعد بحق من الكتب التي اهتمت بتاريخ عمان بصورة شمولية وتظهر قيمة كتابه – رغم أنه من المصادر المتأخرة جداً– نظراً للجهود التي بذلها الشيخ السالمي في تأليفه لهذا الكتاب، حيث وظف كل ما لديه من مخطوطات وسير منذ القرن الثالث الهجري بغض النظر عن الكتابات ذات الاتجاهات السياسية في موالاة بعض الأئمة.

وبعد أن عرفنا آراء الباحثين والأكاديميين في كتاب التحفه ننتقل إلى الكتاب نفسه فابتداء نتعرف على السبب الذي دعى السالمي إلى تأليف التحفة.

الخطوط العريضة للتسلسل المنهجي والتاريخي للتحفة :

يتألف كتاب التحفه من جزئيين يحتوى الجزء الأول على عدة موضوعات تاريخية وتعريفية متسلسلة؛ فلقد بدأ الجزء الأول بالتعريف بعمان، وموقعها الجغرافي، وما ورد عنها في كتب التاريخ والجغرافيا، وما قاله كبار المؤرخين عنها، وفضائل أهلها، وهو عندما ينقل هذه الروايات والأخبار يناقش ما قالوه؛ مصححاً تلك المعلومات ومضيفاً إليها، ثم ينتقل بعد ذلك إلى سبب هجرة الأزد إلى عمان بعد انهيار سد مأرب، ونتفاً من أخبار مالك بن فهم، مشيراً إلى دوره في طرد الفرس وأثر ذلك على انتشار الدور العربي في عمان، ثم يتناول فترة حكم أولاد مالك بن فهم بعد وفاته وانتقال الحكم إلى معولة بن شمس .

ثم بعد ذلك يتطرق إلى إسلام أهل عمان، ودور مازن بن غضوبة كأول مسلم عماني، وكذلك يذكر إخبار مبعوث النبي إلى جيفر وعبد أبناء الجلندى، وكيفية دخول أهل عمان في الإسلام كافة دون حرب أو قتال. ويخصص السالمي باباً في عقيدة أهل عمان يوضح معتقدات الإباضية ورأيهم في الخلفاء الأربعة والفتنه التي قامت في أيام خلافة عثمان واستمرت إلى أيام خلافة الإمام على، ورأي الإباضية في قضية التحكيم وغيرها من القضايا الإسلامية

shoaibalmusawi.com

ويدفع الشبهة أيضاً عن المذهب الإباضي واستقلاله عن فرقة الخوارج التي خرجت على الإمام علي بن أبي طالب.

ثم يؤسس لتاريخ عمان السياسي ابتداء من إمامة الجلندي بن مسعود ويذكر إخبارا كثيرة عن حروب أهل عمان مع الدولتين الأموية والعباسية في سبيل الحفاظ على الاستقلال السياسي والديني لعمان عما يجري في الشمال، وفي عاصمة الدولة الإسلامية، ويشير إلى حكام بني العباس والبويهيين والقرامطة ودولة بني مكرم، ورغم معارضته لصحة هذه الروايات التي ذكرها ابن الأثير وابن خلدون ؛ إلا أنه يعود ويسجل ويوثقها ضمن كتابه ويعلل ذلك إلى تشوق الأواخر إلى الإطلاع على إخبار الأوائل . ثم ينتقل لحكم ملوك بني نبهان، وعلى الرغم من أن هؤلاء الملوك قد حكموا عمان مدة خمسة قرون من الزمان إلا أن عموم مؤرخي التاريخ العماني يتجاهلون هذه الفترة من تاريخ عمان، لأن هؤلاء الملوك اتبعوا حكماً وراثياً قبلياً، وغيروا ما هو متبع في عمان من محافظة على شكلية الحكم الشوروي المعروف بالإمامة الإباضية، ولذلك فإن أكثر المؤرخين العمانيين يتغاظون عن فترة حكمهم، ويطلقون عليها فترة حكم الجبابرة وكذلك فعل السالمي. إلا أن السالمي وبأمانته التاريخية وحماسة الأدبي والفكري فإنه على الأقل سجل ما وقع تحت يده من معلومات حول هذه الدولة ونشاط ملوكها الفكري والأدبي على الأقل، وقد أهتم السالمي كثيراً بشاعرهم الكبير سليمان بن سليمان النبهاني، وأشار إلى ديوانه وأورد نماذج من أشعاره، وكان يعتز فيه كشاعر مميز، وذكر أيضاً شاعر النباهنة الستالي وأشار إلى أهمية ديوانه في التعريف بدولة النباهنة وحكامهم، وأنه يكاد يكون المرجع الوحيد لتاريخ هذه الدولة . كما أنه عرض لرواية ابن بطوطة حول عمان، والتي حصلت أثناء حكم النباهنة ويردها رداً قاطعاً، ويناقش كل جزءياتها ويفندها تفنيداً واضحاً لا لبس فيه. وفي تصوري لو أن الشيخ السالمي حصل على روايات أخرى عن دولة النباهنه لما تأخر في إيرادها وتثبيتها، وربما يكون قد بذل جهودا كبيرة في الحصول على روايات أخرى، ولكن الحظ خانه فلم يحصل على مبتغاة، وهو يعلل ذلك لن التاريخ لم يكن من شغل الأصحاب بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية . وبهذا ينتهي الجزء الأول)

ويرى مصطفى عبد الغني مؤلف كتاب مؤرخو الجزيرة العربية، أن السالمي في كتاب تحفة الأعيان يقترب من التنظيم العلمي لكتابة التاريخ ، فيقول:"وقد كان تدوين السالمي لتاريخه يقترب من التنظيم العلمي إلى حد كبير، فما كاد يفرغ من خطبة الكتاب، حتى راح يحاول في المقدمة التعريف بعمان، بدءا من دخول العرب في عمان وأخذها من يد الفرس، وما لبث أن قدم أقوال كل ابن خلدون والمسعودي قبل أن يبادر هو بتدوين تاريخه، فبدأ قبل الإسلام

Shoobet al-musawi.com

متدرجا إلى العصور الإسلامية، متنقلا في الجزء الثاني إلى العصر الحديث، حريصا على ذر أن ذلك (أخر ما انتهى إليه علمه من أخبار أهلها الماضيين ليكون عبرة للمعتنين وعظة للمتعظين"

استعراض المنهج السالمي في تأليف التحفه :

لقد اتبع السالمي في تأليفه للتحفة منهجاً واضحاً ومحدداً فيمكن أيجاز هذا المنهج في النقاط التالية :

أولاً : بالنسبة للمصادر :

مع أن السالمي قد شكا من قلة المصادر التي تتحدث عن تاريخ عمان؛ إلا أنه بذل جهود كبيرة في الحصول على كل ما توفر من مصادر مكتوبة أو مخطوطه محلية أو عربية، حيث أنه وظف كل ما وصل له من مخطوطات وسير في تأليف التحفة. وقد أتبع السالمي منهجاً واضحاً في النقل عن هذه المصادر والمراجع، فهو يذكر المصادر مهما بعدت ومهما كانت مجهولة بالنسبة للمؤرخين، كذلك يذكر الرواة أيضاً مهما كثروا ومهما بعدوا، ولم يكتفي السالمي بذكر المصادر فقط، وإنما يناقش ما ورد في تلك المصادر، كما أنه حرص في كتابه الاعتماد على موارد و مصادر موثوق بها ويصر على ذكر هذه المصادر أثناء سرده للحوادث والروايات التاريخية مما يعزز صدق وصحة هذه الروايات .

وقد اعتمد السالمي على عدة مصادر ومخطوطات محليه وعربية منها؛ بيان الشرع، والمصنف، وفواكه العلوم، وكتاب البيان، ونقل عن أبو المؤثر وعن ابن رزيق، وناصر بن أبي نبهان وأبو الغبراء وغيرهم. ومن المصادر العربية أبي عبيدة، والاصمعي، والطبري، والمسعودي، وابن خلدون وابن بطوطه ، وقد قام بتصحيح ونقد أكثر الروايات والأخبار الواردة في هذه الكتب عن عمان مناقشتها مناقشة علمية وتاريخية وأحيانا دينية. لكنه مع ذلك يذكر هذه الروايات القليلة .

أما بالنسبة للمخطوطات والسير التي حصل عليها السالمي فانه كان ينقلها نقلاً حرفيا دون التغيير فيها، بعض النظر عن الكتابات ذات الاتجاهات السياسية، المعارضة أو الموالية لنظام الإمامة، كما أن السالمي عندما ينقل هذه السير لا يحرف فيها كما فعل غيره.

ونستطيع أن نقول أن الشيخ السالمي نقل في كتابه التحفه سيراً كاملة دون أن يحذف منها أو يضيف عليها، وبهذا تكون روايات السالمي روايات قيمه وذلك أهمية كبرى، ويرى الدكتور عصام الرواس أن في مراجعة هذه الروايات "تعنى إطلاعه الغزير على مخطوطات لا توجد لدينا حالياً، وقد وصلتنا من خلال التحفة، ولذلك يعتبر كتابه التحفه بحق من المصادر الأصلية لتاريخ عمان، فالسالمي لا يكتفي بالمصادر العمانية التي سبقته بل اعتمد على المصادر الإسلامية والعربية في نقل معلوماته وسد الفراغات والتاريخية" .

shoppersalmusawi.com

ثانياً : بالنسبة لتحقيق للروايات :

أولاً: اتبع السالمي منهج التحقيق والتدقيق في نقل ورواياته من مختلف المصادر المطبوعة والمخطوطة فهو لا ينقل إلا الروايات الموثوق بها، وقد تميز السالمي بالحرص في انتقاء الروايات التاريخية، ويؤكد الدكتور فاروق عمر في كتابه "مقدمة في دراسات مصادر التاريخ العماني"، على أتباع السالمي لهذا المنهج ، فيقول: "فإننا نلاحظ السالمي قد أظهر دقة وتميزا في قراءته و اختياره الروايات التاريخية" ، ويقول في موضع آخر:"كما أنه يعرض هذه الروايات لكثير من النقد والتدقيق؛ أن كانت هذه الروايات محليه أو عربية، فقد أظهر السالمي الكثير من الضعف في بعض الروايات العربية عن عمان، وكذلك المحلية منها" .

وكما نقد روايات ابن خلدون وابن الأثير وابن بطوطه انتقد روايات المصادر العمانية، فهو رد بعض روايات ابن رزيق، حيث يقول في صفحة ص ١٤٩ : "هذا من كلام ابن رزيق إلا ما كان في إصلاح في لفظة وحذف لأجل أصلاح التركيب، ولم نجد مأثوراً عن غيره، فالله أعلم بصحته، ولا يرضون الكذب، وإنما تخاف التساهل في النقل. فقد رأينا بعض الناس يأخذ الأخبار من لسان العامة ثقة بهم، ولسنا ممن يثق بالعامة فإن غالبهم ليس ضابطاً وأكثرهم لا يحسن النقل" .

وبالرغم أن ابن رزيق نقل تلك الرواية التي أنتقدها السالمي عن لسان شيوخ معروفين نحو؛ أبيه، والشيخ معروف بن سالم الصايغي، والشيخ خاطر بن حميد البداعي، وعن الشيخ محسن العجمي القصاب؛ إلا أن الشيخ نور الدين السالمي يشكك في رواية بن رزيق. ويرى الدكتور فاروق أن السالمي، "يعتمد اعتمادا كبيرا على ابن رزيق ويوليه ثقة ربما أكثر مما يجب، ولكن برغم ذلك فإن السالمي ينتقد ابن رزيق ذلك لأنه يأخذ الأخبار أحياناً من ألسنة العامة، ومن الناس شفاها، كما وانه يورد روايات أخرى ثم ينهيها بقوله وهو مخالف كلام ابن رزيق المتقدم والله أعلم" .

ثانياً : ويرى السالمي أن عدم اشتغال الشيوخ والعلماء والعامة؛ بعلم التاريخ يجعل بعض رواياتهم ضعيفة، وهو يكرر في أكثر من موضع هذا الكلام. فهو يقول في ص ١٩٩: "ولم يذكر أحد من مؤرخي أصحابنا خروج سلطان العراق على حفص بن راشد، ولم يذكر أنه عزل عن إمامته ولا انه خرج من عمان، وان لنشك في رواية قومنا فيما شاهدوه، فكيف نثق بهم فيما غاب عنهم، مع أنهم أخذوا في روايات ابن قيصر. ولهذا فإن السالمي اختار الروايات الأقرب إلى الواقع وابتعد عن الروايات التي فيها مبالغات عديدة وخصوصاً حول فترة حكم اليعاربة. ويقول الدكتور فاروق عمر عن هذا: "فإن روايات السالمي مهمة في

Shopper.al-mubawi.com

تكوين صورة أقرب إلى الواقع للإمام ناصر بن مرشد، خاصة وأن روايات ابن قيصر عن سيرة هذا الإمام فيها مبالغات عديدة، فمقارنة روايات ابن قيصر بروايات السالمي وغيره تعطينا صورة أوضح عن تلك الفترة من حكم اليعاربة".

موقفه من الجهود الحضارية والعمرانية والثقافية :

رغم أن التاريخ العُماني مليء بالمساهمات الجليلة والخدمات العظيمة التي قدمها العُمانيون في سبيل خدمة التراث الإنساني والحضاري؛ إلا أن المؤرخين العُمانيين تغاضوا كثيراً عن هذه المظاهر وهذه التأثيرات الحضارية الكبيرة، ومنهم كان الشيخ السالمي فهو لم يتعرض لهذه الجهود الحضارية والعمرانية والثقافية؛ رغم أنه كان للأئمة دور واضح في هذه الجهود، فلو أن الشيخ السالمي خصص جزءاً من كتابه التحفة لذكر هذه المظاهر الحضارية والجهود الإنسانية التي بذلها العُمانيون في الخليج وشرق أفريقيا؛ لكان ذلك أجدى وأكمل لكتاب التحفة ولو أنه خصص بعض كتاباته عن هذه الجهود مثلما خصصا للحروب والمعارك والفتن الداخلية التي جرت في عُمان لظهر الكتاب متكاملا ودون مآخذ عليه. ولكن الشيخ السالمي ركز جهوده على ذكر الحروب والقلائل والفتن التي جرت في تاريخ عُمان دون التفاتة ولو بسيطة لتلك الجهود الحضارية والمساهمات العظيمة لخدمة التراث الإنساني. حتى إن أسطول عُمان الحربي الذي بلغ فترة دولة اليعاربة شأنا كبيرا وفي فتوحات الأئمة والسلاطين في شرق أفريقيا والهند وكل هذه الغزوات كانت في سبيل الله، لكن الشيخ السالمي لم يأتي على ذكر أي من قطع الأسطول العماني ولا على هذه الغزوات الخارجية. ولم يتعرض السالمي لأي صورة من صور النهضة البحرية العُمانية أو التطور العمراني والمدني الذي تم في عُمان إلا من خلال إشارات قليلة جداً ، نحو بناء قلعة جبرين وكنا نتمنى على الأقل ذكر أحوال الأمة في عهد الأئمة وتطور الزراعة والعمران وما تم من إنجازات حضارية وعمرانية وربما تم ذلك بـتأثير الزمن الذي كان يعيش فيه والذي كان تنشر فيه الفتن والقلائل وربما كان الشيخ من علماء الشريعة ولم يكن يهم بمثل هذه المسائل وهذا التبرير محقق الكتاب ورغم أن هذا التبرير لا يعتبر تبريراً كافياً لأن الإنسان الذي يتصدى لكتابة التاريخ يجب أن يلم بكل جوانب التاريخ الحضارية والإنسانية إلا أن ما ورد والتحفة من أخبار وحوادث وفوائد ربما تشفع للشيخ السالمي تقصيره في هذا الجانب الهام والضروري.

وحول هذه النقطة يقول مصطفى عبد الغني مؤلف كتاب مؤرخو الجزيرة العربية: "بيد أن الإغراق في تسجيل أحداث الإمامة في تاريخه جعله يقع في خطأ كبير، فقد أهمل تاريخه إبراز علاقات عمان الخارجية سواء بين هذه البلاد وبين شرق أفريقيا، وقد كانت العلاقة

Shabbir al-Musawi.com

بين السلطنة وهذه المناطق في ذلك الوقت علاقة تستوجب التوقف والتدوين، أو بين عمان وبين الأطراف الغربية بشكل جاد مما يمكن أن يؤخذ عليه في الحالتين". ويقول حمدون بن سليمان في بحثه: "ومما يؤخذ على السالمي أو غيره من المؤرخين السابقين؛ عدم التطرق إلى الصلات التاريخية التي ربطت عُمان في ذلك الوقت والاهتمام فقط بالأحوال الداخلية وهي ملاحظة يذكرها الكثير من المؤرخين المعاصرين "

وبالإضافة إلى فائدة التحفة التاريخية فأننا نستطيع أن نسجل لها العديد من الفوائد الهامة التي امتاز بهذا هذا الكتاب الجليل ومن هذه الفوائد:

١. حفظ السالمي في تحفته الرسائل المتبادلة بين الأئمة وحكام الدول المجاورة، وكذلك مع قواد الجيوش البرتغالية كما حفظ الرسائل المتبادلة الفقهاء والعلماء وكذلك الأجوبة عن تلك التساؤلات.
٢. حفظ السالمي في تحفته خطب الأئمة في الجمعة والمناسبات، وعهودهم إلى قواد جيوشهم والنصائح والتوجيهات التي كان الأئمة يوجهها لهؤلاء القادة والولاة.
٣. حفظ أيضاً الأشعار التي قالها الأئمة والملوك والسلاطين وبعض الشعراء المعروفين والمجهولين، وسجل جزء من الأدب العماني المفقود عن مختلف فترات التاريخ بداء من التاريخ القديم وحتى التاريخ الذي عاشه المؤرخ ص١٢٣ د.أحمد درويش.
٤. تعرض الكتاب لبعض الأحداث الغير سياسية والتي جرت في عُمان كفتنة خلق القرآن وغيرها كالحوادث الطبيعية مثل وبعض القضايا الثقافية والدينية التي مر بها التاريخ العُماني وحفظها للأجيال القادمة.
٥. ترجم لكثير من العلماء والفقهاء والقادة وبعض الأشخاص المجهولين الذين لا نعرف عنهم الكثير، والذين كلما مر ذكرهم أو وضع المقام لذلك فأنه يفرد ترجمة خاصة بهم، أو ربما يشير إشارة إلى ذلك كما ترجم لبعض الشعراء الذين يمر ذكرهم خلال فترات التاريخ العماني، ويشير إلى بعض قصائدهم المفقودة؛ نحو الستالي والحبسي.
٦. ذكر كثير من آراء العلماء والفقهاء وأجوبة مسائلهم في الكثير من القضايا والمسائل، وخصوصا آرائهم في مختلف الأئمة وبيعتهم وآرائهم في بعض الأحداث الدينية والاجتماعية والسياسية التي مرت في عهدهم.
٧. حفظ لنا الكثير من أسماء المخطوطات والكتب التي اعتمد عليها كمصادر لكتابة والتي لم تصل إلينا كما أنه حفظ لنا الكثير من السير والأحداث التي تفتقدها كتب التاريخ العُمانية الأخرى.

shoberal-musawi.com

ومن جهوده الإصلاحية كان له دور بارز في إعادة الإمامة الثالثة إلى الوجود ، وفي مبايعة الإمام سالم بن راشد الخروصي سنة ، يقول مؤلف كتاب نهضة الأعيان في تاريخ عمان "كان –رضي الله عنه – الركن الأعظم في إعادة الإمامة لإلى عمان ونيلها المرتبة العليا، شديد الحرص على النهوض بالأمة العمانية، واستعادة مجدها الباذخ، الذي أباد التحزب والاختلاف دهرا طويلا، وذلك دأب العلماء العاملين في كل حين" . ويذكر صحان نهضة الأعيان أن سبب الاختلاف الذي حصل بين السلطان فيصل بن تركي وبين مجموعة من العلماء وشيوخ القبائل وعلى رأسهم الشيخ نور السالمي وبالتالي إلى اعادة حكم الإمامة هو قبول السلطان فيصل المعاهدة مع بريطانيا، ويذكر مؤلف كتاب النهضة أن نقاشا دار بين الشيخ نور الدين السالمي وبين السلطان فيصل، فيقول:"خرج نور الدين إلى حج بيت الله الحرام، منزل على ضيافة السلطان في سنة ١٣٢٣هـ، وبعد رجوعه من سفره أجتمع به ثانية ، فطلب منه الخلوة ليقطع عذره ، ويقيم الحجة عليه، فكلمه في جمع العمانيين تحت راية واحدة، وأبدى له ثمرة الاجتماع، وما يخشى من التفرق، وأوضح له حال العمانيين، وأوقع بسببه من الشعابث والفتن المؤدية إلى الضرر بالوطن، فأعتذر بأعذار لم يسوغها نور الدين له ولم يقبلها منه، ثم ألح عليه فاعرض عنه. وقال: إنكم إذا حصل لكم ذلك ، يقول عمي: نريد غيره وأراد بعمه عبد العزيز بن سعيد، ومعناه : إنكم إذا اجتمعتم على هذا الحال تقولون: لا نريدك بل نريد عمك وأنشد السلطان بعد خروجهما من الخلوة تهكما لمطلبه: نحاول ملكا أو نوت فنعذرا"

وأستمر الشيخ نور الدين السالمي في محاولاته للملم شمل الأمة على إعادة الإمامة وطاف في كل أرجاء عمان طالبا من شيوخ القبائل العمانية مناصرته في أمره هذا. وفي شهر جمادى الثانية سنة ١٣٣١ اجتمع عدد كبير من شيوخ وعلماء عمان في تنوف وعددهم أربعة عشر شيخا وعالما ومعهم عدد من أمراء القبائل العمانية، ويقول مؤلف نهضة الأعيان عن دور الشيخ نور الدين السالمي في بيعة الإمام سالم بن راشد الخروصي:"وكاد يتلاشى ذلك الاجتماع ، فخلصوا نجيا ، وكثر القيل والقال، وبقى الرأي يجول وهم بين إقدام وإحجام، قد هون عليهم الأمر صعوبة العقبات، فكان نتيجة ذلك الموقف ، أن سلم العلماء والأمراء والخاصة والعامة أرواحهم ومهجهم إلى رئيس النهضة العمانية–يقصد به الشيخ نور الدين السالمي – وقلدوه أمرهم لعلهم أنه يستسهل الصعاب من الأمور، اعتمادا على ربه، وثقة بملاه، وتوكلا عليه. وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر جمادى الثانية. قال لهم الإمام نور الدين السالمي: اختاروا زعيما تقدمونه للمسلمين أمنيا على حمل الأمانة

Shoaibar.almusaw.com

وكفى بهذا وصفا لهذا الإمام الجليل، كما أني لا أنسي كلمات عذبه قالها شاعر عمان الكبير عبد الله بن على الخليلي في وصف هذا الإمام وأرادته عندما قال " الذي هم فضاقت عن همه همم الدهر وأراد فعجزت عن نفي أرادته أرادة الزمن).

ويقول الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه العنوان عن الشيخ السالمي ومؤلفاته: هؤلاء علماء عمان في الصدر الأول، أعني مشاهيرهم فقط، وحسبك "اللمعة المرضية من أشعة الإباضية" لإمامنا السالمي رحمه الله. وفي أهل عمان من أهل العلم كثيرون في كل جيل، وقد ذكرنا بعضاً منهم في كتابنا "أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج" ، وفي "إزالة الوعثا عن أتباع أبي الشعثا"، وفي "العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة" لإمامنا السالمي رحمه الله، وكان هذا الشرح رمزاً خالداً في الذهن من عهد الصبا، حتى أذن الله بطلوع شمسه النيرة الآن"

أما رأي الشيخ ناصر المرموري في بحثه عن الشيخ السالمي، فيقول: "لقد كان الشيخ السالمي رحمه الله ورضي عنه على جانب عظيم من العلم والفقه والسداد وحسن النظر فهو معدود من العلماء المجتهدين ذوي الفهم والبصائر، وفي مثله يقال (كم ترك الأوائل للأواخر) فهو من المجددين الذي جاء في حديث وصفوهم (أن لله يبعث في هذه الأمة على رأس كل قرن عالم يجدد لها أمر دينها). لقد كان الشيخ رحمه الله كوكبا دريا بين أقرانه العلماء ، يمتاز بمميزات ظاهرة لا تنكر يظهر ذلك في مؤلفاته مثل شرحه لمسند الأمام الربيع بن حبيب، وفي كتاب معارج الآمال الذي هو موسوعة علمية ذات قيمة فاخرة. وفي فتاويه التي حررها أحسن تحرير، وقررها على الدليل الصحيح والمنطق السليم أيما تقرير)

إما رأي الشيخ محمد الرهان في تعقيبه على الجزء الأول من فتاوى الشيخ السالمي، فيقول: "فقد رغب الأخ الصادق في محبته المخلص في صحبته العلامة الشيخ سالم بن حمد الحارثي، بالأشراف على طبع وتصحيح كتاب العقد الثمين للعلامة الجليل وفخر المتأخرين وسابق المتقدمين الشيخ أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي، فشكرت له حسن ثقته، وبدأت أطالع هذا الكتاب المبارك، فوجدت نفسي؛ أمام موسوعة نادرة في شتى مجالات العلم وألوان المعرفة، تجلت فيها شخصية المؤلف الفذة وإدراكه الشامل وبصيرته النيرة وعقله الكامل، ولا غرابة في ذلك فانه رغم حداثة سنه وفقده بصره، خلف جيلا من أكابر العلماء، ترجع إليهم الأمة في شؤون دينهم وأمور دينهم، وزود المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب القيمة والمؤلفات النافعة".

Shoaibal-musawi.com

وكفى بهذا وصفا لهذا الإمام الجليل، كما أني لا أنسي كلمات عذبه قالها شاعر عمان الكبير عبد الله بن على الخليلي في وصف هذا الإمام وأرادته عندما قال " الذي هم فضاقت عن همه هم الدهر وأراد فعجزت عن نفي أرادته أرادة الزمن).

ويقول الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه العنوان عن الشيخ السالمي ومؤلفاته: هؤلاء علماء عمان في الصدر الأول، أعني مشاهيرهم فقط، وحسبك "اللمعة المرضية من أشعة الإباضية" لإمامنا السالمي رحمه الله. وفي أهل عمان من أهل العلم كثيرون في كل جيل، وقد ذكرنا بعضاً منهم في كتابنا "أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج"، وفي "إزالة الوعثا عن أتباع أبي الشعثا"، وفي "العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة" لإمامنا السالمي رحمه الله، وكان هذا الشرح رمزاً خالداً في الذهن من عهد الصبا، حتى أذن الله بطلوع شمسه النيرة الآن"

أما رأي الشيخ ناصر المرموري في بحثه عن الشيخ السالمي، فيقول: "لقد كان الشيخ السالمي رحمه الله ورضي عنه على جانب عظيم من العلم والفقه والسداد وحسن النظر فهو معدود من العلماء المجتهدين ذوي الفهم والبصائر، وفي مثله يقال (كم ترك الأوائل للأواخر) فهو من المجددين الذي جاء في حديث وصفوهم (أن لله يبعث في هذه الأمة على رأس كل قرن عالم يجدد لها أمر دينها). لقد كان الشيخ رحمه الله كوكبا دريا بين أقرانه العلماء ، يمتاز بمميزات ظاهرة لا تنكر يظهر ذلك في مؤلفاته مثل شرحه لمسند الأمام الربيع بن حبيب، وفي كتاب معارج الآمال الذي هو موسوعة علمية ذات قيمة فاخرة. وفي فتاويه التي حررها أحسن تحرير، وقررها على الدليل الصحيح والمنطق السليم أيما تقرير)

إما رأي الشيخ محمد الرهان في تعقيبه على الجزء الأول من فتاوى الشيخ السالمي، فيقول: "فقد رغب الأخ الصادق في محبته المخلص في صحبته العلامة الشيخ سالم بن حمد الحارثي، بالأشراف على طبع وتصحيح كتاب العقد الثمين للعلامة الجليل وفخر المتأخرين وسابق المتقدمين الشيخ أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي، فشكرت له حسن ثقته، وبدأت أطالع هذا الكتاب المبارك، فوجدت نفسي؛ أمام موسوعة نادرة في شتى مجالات العلم وألوان المعرفة، تجلت فيها شخصية المؤلف الفذة وإدراكه الشامل وبصيرته النيرة وعقله الكامل، ولا غرابة في ذلك فانه رغم حداثة سنه وفقده بصره، خلف جيلا من أكابر العلماء، ترجع إليهم الأمة في شؤون دينهم وأمور دينهم، وزود المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب القيمة والمؤلفات النافعة".

shaberalmusawi.com

وله العديد من القصائد في طلب العلا ولكن بالطريقة التي يراها هو مناسبة في طلب العلا يحي طريق العلم والدعوة في سبيله الله والجهاد.

ويعاتب بعض أصحابه في هذه القصيدة :

يدعونني للعجز في طلب العلى ودعوتهم للمجد والعلياء

بالأمس كانوا خلتي فأغاظهم طلب الهدى فإذا بهم أعدائي

ولقد عهدتهم ذوو ود فلم اشعر بهم إلا وهم خصمائي

الحق باعد بيننا فأحلني في عزة وأحلهم ببلاء

قالوا شديد طبعه ذو غلظة فأجبتهم لكن على السفهاء

ولقد خفضت جناح ذل للذى أضحى أخا تقوى ورب وفاء

أما العصاة فأنهم ما شاهدوا مني سوى الإعراض والبغضاء

ويقول في موضع آخر :

إذا المرء لم يرضى بذل معيشة وقام إلى لعلياء ولم يسعى بالجد

فقد صار ذا مجد كريم وذا علا وما فوق وسع النفس لم يلزم العبد

ومن كان ذا عزم وبأس وسطوة وقام ولم يرزق علا فله الحمد

ويفسر كيف يكون طلب المجد و العلا :

خفف العذل عن محب تصامم أن بدأ حادث عظيم تعاظم

وله في الوغى طرائق صدق قام أن قامت الحروب وصادم

shopper.al-musawi.com

وله في العلا منازل حق شيدت ركنها القنا الصوارم

وله في الورى نصائح ود ود أن لا يكون في الناس ظالم

وله في الندى سحائب عرف تمطر الجود للورى والمغانم

وله في العدا صواعق حتف تمحق الكفر منهم والمظالم

وتقي القوم نفسه كل سوء ويرى أن ذاك في المجد لازم

نطقت سير الأوائل طرا عن طريق العلا لمن كان قائم

لم أجد للعلا طريقاً قريباً	مثل طعن اللهي وجز الغلاصم
قد تفكرت في عواقب أمري	فرأيت النجا ارتكاب العظائم
كيف يرجو الحسان والخلد قوم	الفوا الذل بين غيد النواعم
تركوا الدين دراسا والمعالي	عطلات وضيعوا كل لازم
أنا عبد أحرض الناس والله تعالى	أرجو لحسن الخواتم

وأخيراً قصيدته المشهورة في طلب العز :

هو المجد فاطلبه وأن عز طالبه وجد وأن ضاقت عليه مذاهبه

shopper.al-mubawi.com

المصـــــادر

١. تحفة الأعيان في تاريخ أهل عُمان	الشيخ نور الدين السالمي
٢. بحوث قراءات من فكر السالمي	إصدار المنتدى الأدبي
١- منهج السالمي في مؤلفاته الفقهية	الشيخ أحمد الخليلي
٢- المنهج العلمي في مؤلفات السالمي	الشيخ إسماعيل بن على الأكوع
٣- السالمي المجتهد المجرد	الشيخ ناصر بن محمد المرموري
٤- السالمي أديبا لغوياً	د. إبراهيم بن حمد الكندي
٥- السالمي فقهياً ومحققاً	د. صالح بن أحمد الصوافي
٦- جهود السالمي في خدمة الأدب في عُمان	د. أحمد درويش
٧- الجوانب التربوية والتعليمية في مؤلفات السالمي	أحمد بن سليمان الكندي
٨- إطلالة على شعر نور الدين السالمي	سالم بن علي الكلباني
٩- السالمي مؤرخا	حمدون بن سليمان السالمي
٣. نظرة على المصادر التاريخية العمانية	د. عصام بن علي الرواس
	سلسلة تراثنا إصدار وزارة التراث القومي والثقافة
٤. عُمان تاريخاً وعلماء	ترجمة محمد أمين عبد الله
٥. مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان	منشورات مكتبة الأسرة
	د. أحمد درويش
٦. بحث تاريخ عُمان بين الوثائق والمصادر الأجنبية	إصدارات المنتدى
	د. جمال زكريا قاسم
٧. بحث حديث الأوراق عن أدب الرستاق	إصدارات المنتدى ١٩٩٠
	خليفة بن عثمان البلوشي
٨- نهضة الأعيان في تاريخ عمان	الشيخ أبو النذير محمد الشيبة السالمي
٩-مؤرخو الجزيرة العربية في العصر الحديث	مصطفى عبد الغني

shopper al-musawi.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
كلمات من التاريخ	١
المقدمة	٢
مالك بن فهم الأزدي	٥
الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٢
أبو بكر بن محمد بن الحسن بن دريد	٣٥
أحمد بن ماجد النجدي	٤٧
الإمام ناصر بن مرشد	٦٠
الإمام سلطان بن سيف	٦٤
الإمام سيف بن سلطان اليعربي	٦٧
الإمام أحمد بن سعيد (مؤسس الدولة البوسعيدية)	٨٩
السيد سعيد بن سلطان	٩٦
السفير أحمد بن النعمان الكعبي	١٠٧
المؤرخ حميد بن محمد بن رزيق	١٢٧
الشيخ عبدالله بن نور الدين السالمي	١٣٧

shopper.al-musawi.com

السيرة الذاتية للدكتور شُـــبّر بن شـــرف المـوســوي-

أول عماني حائز على درجتي دكتوراه في الآداب وفي علم الاجتماع

وأول عماني حاصل على دكتوراه في علم الاجتماع اللغوي والنفسي

ولد في ولاية الخابورة بسلطنة عمان .

شهاداته ومؤهلاته العلمية

حاصل على عدة شهادات :

١- شهادة المراقبة الجوية من كلية الطيران المدني بدولة قطر عام ١٩٨٣م .

٢- شهادة الليسانس في الآداب من جامعة بيروت عام ١٩٨٩ م .

٣- دبلوم عالي في الدراسات الأدبية واللغوية من جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م .

٤- درجة الماجستير في الآداب بتقدير ممتاز من جامعة عين شمس عام ١٩٩٩ .

حاصل على درجتي دكتوراه:

١- درجة دكتوراه في الآداب تخصص لغة عربية مع مرتبة الشرف من الدرجة الثانية من جامعة بيروت العربية عام ٢٠٠٤. عن أطروحته المعنونة " القصة القصيرة في عمان دراسة فنية موضوعية"

٢- درجة دكتوراه ثانية في علم الاجتماع اللغوي مع مرتبة الشرف من الدرجة الثانية من جامعة بيروت العربية عام ٢٠٠٩. عن أطروحته المعنونة " أثر التغير الاجتماعي على اللغة العربية في سلطنة عمان"

بصدد تحضر دكتوراه جديدة في مجال النشر الالكتروني

حاصل على شهادة معتمدة في التدريب والتحقيق الدولي من كلية القيادة والسيطوة الحوية في سلطنة عمان أبريل ٢٠١٠

shobber-al-musawi.com

حاصل على شهادة معتمدة في برنامج التدقيق الدولي الشامل للسلامة المهنية من مركز تدريب شؤون الطيران المدني – مايو ٢٠١٠

حاصل على شهادة في إدارة نظام الجودة من معهد الرؤية الدولية ٢٠١١

حاصل على شهادة في كسب التأييد لمؤسسات المجتمع المدني من مركز تواصل في سلطنة عمان – أكتوبر عام ٢٠١٠

حاصل على درع التكريم من جمعية الكتاب والأدباء في سلطنة عمان بمناسبة العيد الوطني الأربعين المجيد عام ٢٠١٠

خبير فني في اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم منذ عام ٢٠٠٦.

رئيس مركز مسقط لتنمية الإبداع والاستشارات الإدارية والمهنية والتربوية والأسرية

مستشار رئيسة فريق العمل الصامت التطوعي

محلل نفسي واستشاري تنمية بشرية ومفسر أحلام

كتبه ودراساته :

١- كتاب هرولة بين الحزن والأمل " عام ١٩٨٦م.

٢- كتاب اتجاهات الشعر العماني المعاصر" عام ٢٠٠٠م. (طبعة ثانية عام ٢٠١١) ، ويُدرس هذا الكتاب في كليات التربية في سلطنة عمان كمقرر دراسي ، ويُعد أول كتاب عماني يتم تدريسه في كليات التربية في سلطنة عمان) .

٣- دراسات في الشعر العماني المعاصر ، ضمن إصدارات المنتدى الأدبي عام ٢٠٠١م.

٤- كتاب "القصة القصيرة في عمان دراسة فنية موضوعية"، عام ٢٠٠٦، ضمن إصدارات مسقط عاصمة الثقافة العربية.

٥- كتاب "أثر التغير الاجتماعي على اللغة العربية في سلطنة عمان عام ٢٠١١.

٦- كتاب "لآلئ عمانية – صور من عبقرية الإنسان العماني " عام ٢٠١٢

٧- كتاب "قضايا المجتمع العماني في ظل ألعولمة عام ٢٠١٣

٨- كتاب "اشراقة إنسان" درسات في التمية البشرية عام ٢٠١٤

٩- كتاب أصالة اللغات المتحدثة في جنوب عمان المهرية والشحرية وعلاقتها باللغات السامية واللغة العربية عام ٢٠١٦

لديه عدة كتب مخطوطة منها:

١- كتاب "مهارات الحياة"

Shobber.al-mubawi.com

٢- كتاب "ملامح من تاريخ الشيعة في عمان"
٣-كتاب " اشكاليات العلاج الروحاني في المجتمع العماني"
٣- مجموعة قصصية بعنوان "مساء صاحبة ألعصافير .

مساهماته في مجال التطوير الفني والمهني وتنمية الشخصية الإبداعية:

له اهتمامات في مجال تنمية الإبداع والتطوير الذاتي والإدارية وقدم عدة محاضرات عن تنمية الشخصية الإبداعية وتنمية المهارات الشخصية، منها:

١-شارك في مؤتمر استراتجيات تنمية القيادات الادارية في ظل ادارة المعرفة في صلالة اوغسطس ٢٠١٣ بورقة بعنوان مهارات الابداع الاداري وحل المشكلات الادارية في ضوء المعرفة

٢-شارك في أسبوع التوجيه المهني بمدرسة التربية الفكرية بتنفيذ ورشة عمل بعنوان " "مهارات الاتصال والتوجيه ألأسري يوم ٢٧ مايو ٢٠١٢

٣-شارك في أسبوع الابداع الطلابي الذي إقامته وزارة التربية والتعليم على مستوى عمان في منطقة شمال الباطنة التعليمية في ولاية صحار في ابريل ٢٠١١ بمحاضرة بعنوان "اكتشاف ورعاية الطلاب المبدعين"

٤-شارك في ندوة"دور اللغة العربية في بناء الشخصية ألمتكاملة والتي نظمها اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم ، بورقة عنوانها "بتاريخ ٢٣-٢٤ فبراير ٢٠١٠.

٥-ألقي محاضرة بعنوان "مهارات رعاية المواهب الإبداعية " في ملتقى المواهب الطلابية على مستوى السلطنة خلال الفترة ٧-٢٠٠٩/٢/١٠ والذي أقامته المديرية العامة للتربية والتعليم لمنطقة الباطنة شمال.

وظيفته الحالية:

يعمل حاليا في وظيفة رئيس قسم معلومات طيران في مطار مسقط الدولي وقد حصل على عدة شهادات ودورات تدريبية وفي مجال الطيران والمراقبة الجوية واللغة الإنجليزية من دولة قطر والمملكة المتحدة والمانيا وسنغافورة . وشارك في عدة ندوات ومؤتمرات دولية في مجال معلومات الطيران في إيران وعمان وجمهورية مصر العربية.

العنوان :ص. ب. ٣٥٤ - الرمز البريدي ١١١ مسقط - سلطنة عمان

هاتف: ٩٩٠٣٥٩٥٤ -٩٨٥٣٤٩٤١

shoaberal-musawi.com

Shobber.al-Mersawi.com

Shobber.al-musawi.com

هذا الكتاب ...

يتناول هذا الكتاب عدة شخصيات بارزة ومؤثرة بالدارسة والتحليل في سجل التاريخ العماني من خلال دراسة النواحي الشخصية ومن خلال المنجز الإنساني والإبداعي أو السياسي لتلك الشخصية ، وقد حاولت تحليل النتائج التي تبلورت عن عطاءات تلك الشخصيات من خلال أدوارها التاريخية والإنسانية والثقافية . وحقيقة أن تاريخ عمان يمتاز بالخصوصية التاريخية، لذلك كنت حذرا في التعامل مع المادة التاريخية الكبيرة ، وقد حاولت تحليل واستخلاص المعلومات الواردة في مجمل الكتب التاريخية لعمان ، ومامرت به عمان من أحداث ومعارك سياسية . وحقيقة أن تاريخنا كان ومايزال مصدر فخر واعتزاز لنا نحن العمانيون ، كما أنه تاريخ مضيء ومشرف بكل ما في الكلمة من معنى ،لكنه بحاجة إلى من يزيل عنه غبار التاريخ وعناء السفر الطويل وأن ينقحه ويقدمه بصورته الناصعة والمشرفة .

ونحن معنيون في هذا الكتاب بتحليل عناصر الشخصية من خلال الجمع بين تحليل النتائج التي تبلورت عن عطاءات تلك الشخصيات من خلال أدوارها التاريخية والإنسانية والثقافية، وبين بعدها الحضاري والإنساني ،وخاصة في النواحي العمرانية ومظاهر التطور الثقافي والفكري والازدهار الاجتماعي . وقد بلغت عدد الشخصيات المتناولة في هذا الكتاب ١٤ شخصية مختلفة التميز في مختلف مجالات الفكر والسياسية والأدب والفقه والتأليف التاريخي . وربما تكون هذه الشخصيات هي الأبرز في التاريخ العماني ، فإنه لابد من الإشارة إلى أن هناك شخصيات أخرى رائدة ومميزه لم نتناولها في هذا الكتاب ولكن دورها وتأثيرها لا يمكن إغفاله ، ولكننا اخترنا الشخصيات الأبرز والأكثر تميزا واشراقا أن كان في العلم أو الأدب أو كتابة التاريخ . ولقد أثبت هذه الدراسات التاريخية ملامح الشخصية العمانية المبدعة والمنحزة وتعدد أدوار الإنسان العماني بين السياسي والعسكري والثقافي ، وأثبت هذه الدراسات أن الإنسان العماني إنسان معطاء متى ما اتيحت له الفرصة واستتبت أمور الحياة أن يعطي بلا حدود وأن تكون له مساهمات حضارية وأن يكون له دوره الرائد في الحضارة الإنسانية .

Shabbar al-musawi.com